مكتبة المحبة

دراسات تاريخية متعمقة
بإشراف نيافة الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

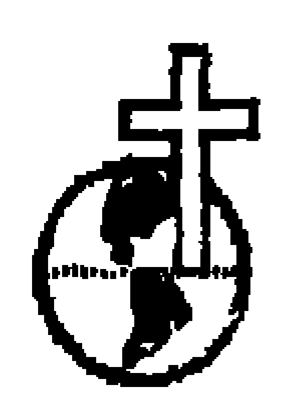
إلى الباحثين والخُدام والشعب موسوعة :

عَصرالمجَامِع

* دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة الهامة.
* أسباب الأنعقاد - الشخصيات - المناقشات - تحليل القرارات.
* مع إضافات أخرى هامة ولازمة.

بقلم القمص
كيرلس الأنطوني

تنسيق وتعليق
دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر



مكتبة المحبة

دراسات تاريخية متعمقة

بإشراف نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

إلي الباحثين والخُدام والشعب موسوعة:

عصر المجامع

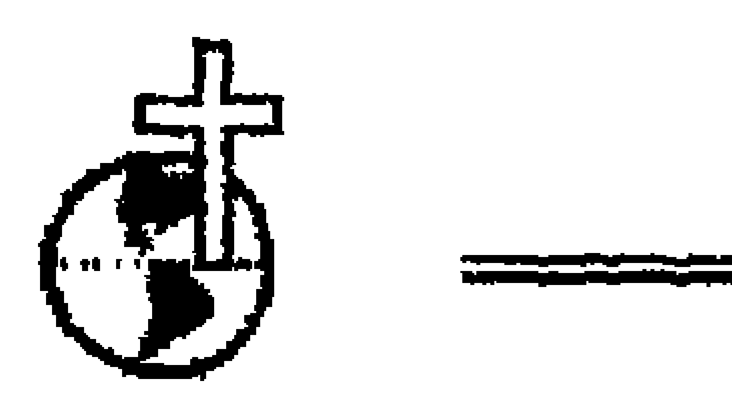
• دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبري الأربعة الهامة •

• أسباب الأنعقاد - الشخصيات - المناقشات - تحليل القرارات •

• مع إضافات أخري هامة ولازمة •

بقلم القمص :- كيرلس الأنطوني

تنسيق وتعليق : دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر



إسم الكتاب : عصر المجامع
المؤلف : القمص كيرلس الأنطوني
تنسيق وتعليق دياكون د. ميخائيل مكسي اسكندر
الناشر : مكتبة المحبة
الطبعة : الأولى
الكمبيوتر ريمونتيكو للكمبيوتر ت : ٥٦٢١٧٦٢
المطبعة : شركة هارموني للطباعة ت: ٦١٠٠٤٦٤
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٣١٩٧ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى 6-82-06-12-977



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



مقدمة عامة

+ يتناول هذا الكتاب دراسة مُركزّه علي عصر المجامع المسكونية، وهي المجامع المسيحية الكبري، التي عُقدت في القــرنين الرابع والخــامس الميــلاديين، وأهم قراراتها.

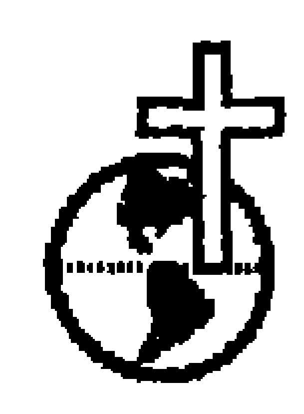
+ وفي هذه المقدمة نتناول أهم المجامع الصغيرة التي سبقتها وهي مجامع مكانية (محلية).

وفيما يلي نبذة عنها، وعن أهم قراراتها. وعلي رأسها:

١) **المجمع الرسولي الأول:** (Apostolic Synod)

+ يُسجّل سفر أعمال الرسل أنه إنعقد «في أورشليم» برئاسة القديس يعقوب بن حلفا أسقف أورشليم (سنة ٥٣ م). وضم الرسل، وبعض الكهنة (المشايخ).

+ وقد نادي بعضهم بضرورة إتباع الأمم (غير اليهود) الداخلين للإيمان المسيحي - أولاً - العوائد والطقوس اليهودية، كالختان والاعياد اليهودية والطعام المحرم والمحلل ... الخ ومما أثير في حينه.



+ وبعد المناقشة قرر المجمع الإكتفاء بالإمتناع عن «نجاسات الأصنام، والزنا، والمخنوق، والدم» (أع ١٥: ١ - ٢٠).

٢) **مجمع أنقرا بغلاطية** (بآسيا الصغرى) (Ancra)[١]:

+ انعقد في عهد مكسيميانوس (أوائل القرن ٤) وضم ٣٣ أسقفاً .

+ وكان الموضوع الرئيسي مايُتخذ حيال الذين ذبحوا للأصنام أو أكلوا من المذبوح لها، خلال اضطهاد دقلديانوس وزميله مكسيميانوس، وطرق قبول توبتهم.

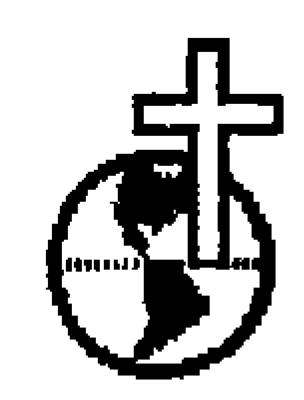
+ وشروط رسامة الشمامسة،وتزويجهم عند رسامتهم.

+ والسلوك في الزنا والقتل بأنواعه، والإلتجاء للسحر وعقابه.

٣) **مجمع قرطاجنة (بشمال إفريقية)** «Carthage»

+ وضم ٥٠ أسقفاً برئاسة القديس كبريانوس .

١) هذا الملخص مأخوذ عن كتاب إبن كبر، مصباح الظلمة، جـ ١، والانبا اسيذورس، الخريدة النفيسة، طبع مكتبة المحبة.



+ وكان الموضوع الأساسي هرطقة نوفتيانوس,وحرم هذا الهرطوقي، الذي نادي بعدم قبول الذين عثروا أيام الاضطهاد، مهما تابوا!!

+ وضع المجمع ١٥ قانوناً، شددت علي عدم الزواج بأخين أو بأختين بعد موت أحدهما، وكذلك من يتزوج بأكثر من واحدة.

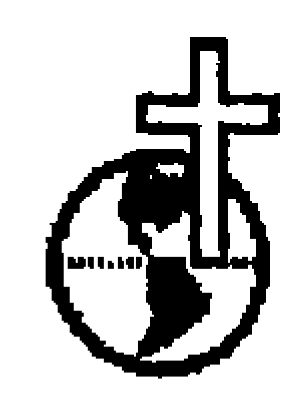
+ وعدم رسامة الكاهن قبل سن الثلاثين، وعدم رسامته بعد إيمانه وعماده مباشرة.

+ وأن يكون لكل كنيسة ٧ شمامسة.

+ وعقد كبريانوس مجمعاً أخر أيد نفس القرارات.

٤) **مجمع سرديكا** (Sardica):

أنعقد سنة ٣٤٧ م وضم ١٤٠ أسقفاً، وقد قاموا ببحث موضوع إرجاع البابا الأنبا أثناسيوس الرسولي إلي كرسيه في الإسكندرية ، وميلاتيوس بطريرك إنطاكية، وبولس بطريرك القسطنطنية الذين خلعهم الهراطقة الأريوسيون ونفوهم. فأعادوهم إلي كراسيهم.



+ حدد المجمع شروطاً لاختيار الأساقفة وعدم سيامتهم بالرشوة أو بالمجاملة (بالوساطة).

+ وعدم انتقالهم من مدينة صغيرة إليَ مدينة كُبري، ولا يترك الأسقف كرسيه أكثر من ٣ أسابيع، ويخضع للمطران التابع له.

+ أن يُختَبر كافة درجات الشمامسة قبل رسامتهم.

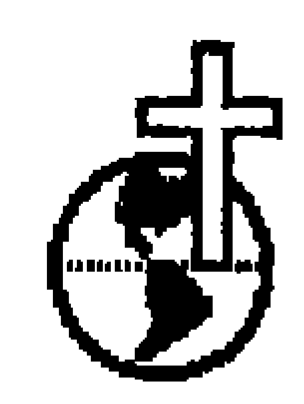
٥) مجمع أنطاكية (بسوريا) «Antioch»:

+ وكان بعد مجمع نيقية، وضم ١٣ أسقفاً، وقيل إنه كان لمحاكمة الهرطوقي بولس السميساطي السرياني، الذي أنكر لاهوت المسيح.

+ وقد وضع ٢٥ قانوناً، منها ما يلي:-

+ الالتزام بقرارات مجمع نيقية المسكوني الأول (٣٢٥م).

+ ضرورة حضور الشعب القُداس وسماع العظة والتناول من السر الأقدس بانتظام.



+ عدم رسامة أسقف لأحد الاكليروس، خارج كرسيه، أو ضم كراسي غيره إليه.

+ أن تكون رئاسة الأسقف للجان المالية والإشراف علي أموال الكنائس وأوجه صرفها.

٦) مجمع اللاذقية (بسوريا) «Loadocea»:

+ وضم ١٩ أسقفاً بهدف محاكمة المبتدع «ماني» وغيره.

+ وضع المجمع ٥٩ قانوناً (وقيل ١٧) من أهمها:

+ حرم من تزوج بأمرأتين معاً.

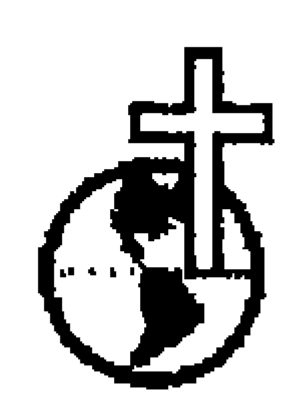
+ عدم قيام الكهنة بالاقراض بالربا.

+ عدم معاشرة الشعب للهراطقة وعدم تزويج الأبناء بهم.

+ عدم جواز رسامة النساء كهنة.

+ من أجل صلوات الساعات (الأجبية) وأوقاتها.

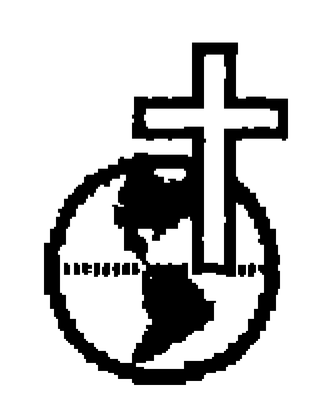
+ لا يجوز لمساعد الشماس (الابودياقون) أن يعطي بركة لأحد من الشعب.



+ منع الهراطقة من دخول الكنيسة وعدم قبول عطاياهم.
+ لا يجوز إقامة مآدب للطعام داخل الكنيسة.
+ عدم سفر الكاهن بدون علم أسقفه.
+ ضرورة وقوف الابودياقون لحراسة أبواب الكنيسة.
+ ضرورة الدهن بالميرون بعد المعمودية (وهو مالا يفعله الكاثوليك الآن).
+ لا يجوز للمسيحي أن يرقص في الحفلات.
+ لا يجوز اتخاذ السبت عطلة كاليهود. ولا يُعيّد مسيحي معهم أو يأخذ شيئاً من طعامهم في عيدهم.
+ عدم دخول النساء الي الهيكل.
+ لا يجوز إتمام سر الزواج في صوم الأربعين المُقدسة.

٧) مجمع قرطاجنة الثاني:

+ وقد حضره ٢١٧ أسقفاً من شمال أفريقية، في قرطاجنة (بتونس حالياً) وأنعقد في النصف الثاني من القرن الرابع. ووضع ١٢٣ قانوناً في رأي ابن كبر، وعلي رأسها إعادة معمودية المعمدين بيد هراطقة، والباقي كما يلي:-



+ ضرورة الالتزام بما قرره مجمع نيقية المسكوني (٣٢٥م) من قوانين.

+ كيفية محاكمة القسوس والشمامسة ورفقائهم.

+ فيما يُمنع منه الكهنة. وفي ضرورة تعليم أهلهم التديُّن.

+ ضرورة قراءة سير الشهداء عظة وعبرة (عب ١٣:٧).

+ لا يُقدَّم علي المذبح سوي الخبز والخمر الممزوج بالماء.

+ لا يجوز الهزل في أيام الأعياد.

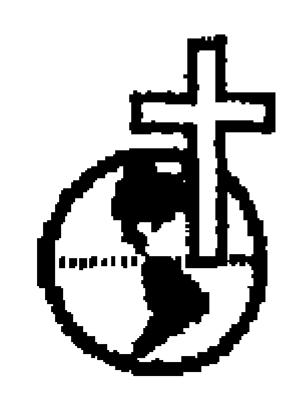
+ ضرورة معمودية الأطفال، والهدف منها.

+ عدم قبول الرهبان الخارجين من الأديرة بدون أذن.

٨) مجمع غنغرا (Gangara):

+ وضم ١٥ أسقفاً، وموضوعه الأصلي مُحاكمة الهرطوقي «أنسطاسيوس» الذي حَّرم أكل اللحم والزواج، وجذب إلي أفكاره بعض مسيحيِّي أرمينيا.

* ووضعوا ٢٠ قانوناً، ومنها ما يلي:



+ الموقف من الذي يصف الزواج بأنه نجس.

+ والشخص الذي لا يذهب الي الكنيسة واجتماعاتها .

+ وعقاب من يأخذ العشور والنذور الخاصة بالمساكين أو يصرفها بغير رأي الأسقف.

+ ولأجل الراهب الذي يدين غيره، أو يفتخر بنُسكه.

+ الموقف من الزوجة التي تنعزل عن الممارسة الزوجية بزعم أن ذلك الأمر دنس. وكذلك الشخص الذي يهرب من الزواج بدون مبرر.

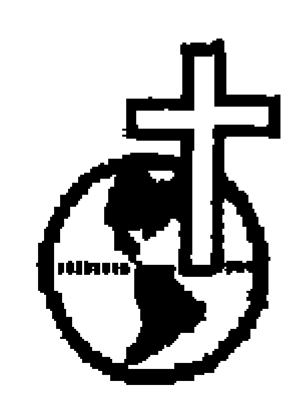
+ ولأجل من يرفض الانفاق علي أبنائه أو عدم تعليمهم، وضرورة تعريفهم بالدين، لعدم عثرة الشعب.

+ والموقف من أجل من يفطر في الصوم من غير ضرورة، أو من يرفض الصوم المقرر رسمياً بالكنيسة.

+ لأجل من يحتقر احتفالات الكنيسة بأعياد الشهداء.

٨) مجمعا قرطاجنة الثالث والرابع:

+ اجتمع المجمع الأول سنة ٤١٧ م برئاسة أوريليوس رئيس أساقفة شمال افريقية، وحضره القديس أغسطينوس أسقف مدينة إيبونا (Hippo) .



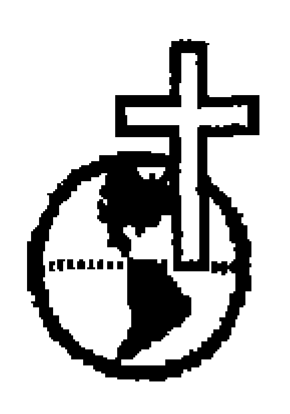
+ كان الغرض الأساسي للمجمع دراسة آراء الهرطوقي بلاجيوس (Pellagius) وكان راهباً بريطانياً وزعم أن خطية آدم كانت قاصرة علي نفسه ولا تمس أحداً من نسله، وأن الإنسان يمكنه أن يصل الي أعلي درجة في القداسة، بدون الحاجة إلي وسائط النعمة.

+ وقد تم حرمه في مجمعين باللد والقدس، وفي مجمعين آخرين بشمال أفريقية.

* وأخيراً: فإننا نقدّم هذا المؤلف الهام لكل راغب في دراسة المجامع المسكونية وأهم قراراتها. ونرجو أن يكون نافعاً للجميع، بصلوات **قداسة البابا شنودة الثالث**، وشريكه في الخدمة الرسولية نيافة **الحبر الجليل الأنبا متاؤس** أسقف ورئيس دير السريان العامر، والمُشرف علي هذه السلسلة، آمين.

دياكون
د.ميخائيل مكسي أسكندر

الجيزة في ١/٦/٢٠٠٢م (عيد دخول المسيح أرض مصر)

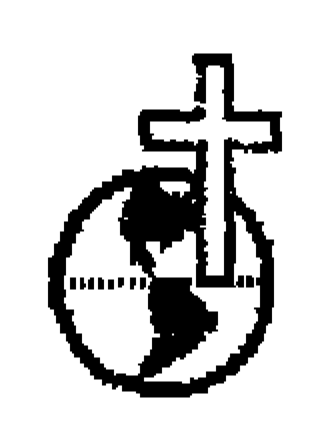


مقدمة المؤلف

إمتازت الكنيسة القبطية منذ بداية العصور المسيحية، بتمسكها الشديد بعقائد الإيمان القويم، ومدافعتها عن التعليم المستقيم، الذى تسلمته من آبائها القديسين، أولئك الذين ضحوا بكل مُرتَخص وغالٍ، واستهانوا بحياتهم فى سبيل الإحتفاظ بإيمانهم. وهكذا أوصلوه إلينا صحيحاً وسليماً إلي الآن.

ولهذا نرى التاريخ يسطر لها فى إجلال وإكبار، صحيفة مجد وفخار، ويبين لنا كيف كان آباء كنيستنا يجاهدون حتى استحقوا الظفر والانتصار، فهوذا القديس أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان يقف وسط الآباء في مجمع نيقية المسكوني. ولم يبلغ بعد الثلاثين من عمره – ويشرح عقائد المسيحية، ويقدم لأريوس المبتدع من الحجج الدامغة والأسانيد القوية مايكفي لخذلانه. ويوضح للأعضاء فساد إيمانه!

وهوذا القديس كيرلس الكبير، يُفنّد ضلالة نسطور، فى بنوده ورسائله التى بعث بها إلى كافة الكنائس المسيحية،

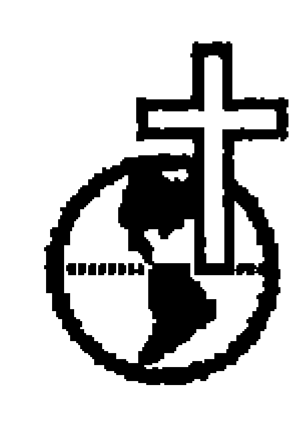


محذرا من الإنسياق وراء تعاليم هذاالمبتدع، ومُذّكراً إياه بأقوال الكتاب والآباء، لعله يرتدع! ولم يتضع ويقتنع.

بل هوذا بطل الأرثوذكسية العظيم، البابا ديوسقورس، يقبل النفي والآلام والضرب والامتهان، فى سبيل التمسك بالإيمان، وحتى فى أحرج أوقاته وأشدها ضيقاً، لا ينسي أن يبعث لشعبه الرسالة تلو الرسالة، حاضاً إياهم على الثبات على عقيدتهم الارثوذكسية (المستقيمة).

تلك صورة مصغرة لما يرسمه أمامنا «عصر المجامع» الذى يرينا أن كنيستنا القبطية هى معلمة المسكونة، وأن عقائدها هى عقائد المجامع المقدسة، وأن بابواتها هم المدافعين عن الإيمان، والمتصدرون في المجامع والمحاربون للهراطقة!

وما أحسن ماذكر الأرشيدياكون حبيب جرجس فى كتابه «الصخرة الأرثوذكسية» عندما قال: «إن كنيسة الإسكندرية كانت المرجع الوحيد فى عقائد الكنيسة، وهى الصخرة التى حطمت البدع والتعاليم الغريبة ولولا

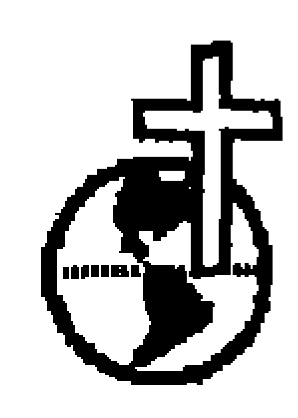


أثناسيوس وكيرلس ودفاعهما عن الإيمان الأرثوذكسي، لتشوش الإيمان من هرطقتي أريوس ونسطور!»

قال دين ستانلي: Dean Stanley «لقد كان كرسي الإسكندرية وقتئذ هو الذي يُتطلَّع إليه كأسمى مركز للكنيسة في المعمورة ؛ وكانت كنيسة الاسكندرية هي المركز الأعظم الوحيد للعلوم المسيحية!»

لهذا يلذ لنا أن نقدم لك أيها القارىء الحبيب – بين دفتي هذا الكتاب – دراسة وافية عن المجامع المسكونية منذ بداية عهد المملكة المسيحية حتى نهاية الوحدة، وبداية الإنقسام، مفصلين فيها: مراسيم المملكة الآمرة بإنعقادها . والبدع والهرطقات التي عُقدت بسببها، والشخصيات الهامة التي ظهرت فيها، والقوانين والقرارات التي صدرت عنها .

ولعلك تلمس فيما ستقرأه شيئاً عن عظمة كنيستك القبطية في شتى نواحيها، فتقول مع مدام بوتشر Mrs.Butcher: «إن لكنيستنا تاريخاً يزدري بتاريخ أعظم



الكنائس المسيحية مقاماً!» {تاريخ الكنيسة القبطية، مجلد ١ص ٣٢}٠

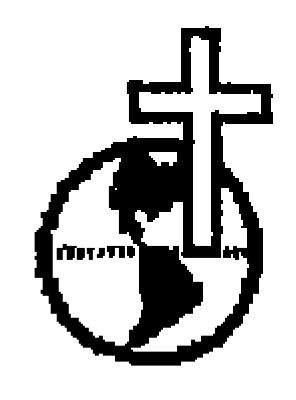
بل لعلك تقارن بين موقف آباء كنسيتك في القديم وبين موقفك الآن ! بين جهادك وتخاذلك، وبين غيرتهم المنفذة وسعيهم المتواصل لما فيه تقدم كنيستهم وإعلاء شأنها، وبين فتورك وضعفك وقصورك!

ولك أن تتخذ من كل ذلك عظه وعبره، فتجدد العهد على أن تنضوى تحت لوائها، وتعمل لما فيه رفعتها ٠ وتقول مع القديس كيرلس الكبير :"إن أشد رغباتي هى أن أعمل وأن أعيش، وأن أموت لأجل الإيمان بالسيد المسيح!! " -

القمص

كيرلس الانطونى

(أبريل ١٩٥٢م)



تمهيد

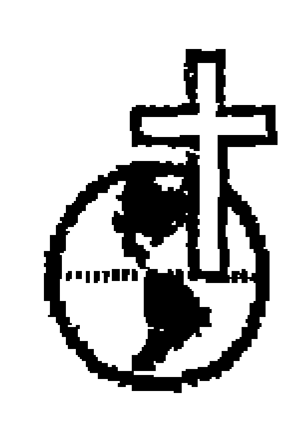
عن عصر المجامع

> «تعتبر المجامع في بناء تاريخ الكنيسة صروحاً عالية مشيدة، فهي أعلى مايكون في هذا البناء منزلة وأرفع شأناً، وجدير بنا أن نراها بهذه العين إن لم تكن قد عرفناها بها من قبل، وجعلناها في محلها اللائق»
>
> (دين ستانلي)

مقدمة:

لعصر المجامع فى تاريخ الكنيسة المسيحية، من المميزات الكثيرة، ما يجعل له أهمية كبيرة، فهو أول تطور واضح فصل بين عهدين، بل هو أول سلسلة مترابطة الحلقات صاغت للكنيسة قوانين إيمانها ووضعت لها من النُظم والقرارات مايكفل لها السير طويلاً فى أمن وسلام .

ونحن إذ نعرض لدراسة وافية عن «**المجامع**» نرى أنفسنا



فى احتياج إلى تدوين عجالة تمهيدية عامة، علها تجلو لنا بعض مانشعر به من غموض فى هذه الحقبة التاريخية الهامة.

النظام المجمعى:

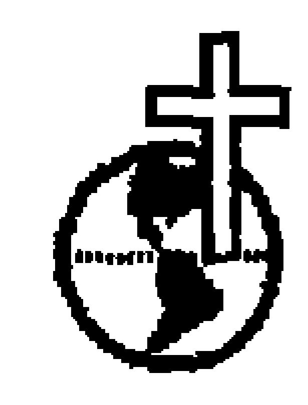
على أنه من الثابت تاريخياً، أن النظام المجمعى كان معمولاً به منذ أقدم العصور، التى وُجدت فيها روح الشورى أو تبادل الرأي.

ففى الوثنية مثلا: «كان ملوك المصريين يُختارون من بين أُمناء الدين والكهنة فى محفل من المبعوثين من كل إقليم نواباً وعليهم فى المداولات الاعتماد، فكانوا يجتمعون فى البرية التى بين ميت رهينة والفيوم، فتشكل منهم جمعية عمومية تنعقد فى الحوادث المهمة كالصلح والحرب وتحديد الترتيبات وتغيُّر الدولة وعند خلو المنصب الملكى، وغير ذلك من الأمور الخطيرة»(١).

وفى اليهودية، نرى هذا النظام في مجامعهم التى كثيراً

---

١) راجع كتاب الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، لميخائيل شاروبيم، الجزء الأول ص ١٦٤.

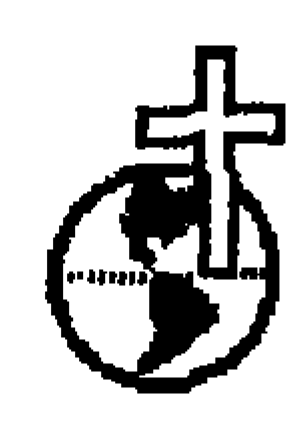


ماكانت تجتمع للتشاور، فيما يجد من أمور. ولقد ذكر الكتاب المقدس شيئاً عن اجتماعهم للتشاور على صلب السيد المسيح {متى ٢٦ : ٣ و ٢٩و مرقس ١٥ : ١}.

وفى الأصحاح الخامس من سفر أعمال الرسل نرى صورة واضحة للمجامع اليهودية التى انعقدت لتُحاكم تلاميذ السيد لمناداتهم باسم السيد يسوع الناصرى.ولما أوشك أن يُحكم عليهم بالقتل، وقف وسط المجمع أحد أعضائه المسمى غمالائيل معلم الناموس وحذرهم من فعلتهم هذه التى انتووها.وطلب أن يتركوا هؤلاء التلاميذ، «فإن كان عملهم من الناس فسوف يُنقض وإن كان من الله فلا يقدرون أن ينقضوه، لئلا يوجدوا محاربين لله أيضا». فأخذ المجمع برأيه ورجع عن عزمه وأكتفى بجلدهم، وتوصيتهم كى لا يتكلموا باسم يسوع، ثم أطلقوهم»{أعمال ٥ : ٣٧ – ٤٢}

أول مجمع فى المسيحية:

وجاءت المسيحية المثل الأعلى للديمقراطية الصحيحة،

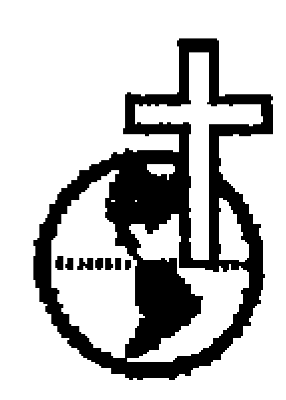


فأيدت هذا النظام. وعقدت مجمعها الأول فى أورشليم لبحث شروط قبول الداخلين من الأمم إلى المسيحية. وبعدما حصلت مباحثة كثيرة.... رأى الرسل والمشايخ مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم ويرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا: يهوذا الملقب برسابا وسيلا رجلين متقدمين فى الأخوة وكتبوا بأيديهم هكذا«.... قد رأى الروح القدوس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكبر غير هذا الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذُبِح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا، التى إن حفظتم أنفسكم منها فنِعِمّا تفعلوا» {أعمال ١٥ :٦ -٢٩}.

ولقد أخذت الكنيسة عن الرسل الأطهار هذا المبدأ الجليل، فكانت تعقد المجامع كلما حدث خلاف فى البيعة أو وُجِد من الأمور مايستدعى ذلك.

أقسام المجامع:

والمجامع - على ضوء القوانين الكنسية - تنقسم إلى نوعين رئيسيين، وهما:



١) مجامع عامة:

+ وهى التى يجتمع فيها جميع الأساقفة ليفحصوا المسائل الكنسية مشتركين في حل مشاكلها. ولقد حددت القوانين أن تكون المجامع العامة دفعتين فى كل عام : الأولى فى رابع جمعة من الخماسين، والثانية فى الثانى عشر من شهر بابة الخريفى[١].

ويجوز لهذه المجامع العامة، أن تنعقد فى حالات استثنائية - فى غير هذين الميعادين - إذا دعت الضرورة لذلك[٢].

٢- مجامع مكانية (local):

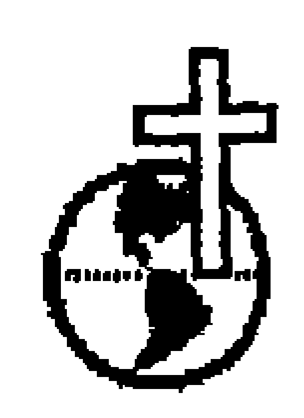
+ وهي التى يجتمع فيها الأسقف والقسوس والشمامسة فى مركز كل أبروشية لتدبير أمورهم الخاصة، ويجوز انعقاد هذه المجامع يومياً عدا أيام الآحاد {دسقولية ٨}.

ويثبت المؤرخ البروتستانتى الشهير موسهيم فى تاريخه

---

١) راجع رسطج ٢٨، نيق ٥

٢) مج باب ٥١ مادة ٧:٢٠



مايفيد أن الأساقفة كانوا يحافظون - كلٍ فى أبروشيته الخاصة - على عقد هذه المجامع المحلية: فيقول فى تاريخ القرن الرابع مانصه: «والأساقفة كل واحد في أبروشيته الخصوصية أو مدينته كانوا يدبرون ويرتبون كل أمور الكنيسة، ويجتمعون مع قسوسهم للمشورة، ثم يعرضون ما يقرونه على الشعب للعمل به» {تاريخ الكنيسة ك ٢ق ٤ق٢ فـ٢}.

٣) المجامع المسكونية (٣).

ولقد اجتمعت فى بداية المملكة المسيحية، بعض مجامع عامة استثنائية، دُعيت «**بالمجامع المسكونية**» {وهى موضوع البحث والدراسة فى هذا الكتاب} حضرها أساقفة كافة الكراسى المسيحية المنتشرة فى أنحاء العالم.

ولم تنعقد هذه المجامع إلا لضرورة حتمية، كظهور تعليم غريب يُخشَي عند انتشاره أن يُحدِث انقساماً فى البيعة.

٣) أي التى تـضم مندوبى المسكونة (العالم المسيحى) (= Synodos Ecumenical Council).



ولهـذا نرى أنه ينبـغى أن تتـوفـر في « المجامع العـامـة المسكونية » بضع شروط نوجزها فيما يلى :

١ – أن تنعقد بسبب بدعة أو انشقاق.

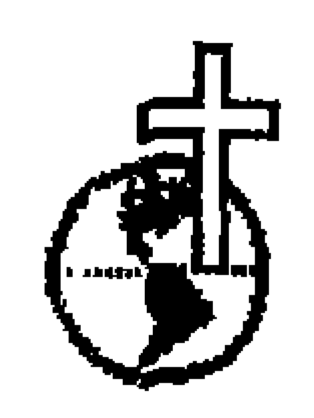
٢ – أن تنعقد بدعوة من الأمبراطور المسيحي.

٣ – أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة – شرقاً وغرباً – لتتمثل فيها المسكونة.

٤ – تقرر شيئاً جديداً لم يكن مقرراً من قبل .

وعلى ضوء هذه الشروط ،نستطيع أن نقول أن جميع المجامع التى سبقت «المملكة المسيحية» أى التى انعقدت فى الثلاثة القرون الميلادية الأولى ،لا تسمى مجامع مسكونية بل تعتبر مجامع مكانية.

ولسنا نجد فى تاريخ الكنيسة، من المجامع التى ينطبق عليها الشروط السابقة سوى ثلاثة فقط ،تطلق عليها اسم «المجامع المسكونية»، وهى:



١ - مجمع نيقية:

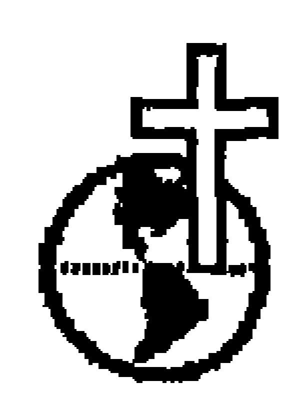
+ وهو المجمع المسكونى الأول. وانعقد عام ٣٢٥م بدعوة من الأمبراطور قسطنطين الكبير ،لظهور بدعة أريوس القس الأسكندرى ،وقد حضر ٣١٨ أسقفاً ووضع قانون الإيمان من بدايته حتى عبارة: « ليس لملكه انقضاء ».مع عشرين قانوناً لسياسة الكنيسة {انظر القسم الأول من الكتاب}.

٢- مجمع القسطنطينية:

+ وهو المجمع المسكونى الثانى. وانعقد عام ٣٨١ م بدعوة من الأمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير. لدحض بدعة مكدونيوس عدو الروح القدوس، وحضره ١٥٠ أسقفاً ،وقد أكمل قانون الإيمان النيقاوى ،كما وضع قوانين لسياسة الكنيسة {انظر القسم الثانى من الكتاب}.

٣ - مجمع أفسس الأول :

+ وهو المجمع المسكونى الثالث، وانعقد عام ٤٣١ م بدعوة

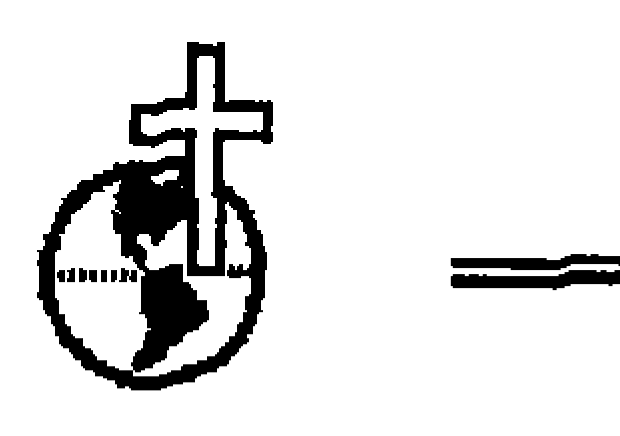


من الأمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير لظهور بدعة نسطور عدو السيدة العذراء أم النور. وقد حضره ٢٠٠ أسقفاً، وانتهى إلى وضع مقدمة قانون الإيمان مع ثمانية قوانين لسياسة الكنيسة {راجع القسم الثالث من الكتاب}

ولقد اعترفت كافة الكنائس المسيحية - شرقاً وغرباً - بهذه المجامع الثلاث، وتمسكت بمباديء إيمانها ،كما نفذت قراراتها وقوانينها.

وفى كتاب القداس (الخولاجي) نرى ذكر هذه المجامع الثلاث فى موضعين: الأول فى تحليل الخُدّام ، والثانى فى مجمع الآباء القديسين، وفى كلا الموضعين يُذكَر اسم البلدة التى عُقد فيها المجمع مع أعضائه. ولعل فى ذلك مايُرينا مدى أهمية هذه المجامع فى الكنيسة جمعاء.

وقال المؤرخ الأنجليزى دين ستانلى (Dean stanley): فى كتابه:مُحاضرات عن الكنيسة الشرقية (Lectures on History of The Eastern Church) ما نصه: «ومازال الأساقفة فى



الكنيسة الشرقية يعاهدون مبايعيهم أثناء الصلاة عند رسامتهم، على أن يتمسكوا بمراسيم هذه المجامع أو أن لا يتخطوها».

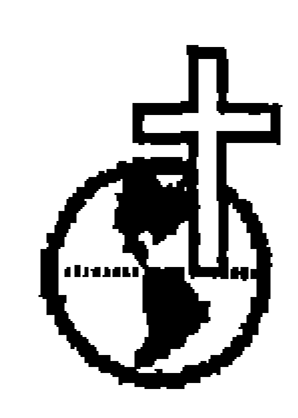
«وليست تلك الحفاوة بالمجامع وقراراتها قاصرة على طبقة المتعلمين أو دوائر الكنيسة، بل يرى طبقة الأميين أيضاً أن بناء المسيحية مُشيّد على أساس متين، هو هذه المجامع، ويودون لو أن مجمعاً مسكونياً جديداً قام ليقضي على مساوىء العصور الحديثة وبذار شرورها» .

اختصاص المجامع:

حددت لنا القوانين ما للمجامع من اختصاصات، فقالت:

١- فحص المسائل المتعلقة بالإيمان :

+ ولعلنا نلمس ذلك واضحاً عندما نعرض لما فعلته المجامع المسكونية التي جاءت بعَض قراراتها وقوانينها خاصة بالعقائد الإيمانية. قال موسهيم في كلامة عن القرن الرابع : «إن القضايا الدينية المهمة كان يفصل فيها القُضاة



الذين يُعيّنهم الملوك أو المجامع المسكونية، والقضايا الصغرى كان الأساقفة يفصلون فيها، والشرائع المتعلقة بالديانة كان يضعها إما الملوك أو المجامع[ك ٢ق ٤ق ٢ف٢].

٢- وضع النظم والقوانين اللازمة لسياسة الكنيسة:

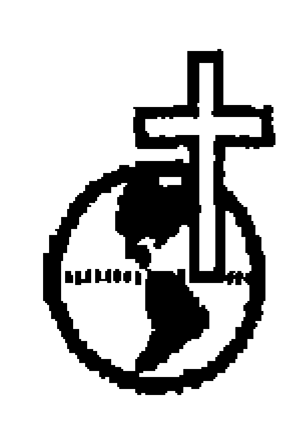
وفى المجموع الصفوى لابن العسال الكثير من القوانين التى وضعتها المجامع المتعاقبة والخاصة بتدبير جماعة المؤمنين، كقوانين الأحوال الشخصية والمواريث وغيرها(١).

٣- حل المشاكل العامة التى تعترض الكنيسة:

والتاريخ حافل بذكر الحوادث الكثيرة والمشاكل العديدة التى اجتمعت المجامع للفصل فيها، فبعد نياحة البابا ثيؤدورس الـ ٤٥ من بطاركة الكرسى المرقسى اختلف الإكليروس فى الوجهين البحرى والقبلى فيمن يخلفه، ولم يتم الاتفاق إلا بعد أن عُقِد مجمعاً كان ضمن الحاضرين فيه

---

(١) راجع المجموع الصفوى لابن العسال ص ٢٥٣ .



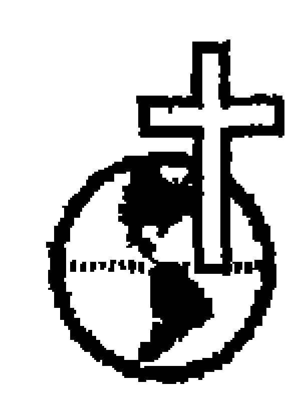
الأنبا موسى أسقف أوسيم والأنبا بطرس أسقف جبل أوسيم واللذان تمكنا من توحيدالصفوف، لما اتصفا به من هيبة ووقار واحترام، واتفق الجميع على انتخاب الأب خائيل بطريركاً عام ٧٣٥م .

ولما رأى الأنبا خائيل هذا{ البطريرك الـ ٤٦ } أن الملكيين (أى أتباع مجمع خلكيدون) قد استصدروا أمراً بتسليم كنيسة مار مينا بمريوط لهم– وكانت تابعة للبطريركية القبطية– لم يتوانَ قط عن عقد مجمع حضره جميع الأساقفة حيث كتبوا تقريراً يُثبت ملكيتهم لهذه الكنيسة، ورفعوه للخليفة مشفوعاً بالمستندات اللازمة{ مما أدى إلى سرعة إعادة الكنيسة المذكورة إلى حوزة الكنيسة القبطية}(٢) .

٤– **فض المنازعات والخصومات التى تنشأ بين الإكليروس أو بين الشعب أو بين كليهما**، كما تم فى مجمع نيقية، عندما درس مسألة النزاع القائم بين ألكسندروس بابا الأسكندرية وبين ملاتيوس المُنشق أسقف ليكوبوليس[أسيوط] وأصدر فيه قراراً.

---

(٢) الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج ٢: ٨ و٣: ٢ .



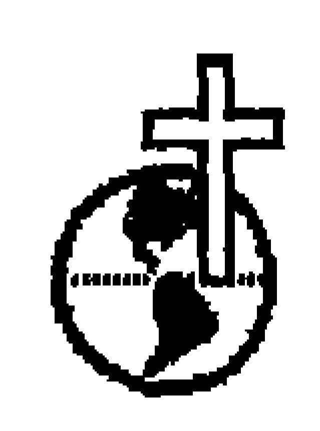
والمجامع عندما تتولى فض الخصومات بناء علي قول السيد: «إن أخطأ اليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما، إن سمع منك فقد ربحت أخاك، وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو إثنين، وإن يسمح منهم فقل للكنيسة، وإن لم يسمح للكنيسة فليكن عندك كالوثنى أو العشار» (متى ١٨ : ٥ - ٧)،

٥ - محاكمة رجال الاكليروس إذا صدر منهم ما ينافى الإيمان القويم أو يخالف ما تقرره البيعة من قوانين:

وفى تاريخ الكنيسة كثير من الأحكام التى أصدرتها ضد رجال الإكليروس- بطاركة وأساقفة وقسوس وشمامسة - لانحرافهم عن العقيدة السليمة، فلقد حكم مجمع نيقية علي أريوس القس الأسكندرى، وحرم مجمع أفسس الهرطوقي نسطور بطريرك القسطنطينية.

الأحكام الباطلة لبعض المجامع:

تعترف كنيستنا القبطية بما للمجامع من سلطان فى إصدار



الأحكام على المبتدعين، أو المخالفين لقوانين الكنيسة وقراراتها على أنها تعود فترفض الأحكام الخاطئة التى أصدرتها بعض المجامع المغرضة بدافع غير شريف- كالغيرة أو الحسد- ولو تسترت فى فعلتها هذه بستار الدين.

ونذهب إلى كنيستنا- ومذهبها الحق- إلى أن كل الأحكام والقرارات التى تصدرها المجامع ينبغى ألا تتعارض مع الكتاب المقدس أو أحكام العقيدة الصحيحة أو قوانين الكنيسة، وإلا أُعتبرت باطلة من أساسها .

وفى صفحات التاريخ، ماثبت لنا فى وضوح وجلاء، أن الكنيسة قد سارت على هذا المبدأ منذ القديم، إذ تم رفض الأحكام الظالمة التى أوقعتها بعض المجامع ظلما على بعض آباء الكنيسة المشهورين بسلامة الرأى وسلامة العقيدة وشدة التمسك بالإيمان السليم:

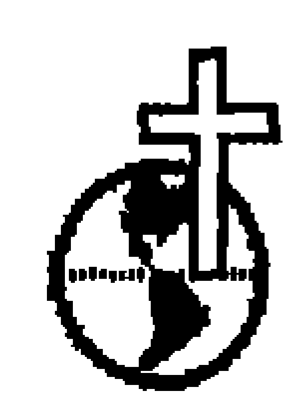
١- فلقد أصدر مجمع صور (المزور) المنعقد سنة ٣٢٤م، حكماً على أثناسيوس الرسولى حامي الإيمان، يقضى عليه بالعزل من وظيفته الكهنوتية وبالنفى أيضاً.



ذلك لأن أعضاء هذا المجمع الباطل كانوا من الأريوسيين المنحرفي العقيدة، ورغم تنفيذ هذا الحكم الباطل بأمر الأمبراطور إلا أن الكنيسة رفضته واعتبرته باطلاً ولم تُعْره أى التفات وبقيت متمسكة برئيسها الدينى العظيم البابا أثناسيوس الرسولي رغم نفيه!

٢- **والقديس كيرلس الكبير**- عمود الدين- الذى اشتهر بعلمه وفضله وقداسته وتقواه، والذى ترأس المجمع المسكونى الثالث، حكم عليه فى مجمع نفاقى عقده يوحنا بطريرك أنطاكية مع أساقفته النساطرة بالعزل والنفى أيضاً!. غير أن الكنيسة جمعاء قد رفضت هذا الحكم واعتبرته باطلا لبطلان الأساس الذى بُني عليه. وعادت فسطرت فى تاريخها مايتفق وكرامة هذا القديس، معترفة له بجهاده العظيم وفضائله الممتازة.

٣- **والبابا ديوسقورس الإسكندرى** الذى اعتبره التاريخ بطل الأرثوذكسية العظيم، والذى ترأَّس مجمع أفسس الثانى، قد حُكم عليه بالنفى فى مجمع خلكيدون، لأنه بقى متمسكاً بالإيمان السليم. ورفض تغيير عقيدته القويمة التى تسلمها من أبائه،



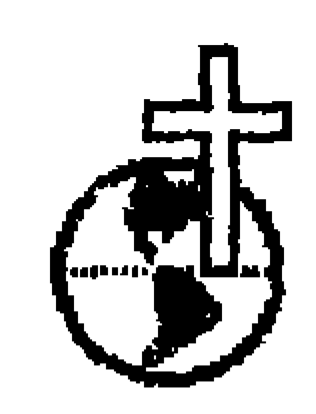
ورغم قيام الملك مركيان بتنفيذ الحكم ونفى القديس إلى جزيرة غاغرا، إلا أن الكنيسة قد شهدت بصحة عقيدته كما غبطته لحسن جهاده، ورفضت الحكم الباطل الذى صدر ضده، كما رفضت مجمع خلكيدون وعدته باطلا أيضاً![1].

٤- وهكذا رفضت الكنيسة أيضاً، الاعتراف بالحكم الذى أصدره مجمع القسطنطينية المكانى، على القديس يوحنا ذهبى الفم. ورغم أن البابا ثاؤفيلس الإسكندرى كان رئيساً لهذا المجمع الذى أصدر هذا الحكم، إلا أن الكنيسة عادت سريعاً فى عهد خليفته القديس كيرلس البطريرك الرابع والعشرين واعترفت ببراءة القديس يوحنا ذهبى الفم، كما قام القديس كيرلس بتسجيل اسمه فى«قائمة الآباء القديسين» الذين تُقرأ أسماؤهم أثناء القداس. ولازالت الكنيسة توقر هذا الأب وتعترف بقداسته وفضله وتقدره كل التقدير.

وتعترف بكل أقواله ومؤلفاته التى أدرجت بعضاً منها فى صلواتها وقراءتها الطقسية.

---

(١) راجع الفصل الخامس من القسم الخامس من هذا الكتاب.

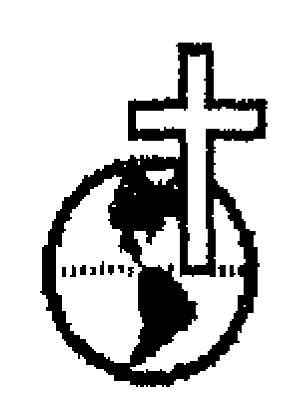


وفى«**الدسقولية**» ما يُثبت صحة وجهة نظر الكنيسة فى رفض الأحكام الباطلة لبعض المجامع المغرضة، إذ نرى فى الباب الخامس منها مانصه: «وأسقف يوجب القضية على أحد ظلماً فالنقمة تخرج من فمه على نفسه».

الكنيسة الغربية والمجامع المسكونية:

وثمة أمر آخر هام، نرى أن نشير إليه هنا فى إيجاز تام، ذلك هو مقاومة أساقفة روما لسلطان المجامع! . فرغم ماتثبته القوانين من أن سلطان الأساقفة مجتمعين[أى فى هيئة مجمع عام] فوق سلطان أى أسقف مهما عظمت قيمته أو كرامته، نراهم تاره يدعون وجوب عقد المجامع بأمر منهم!، وأخرى ينادون بضرورة تثبيت الأحكام لديهم!.

وثالثة الآثام فى موقفهم بإزاء المجامع، هو قيامهم بإدخال زيادة على قانون الإيمان الذى قرره مجمعا نيقية والقسطنطينية المسكونيين، الأمر الذى سنفصله بإسهاب، فى موضعه.



القسم الأول

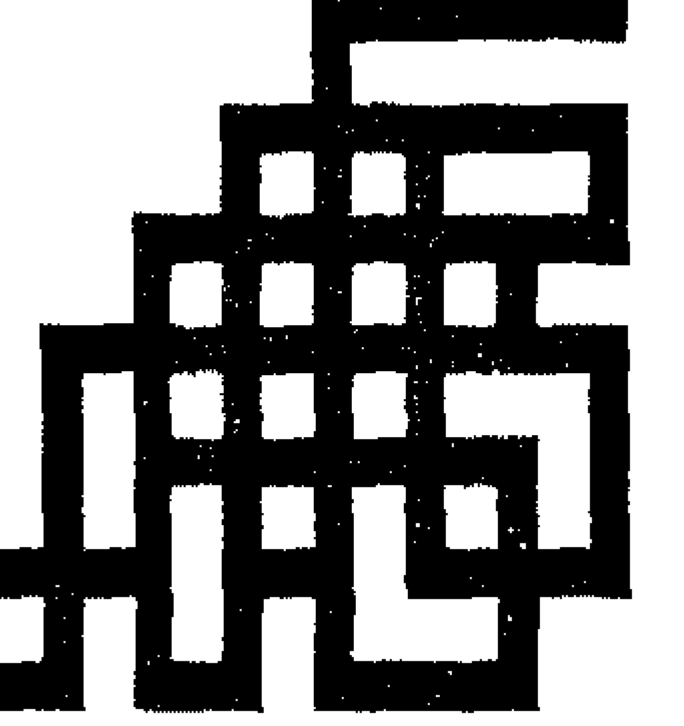
المجمع المسكوني الأول

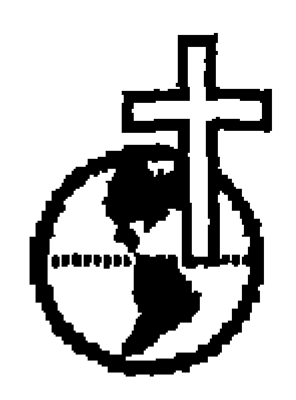
{المنعقد في نيقية - سنة ٣٢٥ م}

Nicene Council

«إذا كان بين المجامع متفوقين علي أترابه، فمجمع نيقية الأول، أحق المجامع بهذا التفوق، وأجدرها بأكبر التعظيم والإجلال، بفضل ما جمع من ميزّتي الأقدمية والتقديس» .

(دين ستانلي)





الفصل الأول

أسباب انعقاد المجمع

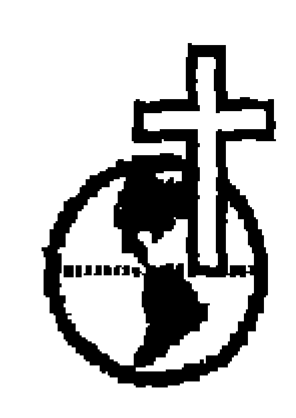
«إن الحكم فى قضايا الإيمان لا يختص بسلطة الملك، إنما خصه السيد المسيح بالأساقفة فقط!.»

الأمبراطور قسطنطين الكبير

كانت هناك دواع كثيرة، تتطلب عقد مجمع عام لإيجاد حل لها، بعد أن استراحت الكنيسة قليلاً من عصور الاضطهاد المتعاقبة، وما أن جاء السلام حتى فكرت الكنيسة فيما خلفته العصور الماضية من مشاكل هامة، تنحصر فيما يلى:

أولا: تحديد الأحتفال بيوم عيد القيامة(Easter):

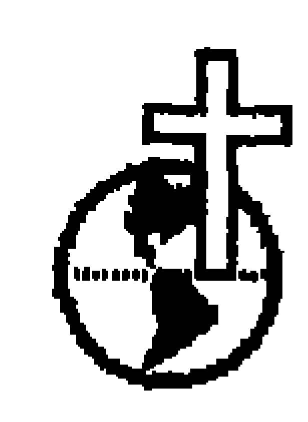
بدأ الخلاف بخصوص تحديد يوم عيد القيامة بين آسيا الصغرى وبين روما عندما أعلن بوليكربوس أسقف أزمير، ضرورة الأحتفال بذكرى الصليب فى يوم ١٤ نسيان العبرى والقيامة فى يوم ١٦ منه {وهما التاريخان اللذان تمت فيهما أحداث الصلب والقيامة}.



أما كنيستنا القبطية، فكانت تعتبر الأهمية فى المحافظة على الأيام عينهامن الأسبوع التى تمت فيها هذه الحوادث الجليلة، لا فى موعدها من الشهر العبرى، بمعنى أنهاكانت تحافظ على أن يكون ذكرى الصلب يوم الجمعة والقيامة يوم الأحد{وكثيراً ما جاء ١٤و١٦ نسيان العبرى فى هذين اليومين!} وكان أساقفة روما وأورشليم وأنطاكية يسيرون بحسب هذة القاعدة عينها.

على أن هذا الخلاف الطفيف لم يكن ليُكدِّر سلام الكنيسة، إذ يُثبت التاريخ أنه عندما ذهب القديس بوليكربوس أسقف أزمير إلى روما وفاوض أسقفها نيشيوس فى بعض الأمور، ومنها«تحديد عيد الفصح». فبالرغم من أنهما لم يتفقاعلى رأى واحد بخصوص هذه المسألة، إلا أن نيشيوس قدَّم بوليكربوس ليُقدّس القربان.

ولكن، في ختام القرن الثاني، أصر فيكتور أسقف رومية علي ضرورة أجبار أساقفة ومسيحيّي أسيا الصغري علي الاحتفال بهاتين المناسبتين السعيدتين يومي الجمعة والأحد،



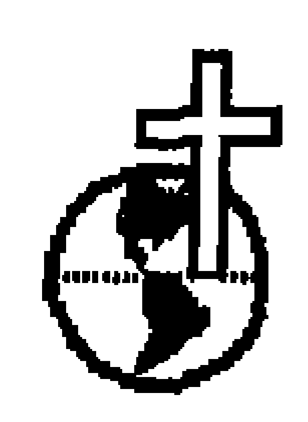
مع استمرار الصوم حتي يوم الأحد الذي تتـم فيـه ذكـري القيامة المجيدة.

لما أصرت كنـائس آسيا الصغري أيضاً علي عدم تغيير عادتها، هدد فيكتور بقطعهم من شركته! فجاوبته كنيسة أزمير بعقد مجمع من ٥٠ أسقفاً اعتبر فيكتور أسقف روما معتدياً، وقرر عدم الالتفات إلي تهديده!

وأخيراً، حاول الأنبا ديمتريوس الكرّام البابا الأسكندرى الثاني عشر، التوفيق بين الفريقين، فعمل على أن يُعيِّد المسيحيون بذكر الصلب في يوم الجمعة، والقيامة فى يوم الأحد، على أن يرتبط هذين اليومين بيومى ١٤و١٦ نيسان. فجمع لذلك علماء الإسكندرية الفلكيين- وكان بينهم بطليموس الفلكى الفرماوى- ووضعوا قاعدتهم المشهورة، وهى: أن يكون عيد الفصح المسيحى فى الأحد التالى لعيد فصح اليهود مباشرة(١).

وبالرغم من الوصول إلى هذا الحل، إلا أن الخلاف قد

١) راجع أوسابيوس، ك٥ ف٢٢- ٢٥.



بقى إلي أن فَصَل فيه مجمع نيقية المسكونى، حيث أقر مبدأ كنيسة الأسكندرية، كما سيجىء.

ثانيا: شقاق ملاتيوس أسقف أسيوط:

وثمة مشكلة ثانية تحتاج إلى الكثير من البحث والعناية، تلك هى أمر الشقاق الذى أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط. ولقد كان هذا الأسقف معاصراً للأمبراطور دقلديانوس مضطهد المسيحيين، الذى قبض عليه وأودعه السجن، فبدلاً من أن يعترف بإيمانه جهاراً لينال إكليل الشهادة ويكون فى ذلك قدوة لرعيته، ورغم أن البعض من إخوته الأساقفة ذهبوا اليه فى سجنه يحضونه على الثبات على الإيمان، إلا أننا نراه يضعف أمام الاضطهاد، ويخاف على حياته فيبخر للأوثان، مُنكراً ديانته!!. على أنه عاد فندم ورجع إلى ديانته المسيحية، ولكنه بدأ يرسم أساقفة بدون إذن من رئيسه البابا بطرس خاتم الشهداء، مغتصباً بذلك حقاً من حقوقه!.

ويبدو أنه قد تمادى فى عصيانه، فرسم حوالى ٣٠ أسقفاً، فاضطر البابا بطرس خاتم الشهداء إلى **عقد مجمع مكانى** (بالاسكندرية) قرر حرمه وأساقفته معه، ولكن



ملاتيوس العاصى لم يخضع لحكم المجمع واستمر فى طغيانه، فحدث تبعاً لذلك شقاق بينه وبين بطاركة الكرازة المرقسية الذين عاصروه، فيما بعد.

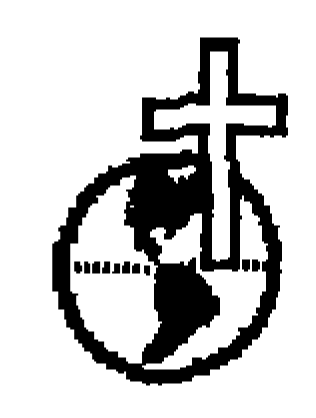
ثالثا: إعادة معمودية الهراطقة:

ومسألة ثالثة هامة ظهرت فى الكنيسة فى القرن الثالث، تلك هى مشكلة إعادة معمودية الهراطقة، وقبول العائدين منهم إلى حُضن الكنيسة المقدسة.

حدث هذا الخلاف بين كبريانوس أسقف قرطاجنه واستفانوس أسقف روما، إذ قرر الأول فى رسالته التاسعة عشرة: «إن المعمدين من يد الهراطقة هم وحدهم الذين يجب إعادة معموديتهم.، أما الذين قبلوا العماد من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح لا يعاد».

ولكن استفانوس أسقف روما (٢٥٣ –٢٥٧م) لم يعجبه هذا الرأى، إذ كان ينادى بعدم جواز إعادة المعمودية اطلاقاً.

وبدأت المسألة تتحرج بعقد كلٍ من الفريقين بعض المجامع المكانية لتدعيم رأيه، وإذ كانت الغالبية تقف فى جانب كبريانوس



هدده استفانوس أسقف روما بالحرم إن لم يمتنع عن تعميد الهراطقة عند اعتناقهم المسيحية! فعقد كبريانوس مجمعاً في قرطاجنة عام ٢٥٥م حكم« بضرورة إعادة عماد الهراطقة ومن تعمد على يديهم ممن يرجعون إلى المسيحية، أما إذ كانوا معتمدين في الكنيسة وسقطوا في كُفر أو هرطقة، فحكموا بعدم إعادة معموديتهم» {رسالة ٧٢ لكبريانوس}.

ولما ازدادت شقة الخلاف تدخل القديس ديوناسيوس البطريرك الأسكندرى بما أوقف النزاع، إذ أرسل لأسقف روما رسالة أبان له فيها أن جميع الكنائس في كل مكان قد أجمعت على رأى واحد يخالف رأيه{أوسابيوس ك٧ ف٢}.

وهكذا استمر هذا الخلاف بين أساقفة روما والكنائس الشرقية إلى أن أصدر المجمع النيقاوى قراره فيه.

كل هذه المشاكل كانت تحتاج إلى الكثير من الدراسة والعناية حتى يمكن إزالتها، فتتفرغ الكنيسة بعدئذ لرسالتها، في سبيل كمال نشر دعوتها.

على أن أمراً خطيراً حدث بعدئذ فكان هو السبب المباشر لعقد المجمع المسكونى الأول، ذلك هو: «بدعة أريوس!».



الفصل الثانى

بدعة أريوس (Arius)

«جاء على العالم لحظة، اعتقد فيها أنه سيُصبح يوماً يجد نفسه فيه أريوسياً!!» .

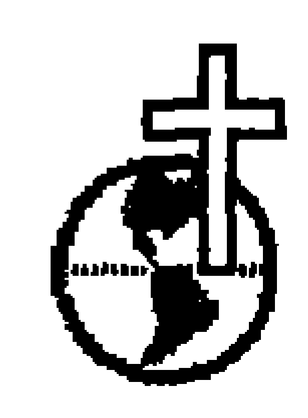
(القديس إيرونيموس Jerome)

مقدمة:

تعليم غريب عن الإيمان، نادى به القس الليبى أريوس وبدأ يبثه فى كل مكان، بما عُرِف عنه من قوة فى الدعاية وسحر فى الحديث وجاذبية فى البحث والشرح، وسرعان ماكون لنفسه حزباً من معتنقي تعاليمه الفاسدة قوامه كثير من الرجال ذوى المكانة السامية: ديناً ومدنياً، ليس من بلدته فقط، بل من كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية!

من هو الهرطوقى أريوس ؟!.

رجل مُصّفر الوجه، طويل القامة، حاد المزاج، متوقد

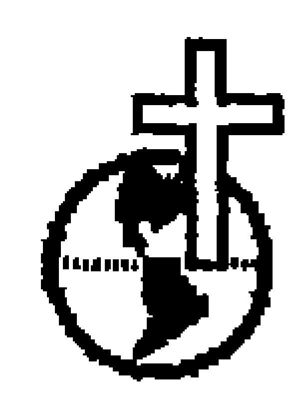


الذهن، ضعيف البصر، طموح، محب للإرتقاء، وُلِد في قيرين بشرق ليبيا عام ٢٧٠م، درس الكثير من العلوم والمعارف ثم نزح إلى الإسكندرية حيث التحق بمدرستها اللاهوتية المرقسية. فأظهر في دراسته بها نبوغاً كبيراً، وعندئذ بدأ يسعى لنوال درجات الكهنوت، ظانا أن في نبوغه وفصاحته مايبرر ذلك!.

حاول الانضمام إلى ملاتيوس أسقف ليكوبوليس {أسيوط} محرضاً إياه على الإمعان في العصيان وشق عصا الطاعة على رئيسه القديس بطرس خاتم الشهداء، ولكنه بعدئذ أدرك أن مثل هذا العمل سوف لا يوصله إلى هدفه في الارتقاء إلى الدرجات الدينية الرفيعة، وهنا ترك ملاتيوس وتصالح مع البابا بطرس. مُظهراً خضوعه. فسامه شماساً سنه ٣٠٦م، ثم قساً!!

تعاليمه الفاسدة:

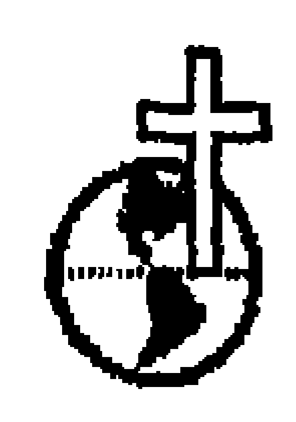
بدأ أريوس بدعته في عهد البابا بطرس خاتم الشهداء،



وتنحصر تعاليمه فى إنكار لاهوت السيد المسيح وادعائه أنه مخلوق، وغير مساوٍ للآب فى الجوهر، وكأنى به أراد أن يتجنب بدعة سابليوس أسقف بتولمايس{بالخمس مدن الغربية بلبيا} فسقط فى بدعته هذه التى جاءت أشنع وأفظع(١) !.

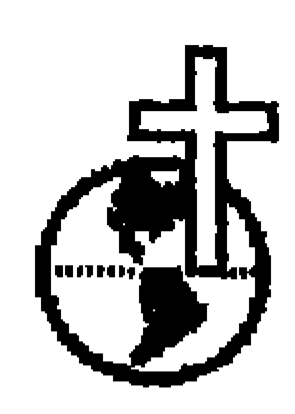
وعندما وقف البابا بطرس على بدعة أريوس هذه، حاول أن يُثنيه عنها، فلم يقبل. وعندئذ لم يكن بُد من حرمه، ولكن عندما أُلقَي القبض على البابا وأُودع السجن بدأ بعض أعوان أريوس فى التوسُّل إليه، ليقبله ويحله من حرمه، فرفض ثم استدعى تلميذيه آرشلا واسكندر وقال لهما: «الله

١) تنحصر بدعة سابليوس فى أن الله أقنوم واحد، أعطى الناموس لبنى اسرائيل بصفة أب، وصار إنسانا فى العهد الجديد بصفة إبن، وحل على الرسل فى علِية صهيون بصفة الروح القدوس، وقد عُرِف أتباع هذه البدعة«بمؤلي الآب»، وذهب هذا المبتدع إلى روما فساعده على نشر بدعته أسقفها زفيرينوس{٢٠٢-٢١٨م} وكذا فعل خلفه كاليستوس {٢١٨-٢٢٣م}. على أنه عندما عاد إلى مصر، حاول البابا ديونسيوس الإسكندرى إرجاعه عن ضلاله، فلما لم يقبل عقد مجمعاً بالإسكندرية عام ٢٦١م وحرمه هووبدعته.



السموات يعينني على إكمال شهادتي، فلن تعودا ترياننى بعد هذا اليوم فى الجسد، وأنت يا أرشلاوس القس تكون بطريركاً بعدى وأخوك الكسندروس بعدك، ولا تقولا إنى عديم الرحمة من أجل أريوس، فإن فيه مكراً مخفياً، ولست أنا الذى حرمته بل السيد المسيح، لأنى فى هذه الليلة لما أكملّت صلاتى ونمت، رأيت شاباً قد دخل علىّ ووجهه يضيء كضوء الشمس، عليه ثوب متشح به إلى رجليه وهو مشقوق. وقد أمسك بيده القطعة الممزقة، فصرخت وقلت يا سيدى: «من الذي شق ثوبك؟» فأجابني: «أريوس هو الذى مزّق ثوبى فلا تقبله! واليوم يأتيك قوم طالبين إرجاعه فلا تطعهم، وأوصى أرشلاوس والكسندروس بأن يمنعاه من شركتهما!!» .

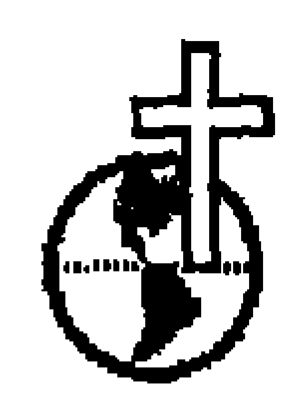
على أنه عندما تبوأ البابا أرشلاوس (Achilla) الكرسى الإسكندرى عام ٣١٢م ظهر أمامه أريوس المبتدع بمظهر التقوّى والندم على مافرط منه، وفى الوقت نفسه تقدم بعض أنصاره يلتمسون من البابا قبوله. فقبله مخالفاً بذلك وصية سلفه!



ولكن سرعان ما تم تنصيب البابا ألكسندروس، إذ لم يبقِ أرشلا على كرسي البطريركية سوى ستة أشهر فقط.

فحرم أريوس وناهض بدعته، فلم يكن من الأخير إلا أن أرسل للبابا بعض أعوانه لتقريب وجهة النظر بينهما، فنظر إليهما البابا الكسندروس وقال: «قولا لأريوس: أوصاني أبي ألا أقبلك، فلا تدخل إليَّ ولا أجتمع بك، وذلك بحسب أمر السيد المسيح، فاعترف للمخلص بخطيئتك فإذا قبلك فهو يأمرني بقبولك!»

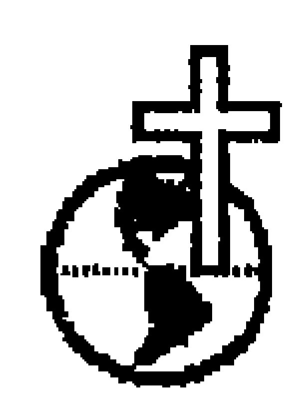
منذ ذلك الحين بدأ أريوس في نشر ضلالته جهاراً. كما بدأ في مقاومة البابا ألكسندروس، فبينما كان الأخير يعظ يوماً عن سلطان السيد المسيح في إقامة الموتى، مبيناً أن الكلمة إبن الله مساوٍ للآب وأن له طبيعةً وذاتاً واحدة مع الآب، وإذا بأريوس في مكان آخر يعظ على الآية القائلة: «أبي أعظم مني» {يو ١٤:٢٨}، منددًا برأي ألكسندروس، ومُنادياً بأن السيد المسيح غير مساوٍ للآب في الجوهر، بل هو مخلوق بإرادة الآب! .. ولكي يُروّج أريوس لبدعته، نظم



تعليمه في مقطوعات شعرية، ضمنها كتابه المسمى«ثاليا» ⲑⲁⲗⲓⲁ ولقنها لأتباعه فأذاعوها بين العامة، لما للتلحين من أثر كبير فى نفوس السامعين (وكما تفعل الطوائف المُحدثة الآن).

ولم تمضِ فترة، حتى ذهب الكثيرون من أفراد الشعب يشكون للبابا ألكسندروس إنحراف أريوس عن الإيمان، فجمع البابا مجمعاً محلياً بالإسكندرية من الأساقفة الأقباط والليبيين سنة ٣١٩م وعرض الأمر عليه ثم أصدر كثيراً من الرسائل والمنشورات التي توضح عقائد الإيمان القويم، مُظهراً للأريوسيين وجوب الرجوع إلى الرأى السليم (Orthodox). وإذا لم يرتدع أريوس وأتباعه ، عقد مجمعاً مكانياً آخر بالإسكندرية عام ٣٢١م حضره حوالى ١٠٠أسقف من مصر وليبيا، حيث حكم بتجريد أريوس من رتبته الكهنوتية وحرم كل أتبعه وتعاليمه الفاسدة.

تم اتصل البابا الكسندروس بسميّه بطريرك القسطنطينية، مظهراً له فسادالضلالة الأريوسية، وشارحاً له العقيدة

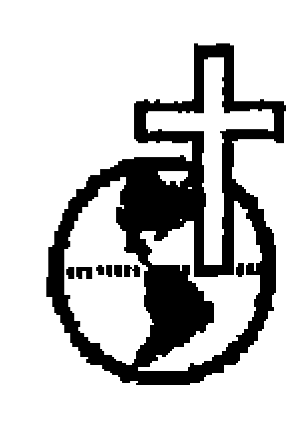


الأرثوذكسية بقوله:«نؤمن مع الكنيسة الرسولية بالآب الواحد الذى لم يولد ولم يتغير، ولأبد من وجوده، ونعترف بإبن واحد هو السيد المسيح إبن الله الوحيد الجنس الذى وُلد من الله الآب الحى- لا من العدم - بل بنوع لا يُدَرك ولا يُعَّبر عنه[1]».

ترك أريوس الإسكندرية إلى فلسطين وآسيا الصغرى حيث يوجد بعض أصدقائه من الأساقفة الذين انخدعوا بأرائه، وسمحوا له بنشرها، ثم اتصلوا بالبابا الكسندروس راجين قبول أريوس، ولكن الأخير رفض ذاكراً أنه لا يمكن قبوله مادام باقياً علي ضلاله الذي يناقض قول يوحنا الإنجيلي: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو ١:١).

اقتنع بعَض الأساقفة بينما عقد البعض الآخر مجمعين متتالين فى عام ٣٢٢م، ٣٢٣م قرروا فيهما قبول حُكم البابا ألكسندروس، وعاد أريوس للإسكندرية دفعة ثانية ينفث سموم تعاليمه مُمعناً فى عناده وضلاله، فطرده البابا مرة ثانية، فعاد إلى حيث كان.

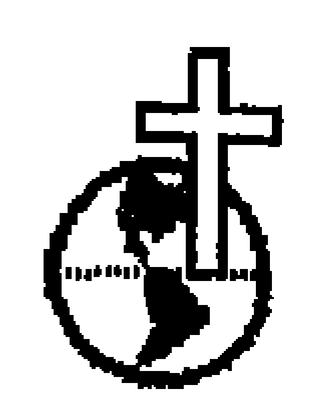
١) ثيؤدوريتس، تاريخ الكنيسة، ك ١ ف ٤ و ٥.



وهنا اتصل أوسابيوس أسقف نيكوميديا بالأمبراطور قسطنطين راجياً وساطته لحل هذا الخلاف بين البابا الكسندروس وأريوس المبتدع. فانتدب الامبراطور القديس أوسيوس أسقف قرطبة الذى أتى إلى الإسكندرية ورغم ما بذله من جهود، إلا أنه لم يفلح في مهمته، فعاد إلى الأمبراطور، حيث شرح له سبب الخلاف، طالباً منه عقد مجمع مسكونى عام لعلاج هذه المشكلة الخطيرة التى تسببت فيها بدعة أريوس، وأصبحت تهدد كيان ووحدة الكنيسة بأسرها.

نهايته الوخيمة:

بعد أن حكم المجمع النيقاوى بحرم أريوس ـ كما سيجىء ـ نُفِي إلى الأليريكون، ولكنه تمكن من الرجوع إلى الإسكندرية بعد نفى البابا إثناسيوس إلى تريف (Trève) فرفضه الإكليروس والشعب، وخاف الوالى من حدوث ثورة نتيجة لوجوده فأرسله إلى القسطنطينية حيث استطاع بمعاونة بعض أتباعه، من مقابلة الأمبراطور قسطنطين، وفى رياء وخداع أظهر له أنه متمسك بالإيمان المستقيم. فأمر الأمبراطور بقبوله!!

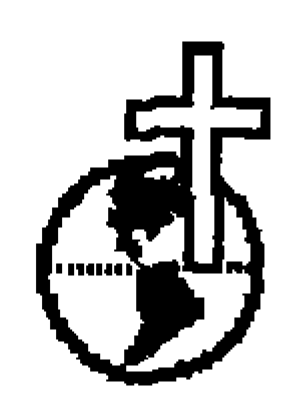


كما حاول الأنبا اسكندر بطريرك القسطنطينية توضيح خداع أريوس وعدم استطاعته قبوله، غير أن الملك بقى مُصرّاً على تنفيذ أمره. وحدد لذلك يوماً معلوماً.

ذهب اسكندر البطريرك ويعقوب أسقف نصيبين إلى كنيسة إيرينى، وصليا بدموع إلى الله كى يرفع عن كنيسته هذا السخط، وكان البطريرك يطلب منه تعالى أن يميته قبل أن يرى أريوس مصلياً فى إحدى كنائسه!

وفى مساء اليوم المحدد لمجىء أريوس، أحضروه باحتفال عظيم، وماأن دنى من الكنيسة حتى شعر بمرض مفاجىء وأحس كأن أحشاءه تتمزق! وهكذا قضى نحبه واستراحت الكنيسة من شره!.

وماأعظم ماقاله سقراط المؤرخ (فى ك١ف ٦٨) «أمات الله أريوس فى مرحاض عمومى، حيث اندلقت أمعاؤه! وقد اعتبر الشعب هذه الميتة انتقاماً من العدل الإلهي لهذا الهرطوقي».



الفصل الثالث

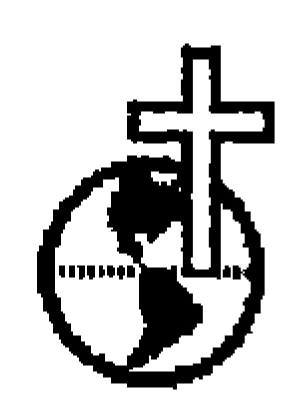
الشخصيات الهامة فى المجمع

«إن فصاحة أثناسيوس فى المجمع النيقاوى، قد جرت عليه كل البلايا التى صادفها فى حياته!.»

المؤرخ سقراط [ك٢ ف٨]

لا مناص لنا، ونحن نعرض للمجمع المسكونى الأول، من أنه نُلقِي نظرة فاحصة على تلك الشخصية الفريدة، التى كان لها فى مجمع نيقية شأناً كبيراً وخطيراً، تلك هى شخصية القديس«أثناسيوس الرسولى».

لقد قضى حياته في مناضلة الأريوسيين، وصرف أثمن أوقاته فى مناهضة المبتدعين، متحملاً فى سبيل ذلك النفى والتشريد والأمتهان، فاستحق أن يُدَعى بجدارة: «الرسولى» و«حامى الإيمان!!.»



أجل، إن ثمة نظرة بسيطة لحياة هذا القديس العظيم كافية لأن تُرينا كيف يكون الجهاد في سبيل الإيمان، بل كيف ينبغي علينا أن نحافظ على ما تسلّمناه من تراث خالد، ضحى في سبيله آباؤنا القديسون بالنفس والنفيس حتى أوصلوه إلينا نقياً سليماً؟

كان أثناسيوس الرسولى بمثابة الحارس الأمين للمسيحية في العالم! إذ بينما بدأ الكثيرون ينحرفون نحو الأريوسية البغيضة، نراه يقف وحيداً في ميدان الجهاد، مُكرساً وقته وماله ومواهبه. ومضحياً بمركزه وكرامته ودمائه، لا لشيء إلا ليُعيد العالم دفعة ثانية إلى الحياة المسيحية القويمة، وماأعظم ذلك المثل الذى قيل عنه: **«كل العالم ضد أثناسيوس؛ وأثناسيوس ضد العالم!!.»** (Athansius Contra Mundum)

نشـــأته:

وُلِد القديس أثناسيوس الرسولى عام ٢٨٦م بمدينة الإسكندرية، من أبوين وثنيين، ثم مات والده وهو صغير

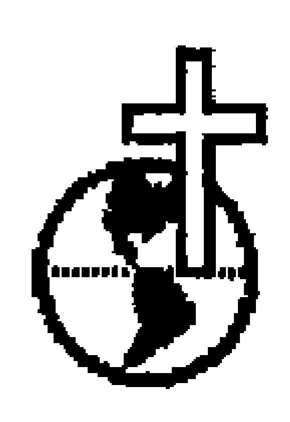


السن. فقامت أمه بتربيته، على أنه كان يميل منذ صغره إلى مُعاشرة المسيحيين ومخالطتهم، فاستطاع بذلك أن يعرف شيئاً عن الديانة المسيحية، وعن مبادئها السامية.

ولما بلغ سن الرشد أحبت والدته أن تُزَوِّجه غير أنه رفض. وأوضح لها شيئاً عن الزُهد والبتولية، مما تدعو إليه المسيحية، وهنا حاولت والدته أن تثنيه عن عزمه، مُقدِّمةً له كل وسائل الإغراء الممكنة، ولكنها في كل مرة، كانت تلمس في تصرفاته درساً جديداً من دروس المسيحية!

وأخيراً، ذهبت مع ابنها إلى البابا إسكندر وقصت الأمر أمامه. فُسَرَّ كثيراً بأثناسيوس، وبعدما قام بتعميدهما، استبقى الفتى لديه تحت رعايته في الدار البطريركية.

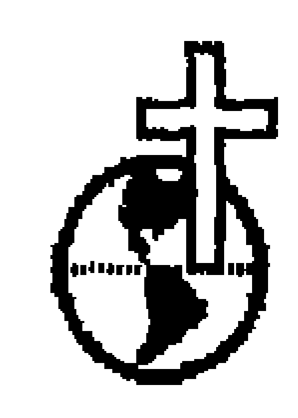
والتحق أثناسيوس بالمدرسة المرقسية اللاهوتية بالإسكندرية. وهنا ظهرت بعض مواهبه، فداوم على الدراسة والاستذكار بجد ونشاط حتى نبغ نبوغاً عظيماً، وفاق كافة أترابه في العلوم اللاهوتية والفلسفية، وليس أدل على ذلك من



أنه قد أصدر عام ٣١٨م ـ وهو لا يزال طالباً ـ كتابه الأول «رسالة ضد الوثنيين»!! امتازت بغزارة المادة وقوة الحُجة.

ولما اتم دراسته اللاهوتية، ذهب إلى البرية الشرقية ليدرس التقوَّى العملية، وهناك تتلمذ للقديس أنطونيوس أب الرهبان وكوكب البرية . فتعلم منه مباديء الحياة النُسّكية.

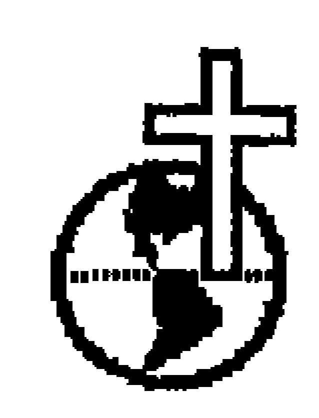
وجاء فى دائرة المعارف البريطانية (مجلد ٢ص ٨٢٨) (Encyclopeadia Britannica V., 11.p 828) مانصه: «إن أثناسيوس وُلِد فى الإسكندرية، ومن الأمور المؤكد وضوحها أن الإسكندر البابا ١٩ مُربّيه، أخذه صغيراً إلى بيته ووظفه سكرتيراً خاصاً له، وكان ذلك حوالى سنة ٣١٣م .... ومن غير شك أنه كان طالباً بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، وأن الاضطهاد الذى قاسته الكنيسة بالإسكندرية فى ذلك الوقت. وصداقته إلى الراهب العظيم أنطونيوس، كان لها التأثير على عاداته وكانت واسطة لتُقوّى فيه الأخلاق القويمة، وروح الإيمان العالية التى امتاز بها دون سواه.»



ولمس البابا اسكندر ماوصل إليه أثناسيوس من علم وتقوى.فرسمه شماساً عام ٣١٩م، ثم رئيساً لشمامسة الكرسي البطريركي، وإذ كان أثناسيوس يظهر كفاءة نادرة فى كل وظيفة يصل إليه، عينه البابا مساعداً له. وكثيراً ما كان يحيل إليه أعقد المشاكل والمعضلات ليبحثها ويكشف عن غوامضها، ويجد حلاً لها.

ولما ظهرت الضلالة الأريوسية، شمر أثناسيوس عن ساعد الجد، وبدأ يدحضها ويثبت صحة الإيمان القويم، وبقى هكذا إلى أن عُقِد المجمع المسكونى الأول في نيقية فاستصحبه البابا اسكندر معه إلى هناك، حيث لعب دوراً هاماً، كان له أكبر الأثر فيما اتخذه المجمع من قرارات، كما سيجيء بعد قليل.

وقد كتب بعض الآباء الذين حضروا المجمع النيقاوى وصفاً للقديس أثناسيوس قالوا فيه: «كان يبلغ من العمر نحو الثلاثين. قصير القامة رقيق البنية. وإن كان له جبهة عريضة

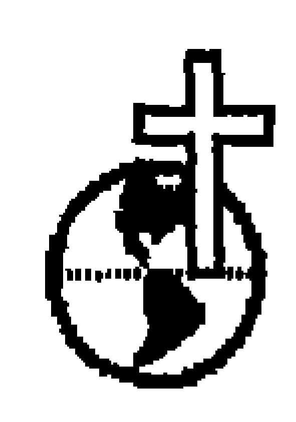


ويضىء وجهه بنور النعمة. وتُفصح عيناه عن إرادة قوية ويخرج منها بريق لهب نفاذ كالسيف. وكان يتجلى فيه التواضع والقوة الروحية اللذان كانا ينسجان حوله هيبة خاصة. وكان أعضاء المجمع يتشوقون إلى سماعه بذلك الإنتباه الذى كانوا يعيرونه لشيوخ الكنيسة ومعلميها الذين أفنوا أعمارهم فى دراسة الحكمة»(١).

ووصفه العلاّمة دين ستانلى Dean Stanley فى كتابه السابق: (Lectures on History of the Eastern Church) بقوله: « كان قصير القامة جداً حتى أشار إليه يوليانوس بالقزم، تعبيراً وتقريعاً! ولكن غريغوريوس النزينزى يؤكد لنا أنه «حسن الطلعة جميل المُحّيا، عليه سمات التقوّى والورَع، يُخّيل للرائى أنه ملاك من الملائكة!..»

«وينقل عنه أنه كان أيضاً محدَودَباً بعض الأحديداب، ذا أنف مُقّوس، وفم دقيق، ولحية قصيرة بشاربين كبيرين، وكان ذا شعر خفيف أسمر اللون، ضارب إلى الحُمَرة».

١) راجع كتاب، صور في تاريخ القبط، ص ٧٧ .



وأراد القديس غريغوريوس النزينزى أن يوضح شيئاً من صفات أثناسيوس النادرة، فقال عنه مانصه:«منصف فى الثناء على المُحسن، وفى لوم المسىء على حسب مقتضى الحال، يهز الجليد ويحرض البليد، ويقمع نخوة المتحمس وينزع جمحات المتهوس، حريص فى توقى الداء، كما هو حريص فى الإستشفاء، واحد لا يتغير فى مبادئه الشريفة، كثير الأفكار فى الطرائق المواصلة إلي مقاصده العظيمة، حكيم فى مقالته وأكثر حكمة فى غايته..... جامع فى شخصه محاسن الصفات، كريم، مجير، موثق عُرَي المودة بين الناس، مُحب للسلام، مُبغض للخصام».

تنصيبه بطريركاً:

فى أواخر عام ٣٢٦م وقبلما ينتقل البابا إسكندر، أوصى بانتخاب أثناسيوس خليفة له على الكرسى المرقسى، فما أنه انتقل، وأحس أثناسيوس بهذه الرغبة لدى الرعاة والرعية معاً، حتى هرب إلى البرية، لشعوره بعدم أهليته



لتحمُّل أعباء هذا المنصب الخطير، ولكن الشعب بدأ يبحث عنه إلى أن وجده وأحضره، ثم نصبوه بطريركا بين مظاهرالفرح وتهليل، ولأول مرة يجتمع ٥٠ أسقفاً من أساقفة الكراسى المجاورة لرسامة القديس أثناسيوس الرسولى الشاب.

وكم حاول الأريوسيون أن يحولوا دون بلوغ أثناسيوس هذا المنصب العظيم. إذ كانوا يدركون مدى ماينتظرهم من تهديد ومقاومة منه، ولكنهم لم يفلحوا، وباءت مساعيهم بالفشل التام.

وفى الوقت الذى ارتقى فيه أثناسيوس كرسى القديس مرقس، رأى القديس باخوميوس الناسك المصرى رؤيا خاطبه فيها روح الله بقوله :«إنى قد أقمت أثناسيوس عموداً ونوراً لكنيستى، وستناله شدائد وتُلقي عليه تُهَم كثيرة لأجل مناضلته عن حق الديانة، إلا أنه بالقوة الإلهية يظفر بكل التجارب، ويبشر الكنائس بحق الإنجيل!» (١)

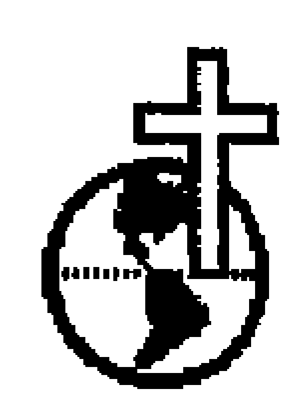
(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا (طبعة المحبة) ص ١٤٩ .



رسامته أول أسقف لأثيوبيا:

يُثبت التاريخ أن متى الأنجيلى هو أول من نادى بالمسيحية فى بلاد الحبشة، حتى أنه مات هناك بطعنة رُمح، على أن الديانة المسيحية لم تثبت هناك رسمياً إلا فى أيام القديس أثناسيوس الرسولى.

وقد حدث ذلك، عندما سافر ذات يوم شخص يُدعىَ فريمونات الصورى مع شقيقه أيدوس وعمهما ميروبيوس فى رحلة إلى بلاد الهند، وقد استقلوا سفينة مع آخرين، وبينما هم يسيرون فى البحر الأحمر احتاجوا إلى طعام فمالوا ناحية البر. وهناك هجم عليهم البرابرة وقتلوا كل من فى السفينة. ولم ينجُ سوى الأخوين فريمونات وأيدوس اللذين اختفيا تحت شجرة وبدأ يصليان ويقرآن فى الكتاب المقدس منتظرين نجاة الله، وما أن وقع نظر البرابرة عليهما حتى أمسكوهما، وإذ رأوا ماحباهما الله به من جمال أسروهما وقدموهما هدية لملكهم، الذى كان يقطن مدينة أكسوم

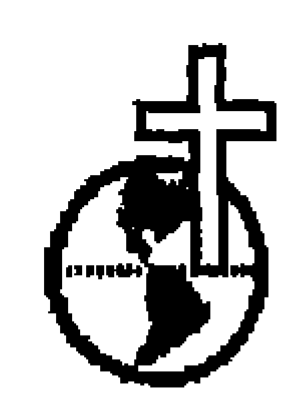


{عاصمة أثيوبيا فى ذلك الحين}، فعين الملك أيدوس رئيساً لسقاته وفريمونات أميناً لخزائنه.

وبقي الأخوان هكذا إلى أن مات الملك، فأُعتقا من الأَسر، غير أن الملكة رغبت فى بقائها ليساعداها فى تربية أولادها الصغار، وهنا بدأ الأخَوان يستخدمان نفودهما فى نشر الديانة المسيحية وجذب الأحباش إليها، ولقد ساعدهما فى ذلك بعض التجار المسيحيين الذين كانوا يأتون إلى الحبشة (إثيوبيا) فلقيت الدعوة المسيحية نجاحاً عظيماً ..!

ولما انتهيا من مهمتها تركا البلاد الأثيوبية ليعودا إلى وطنهم، غير أن فريمونات عز عليه أن يترك الخدمة التى بدأ بها فى بلاد أثيوبيا هكذا دون عناية أو رعاية. وبعد أن فكر كثيراً استقرا رأيه على مقابلة البابا أثناسيوس الرسولى وعرض الأمر عليه ليتعهده برعايته.

ولم تمضِ أيام قليلة، حتى كان فريمونات في حضرة القديس أثناسيوس يقص الأمر عليه، ويُحمّله مسئولية



الكرمة الجديده. وهنا قال القديس لفريمونات:«ومن،أين لنا برجل مملوء من روح الله يدرك كل احتياجات كل البلاد مثلك؟!»

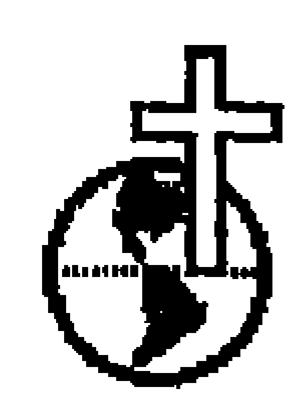
وبين مظاهرالفرح والسرور قام البابا برسامته أسقفاً على بلاد أثيوبيا بإسم «الأنبا سلامه» وكان ذلك فى عام ٣٣٠م.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت الأمبراطورية الأثيوبية جزءاً لا يتجزأ من الكرازة المرقسية، يتعهدها بابوات الإسكندرية بالرعاية اللازمة. ورسامة الأساقفة لها، كلما دعت الحاجة.

نفيه للمرة الأولى إلى تريڤ (Trèves):

قضى القديس أثناسيوس أكثر سنى حياته فى جهاد مضنى ضد الأروسية والأريوسيين، واحتمل فى سبيل ذلك كثير من الآلام، بل لقد نُفَي وابتعد عن كرسيه خمس مرات وهكذا رسم لنا طريق الجهاد الملىء بالأتعاب والأشواك!

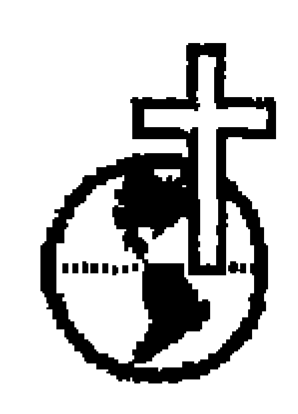
انتهز الأريوسيون فرصة انتقال البابا اسكندر البطريرك



الأسكندرى. وبدأوا يسـعـون لإعـادة أريوس من منفـاه، مستعينين فى ذلك بقسطنديا أخت الأمبراطور قسطنطين التى كانت تعترف دوماً على يد قس أريوسى، وأخيراً تمكنوا من اقناع الملك. فاستدعى أريوس عام ٣٢٩م حيث قدم صورة إيمانه ملتبسة. فأصدر قسطنطين أمراً بتبرأته والعفو عنه وعن الأساقفة الأريوسين الذين نُفوا سابقاً.

ولما اجتمع هؤلاء عقدوا مجمعاً عام ٣٢٩م فى أنطاكية وأصدرو حكماً بحل أريوس ووجوب إعادته إلى خدمته. وقام أريوس أسقف نيكوميديا، وتيوغنيس أسقف نيقية بالكتابة إلى أثناسيوس يبلغاه قرار هذا المجمع ويطلبان قبول أريوس، ولكن البابا رفض ذلك رفضاً باتاً. وكتب للأمبراطور يقول:«إننى لا يمكنى أن أقبل فى كنيستى رؤوس الهراطقة المحرومين من المجمع النيقاوى. وإن الكنيسة عموماً لا تقبل فى شركتها أُناساً ينكرون ألوهية يسوع المسيح».

عندئذ أعلن الأريوسيون الحرب على القديس أثناسيوس

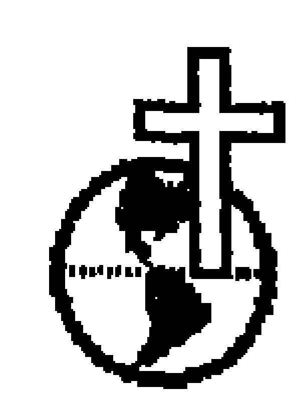


ووشـوا به لدى الملك قـائلين إنه يسـاعـد أحـد القـواد (فيلومينوس) ليشق عصا الطاعة على قسطنطين!

ولما تمكن القـديس من دفـع هذه الفـرية بما أقنع الملك ببراءته، قاموا مرة ثانية وعقدوا مجمعاً فى مدينة صور عام ٣٣٤م وطلبوا حضور أثناسيوس ليدافع عن نفسه، فحضر، وإذ كـان جُل أعـضـاء هذا المجـمع من الأريوسيين، لم ينل القديس الأحترام الائق به، وهنا بدأوا يقدمون افتراءاتهم الواحدة تلو الأخرى وهي:

أولا: ادعَّوا عليه أنه كسر كأس القس أسكيرا الهرطوقى[1] وهدم مذبحه، ولكن رغم اتفاقهم مع هذا القس سراً لتثبيت تهمتهم، إلا أنه ندم، على موافقتهم وحضر المجمع بنفسه وبرأ القديس أثناسيوس!!.. ثم وقّع بخط يده

١) هو أحد القسوس الذين قبلوا الرسامة من يد قس أخر يدعى كمونومس انشق عن الكنيسة وبدأ يرسم قسوساً من العلمانيين!.. وقد حوكموا أمام مجمع عُقِد بالإسكندرية وجُرِّدوا من رتبهم الكنسية - راجع كتاب تاريخ الكنيسة القبطية لمنسى يوحنا ص١٤٥.



على وثيقة ومعه ١٢ قساً من الإسكندرية ومريوط قال فيها: «يشهد الله أن لا علم لى بما تقولون عن هذه التُهمة التى لفقها بعضهم، بل إننى أصرح جهاراً بعدم وجود كأس كسرها أحد أو أن شخصاً ما مد يده بسوء نحو شيء من متاع كنيسة لا معرفة لى بوجودها، ولكنى أقول الحق وهو أن بعضهم اضطرنى اضطراراً للإقرار بتلك التُّهمَة الملفقة»!

ثانياً: ادعوا عليه أيضاً بأنه قتل الأسقف أرسانيوس {أسقف شطب بأسيوط} وقطع ذراعه واستخدمها في السحر! ولأن هذا الأسقف كان على قيد الحياة، اتفقوا معه على الأختفاء وأحضروا ذراع أحد الموتى لإثبات التهمة أمام المجمع، ولكن أرسانيوس الأسقف عاد بعد قليل إلى صوابه إذ أنبه ضميره، ورأى ضرورة الذهاب إلى صورة لمقابلة البابا أثناسيوس كي يستسمحه على فعلته هذه، فوصل قبل تقديم هذه التهمة بليلة واحدة! فاستبقاه القديس سراً فى غرفة مجاورة، ولما عُرِض الأمر على المجمع قال أثناسيوس:

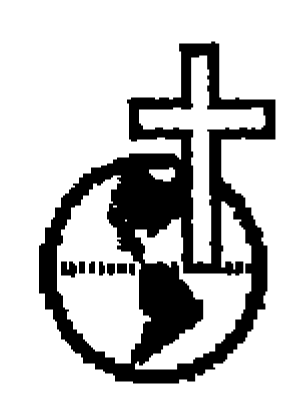


«من منكم يعرف الأسقف أرسانيوس؟» فقالوا: «كلنا نعرفه» فأحضره البابا فى وسطهم، ولما اعترفوا أنه هو بعينه كشف القديس رداءه وأظهر يديه الأثنتين وقال لهم:«لمن إذن هذه اليد الثالثة المقطوعة؟؟!!..»

وهنا شعر الأريوسيون بالخِزىَ والعار، ولكى يبرروا موقفهم طفقوا ينادون قائلين :«إن أثناسيوس ساحر. وأرادوا الفتك به وقتله، غير أن الأمير ديوناسيوس الذى كان حاضراً فى المجمع أنقذه من أيديهم.

ترك القديس أثناسيوس عندئذ صور، وذهب ليعرض أمره علي الأمبراطور، ولكنه لم يتمكن من مقابلته.

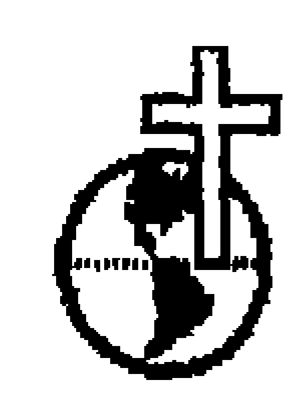
ثالثاً: أحضروا إلى المجمع أمرأة شريرة ادعت أن القديس أثناسيوس قد أرتكب الزنى معها! ولكن الرب قد فضح أمرها، وأظهر براءة أثناسيوس، عندما أشارت هذه المرأة إلى أحد الحاضرين ظانة أنه أثناسيوس{لأنها لم تكن قد رأته ولا عرفته} وقالت :«أنت الذى ارتكبت معى الشر»!!



وأخيراً انتهز القديس فرصة خروج قسطنطين النزهة وأوقفه وطلب منه إنقاذه من الأريوسيين، ولكن إذ كان جميع الملتفين حول الملك من الأريوسيين، اختلقوا له تُهمة أخرى وقالوا إنه يعمل على منع تصدير الغلال من مصر إلى القسطنطينية، وبهذا هيجوا سخط المللك عليه، فأصدر أمراً بنفيه إلى مدينة تريڤ Trèves {في جنوب غرب فرنسا} وعندئذ قال القديس للملك«إن الله سيقوم ديانا بينى وبينك أنت الذى قبلت شكوى أعدائى وصدقتها!» ثم ذهب مع بعض أساقفة إلى تريڤ فوصلها فى ٥ فبراير سنة ٣٣٥م حيث تلقاه مكسيميانوس أسقف المدينة وقسطنطين الصغير واليها بالفرح والترحاب.

استغاثته بالعالم وترك كرسيه للمرة الثانية إلى روما:

ومات الأمبراطور قسطنطين الكبير عام ٣٣٧م. وقُسِّمت مملكته بين أولاده الثلاثه. فأصبحت مصر تحت حكم قسطنديوس، أما فرنسا فتملك عليها قسطنطين الصغير

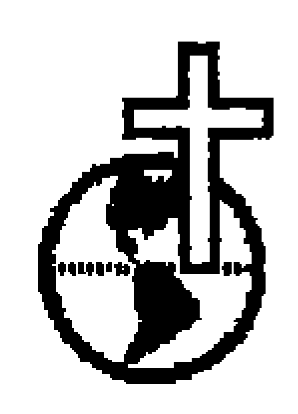


الذى طلب من أخيه العمل على إعادة البابا أثناسيوس إلى كرسيه. فقبل وأصدر أمره بذلك سنة ٣٣٨م.

وكم كان فرح المصريين عظيماً عندما سمعوا بقدوم القديس أثناسيوس الرسولي راعيهم المثالى!. لقد استقبلوه أستقبالاً رائعاً فاق في عظمته احتفالات الملوك والأباطرة.

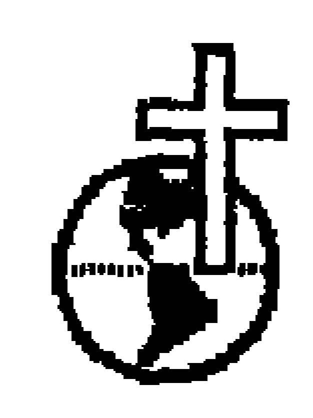
ولكن أتباع أريوس لم يتركوا القديس ليستريح ولو قليلاً، إذ سرعان ماقرروا عزله وتعيين غريغوريوس الكبادوكى مكانه! ثم أرسلوا قراراتهم هذه ليوليوس أسقف رومة ليساعدهم على تنفيذها، وهنا كتب أسقف روما للقديس يستوضحه الأمر، فعقد أثناسيوس مجمعاً بالإسكندرية عام ٣٤٠م أيد فيه الإيمان القويم، ثم أرسل رسالة دورية لجميع الكنائس المسيحية أوضح فيها صحة العقيدة. كما أبان براءته التامة من كل ما نسبه الأريوسيون له.

على أن الأريوسيين كانوا قد اتفقوا مع والى الإسكندرية فيلوغوريوس على ضرورة تعيين غريغوريوس الكبادوكي بقوة



الجند، بدلاً من أثناسيوس! ولما حاول الشعب مقاومة ذلك هجم الأريوسيون والجنود على الكنائس فى يوم جمعة الصلب وقتلوا جُل من كان فيها، واعتدوا على الفتيات والسيدات الآمنات!.

وهنا بعث البابا أثناسوس إلى سائر أساقفة المسكونة رسالة يستغيث فيها من هول ماحدث بكنيسته ويقول :«أستغيث بكم مثل ذلك الرجل الإسرائيلى الذى عندما ماتت زوجته ـ بعد أن اغتصبها منه أعداؤه ـ قسم جثتها إلى إثنى عشر قسماً، وبعث بكل قسم منها إلى سبط من أسباط إسرائيل. ليجتمعوا ويأخذوا بثأر تلك الزوجة». وإذ لم تُجدِ الرسائل نفعاً، عزم على بسط قضيته بنفسه على العالم، فسافر إلى روما . وهناك قوبل من أسقفها يوليوس أحسن مقابلة. واتفقا على عقد مجمع لإنهاء هذه المشكلة، فتم ذلك عام ٣٤٧م فى سرديكا{صوفيا} وكان مؤلفاً من ١٠٠ أسقف غربى، ٧٠ أسقف شرقياً. ورأس المجمع أوسيوس أسقف قرطبة، ولما عقد المجمع أُولَى جلساته طلب أساقفة



الغرب حضور أثناسيوس للدفاع عن نفسه، فرفض الشرقيون هذا(إذ كانوا من الأريوسيين) ثم انسحبوا! أما آباء الغرب فساروا فى عقد مجمعهم ثم قرروا الآتى :

١ـ براءة القديس أثناسيوس الرسولى مما نُسِب إليه.

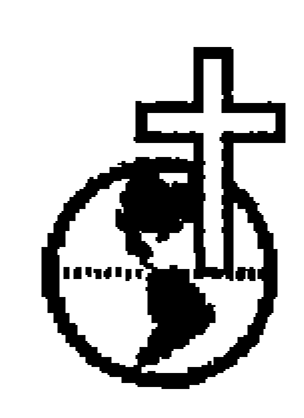
٢ ـ تثبيت قانون مجمع نيقية المسكونى .

٣ ـ حرم الأساقفة الأريوسيين.

٤ ـ عزل غريغوريوس الكبادوكى الذى عينه الأريوسيون بطريركاً للأسكندرية.

ثم أرسلوا هذه القرارات للإمبراطور قسطاس حاكم رومية فوافق عليها، وطلب من شقيقه قسطنديوس حاكم الشرق تنفيذها مهدداً بالحرب إن خالف ذلك!!

فوافق قسطنديوس على رجوع البابا أثناسيوس وقال: «إننى أشترط أيضا أن يتنازل الأريوسيون عن كنيسته فى أنطاكية للأرثوذكس ليقيموا شعائرهم فيها»، عندئذ تراجع الأمبراطور عن طلبه!.



وقد ذهب آمون الراهب المصرى مع البابا أثناسيوس إلى روما حيث أدهش الناس بنُسكه وعبادته وحكمته، ويقال أن أثناسيوس قد دوّن حياة «الأنبا أنطونيوس» مؤسس الرهبانية في تلك الفترة, وتركها هناك فكانت سبباً فى انتشار الرهبنة فى الغرب، وتوبة أغسطينوس.

وأخيراً تم قتل غريغوريوس الكبادوكى - البطريرك الدخيل - عام ٣٤٩م فى ثورة قامت ضده بالإسكندرية، فكان ذلك سبباً فى عودة القديس أثناسيوس إلى كرسيه، حيث احتفل الشعب به احتفالاً عظيماً يليق بمجاهد كبير.

نفيه للمرة الثالثة إلى البرية (الصحراء الغربية) :

ذاق القديس أثناسيوس طعم الراحة فى هذه المرة، إذ استمر مع رعيته زهاء ثلاث سنوات رسم فيها بعض الأساقفة. وحرر رسالة دورية لجميع الكنائس المسيحية، كما دوّن الكثير من الرسائل العقائدية القيمة.

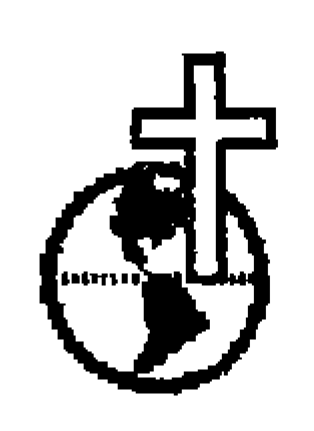
ولكن سُرعان ما تبدلت الأحوال. وعاد الأريوسيون



لمضايقة أثناسيوس منتهزين فرصة موت قسطاس قيصر روما معضد أثناسيوس - وانفراد قسطنديوس الآريوسى بالحكم - فأوغروا صدر الأمبراطور ضده، حتى أمر بعقد مجمع من الأساقفة الأريوسيين في مدينة آرل عام ٣٥٣م، وأنفض بعد أن أصدر حكماً بنفى أثناسيوس! وقد تبعه مجمع آخر انعقد فى مدينة ميلان سنة ٣٥٥م حيث صادق علي قرار سابقه!.

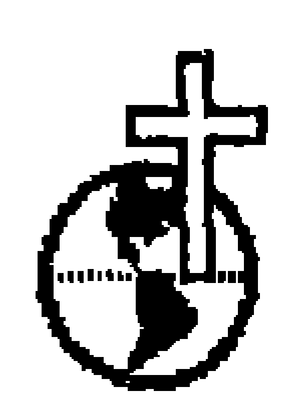
وذهب سريانوس والى مصر إلى البابا أثناسيوس يُنبْهه بالحكم شفوياً، ولما طلب من القديس التخلّى عن منصبه رفض ما لم يكن هناك أمر رسمي صادر من الإمبراطور. وعندئذ اغتاظ الوالى، وعاد بعد ثلاثة أسابيع ومعه خمسة آلاف جندى، حيث حاصر كنيسة السيدة العذراء، عندما كان القديس يصلى فيها - مع شعبه - صلاة الغروب.

ويكتب لنا أثناسيوس بنفسه مصوراً ماجرى فى هذه الحادثة فيقول :« كنت جالساً على الكرسى المرقسى، وأمرت



الشماس أن يتلو المزمور ١٣٦. وكان الشعب يجاوب قائلاً: :«لأن إلى الأبد رحمته». ولما حان وقت الأنصراف طَرَق الجنود جميع الأبواب طرقاً عنيفاً!. واندفع العساكر فى الكنيسة - كالسيل الجارف - وهرعوا قاصدين إياى. أما أنا فوقفتُ وأمرتُ الشعب بالفرار، ولكن بعضهم اعترض العساكر فى طريقهم، فذبحهم الجنود، وداسوهم تحت أقدامهم، عندما كانوا يركضون نحو ردهة الكنيسة للقبض على الفارين!. ولما أنصرف أكثر الشعب، جاء الرهبان مع الذين تخلفوا من القسوس وحملونى خارجاً».

وهكذا نجا القديس بأعجوبة - وترك المدينة إلى البرية حيث بقى مع الرهبان زُهاء ست سنوات، رأى فيها القديس أنطونيوس قبيل نياحته. واستمر أثناسيوس يباشر إدارة كنيسته رغم بُعده طيلة هذه المدة، حتى لقبه البعض «بالبطريرك الغير المرئي» ولم يتوانَ قط عن كتابة الرسائل لأفراد شعبه حاضاً إياهم على الثبات على الإيمان المستقيم،

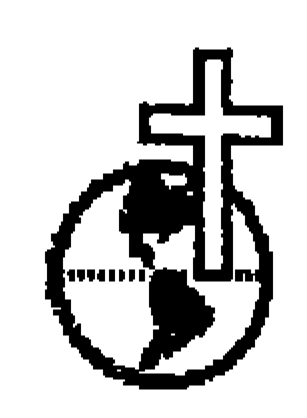


ويذكر المؤرخان جبونّ «Gibbon» وبالاديوس «Palladius»(١) أنه كثيراً ماكان يترك عزلته ليتفقد رعيته في سائر أنحاء البلاد، ثم يعود إلى البرية دفعة ثانية!.

وكم كان يسر أثناسيوس عندما يجد نفسه عند الرهبان يتقدمهم الأنبا أنطونيوس كوكب البرية!. لقد كانت بينهما صداقة قوية، ولعل منشأها راجع إلى أن أثناسيوس قد تعبّد فى البرية على يدّى أنطونيوس {كما ذُكِر سابقاً} وقتاً طويلاً من الزمان فى بداية حياته، فلما ارتقى العرش المرقسى لم تتغير صِلاته بالبرية، بل بقى أمينا لها، محافظاً عليها.

قال المؤرخ دين ستانلى Dean Stanley: «كانت مودة أثناسيوس بأنطونيوس وثيقة الصلة، مُحكَمة البناء، ومن مؤلفات أثناسيوس ترجمة قيّمة لصديقه الحميم أبى الرهبانية».وكثيراً ماقصد أثناسيوس إلى صديقه فى

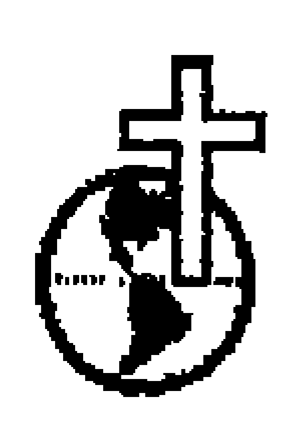
١) راجع كتابنا «**بستان القديسين**» للقديسين بلاديوس وچيروم (طبعة مكتبة المحبة).



الصحراء، ومن فرط احترامه له حمل اليه الماء على كفيه كما فعل أليشع لأيليا. وكما هى العادة الشرقية فى هذه الأيام عند المبالغة فى الأكرام والأحترام».

«وكان أنطونيوس رغم عدم قدرته على التكلم باليونانية، من أشد الناس اهتماماً مع البطريرك الشاب في مشاحناته ومجادلاته اللاهوتية. وقد كان يشاطره محنته. وحدث مرة بينما كان أثناسيوس في أحرج أوقات جهاده، أن ظهر أنطونيوس فجأة بالإسكندرية فبُهت الناس... وتسابق الوثنيون والمسيحيون لاجتلاء طلعة «رجل الرب» كما كان يُدَعي، وعند عودته خرج معه أثناسيوس بنفسه حتي باب المدينة مودعاً».

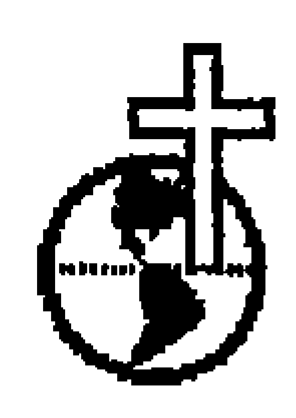
وحاول الأريوسيون انتقاده لهربه إلي البرية. فكتب في ذلك يقول: «هم يعضون أُصبَع الندم، لأنهم لم يتمكنوا من قتلي! والآن هم يلومنني علي هربي! غير عالمين أنه لو كان في الهرب جناية لكان في الاضطهاد جنايات.»!!



أنني هربت لئلا أُقتل. وهم يقتفون أثري لئلا أنجو من القتل!! فليكفُّوا عن إضطهادي لأكف عن الهرب، وكيف لا يعلمون أن فراري منهم حجة عليهم؟! إن المرء لا تفزعه الرقة واللين بل القسوة والشدة، بل غلظة القلب والتوُحش»!!

وفي فترة إبتعاد القديس هذه عيّن الأريوسيون رجلاً كبادوكياً عاتياً يسمي جورجيوس بطريركاً بدله علي الأسكندرية، فأمعن في إضطهاد الشعب بكافة الطرق وارتكب أفظع الحوادث، كما سجن أثني عشر أسقفاً، لعدم خضوعهم له. علي أن مدته لم تطل إذ قتله بعض الوثنيين وأحرقوا جثته، ثم ألقوها في البحر!!

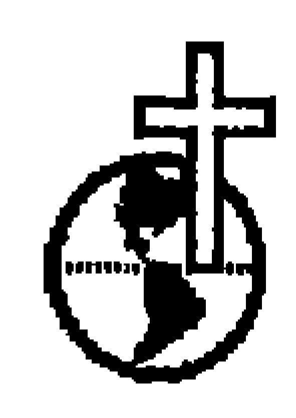
وأخيراً، مات الأمبراطور قسطنديوس معضد الأريوسيين وتنصّب بدله يوليانوس الذي كان يبغض المسيحيين بوجه عام غير أنه أفرج مبدئياً عن جميع المنفيين في عهد سلفه. وهكذا عاد القديس أثناسيوس مرة أخري إلي كرسيه بالإسكندرية.



نفيه للمرة الرابعة إلي طيبة (الأقصر):

استغل البابا فرصة عودته لكرسيه وبدأ يُصلح ماأفسده الأريوسيون، كما أهتم بتبشير الوثنيين. وعمّد عدداً كبيراً منهم، فكان ذلك سبباً في غضب الأمبراطور يوليانوس، لأنه كان يميل إلي الوثنية، فكتب لوالي الاسكندرية يقول: «كان يتحتم عليك أن تخبرني عن تصرفات أثناسيوس عدو الآلهة وكاره الأوثان!... إنني أقسم بالإله سيرابيس إن لم يبرح أثناسيوس الأسكندرية فإني أُغرِم جميع موظفي حكومتك مائة رطل من الذهب قصاصاً لهم، واعلم أنني بطيء العقاب ولكنني بطيء العفو والصفح»!

وعنما سمع القديس بهذا ترك الاسكندرية إلي طيبة حيث أستقبله بعض الرهبان الباخوميين. ولقد أظهر له كل من صادفه، ألماً زائداً لكثرة الاضطهادات التي تحملها كل منهم. أما القديس فكان يجيبهم بأنه يشعر بسلام داخلي عظيم وبازدياد نعمة اللّه عليه كلما وقع في شدة أو ضيق!!

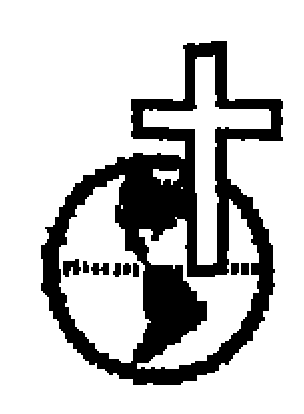


ولم تمض فترة طويلة حتي مات الأمبراطور يوليانوس الجاحد سنة ٣٦٣م وعُيّن يوبيانوس بدلاً عنه، فأطلق حرية الأديان، وقرر إلغاء الأمر الصادر من سلفه ضد أثناسيوس فعاد إلي كرسيه.

نفيه الأخير في مقبرة أبيه:

مات يوبيانوس، وتعين بدله فالنص الأريوسي امبراطوراً علي الشرق. فأصدر في عام ٣٦٧م قراراً بنفي القديس أثناسيوس، الذي أضطر إلي ترك الاسكندرية والاختفاء في مقبرة أبيه مدة أربعة شهور، أمعن فيها الامبراطور في اضطهاد الأرثوذكسيين، ولما لم يثنهم العذاب قرر رفع الاضطهاد عنهم، وإعادة البابا أثناسيوس إلي مقر كرسيه، وكان ذلك في عام ٣٦٨م.

وهكذا عاد البابا أثناسيوس إلي الاسكندرية للمرة الأخيرة، بعد أن أفني زهرة شبابه وأغلب سني حياته في اضطهادات وآلام نحسبها كافية لأن تُخلد إسمه علي مرّ الأيام.



أراد اللاهوتي الانكليزي ريتشارد هوكر Richard Hoker {١٥٥٤ ـ ١٦٠٠م} أن يصور لنا في إيجاز، ماقاساه البابا أثناسيوس من نفي وتعذيب في سبيل الإيمان فقال في كتابه المُسّمي «النظام الكنسي»[1] ما ترجمته:

«لم يذق أثناسيوس طعم الراحة ولم يّرَ السلام يوماً واحداً في الست والأربعين سنة التي مضت ما بين اليوم الذي أرتقي فيه المنصة البطريركية والساعة الأخيرة من حياته في هذه الدنيا».

«قلب له قسطنطين ظهر المجن (غضب منه) وانقلب عليه قسطنديوس فأنزل به من صنوف التعذيب والإيلام كل مااستطاعت الضغينة والحقد أن تخترعا إذا تذرعتا بالسلطان والقوة النافذة! ثم زاد يوليانوس الضغط عليه، وتبعه فالنص، فلم يكن بأقل من سلفه شراً».

---

١) مجلد (٢ ص ١٦٢ ـ ١٦٥)

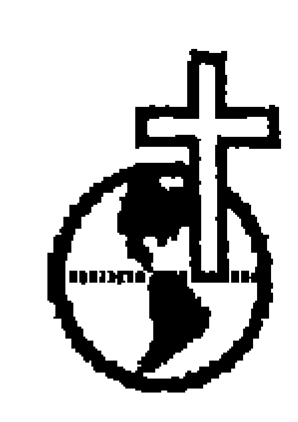
(Ecclesiastical Policy, v, 2, p. 162 - 165



«وأتهموه بكثير من الجرائم، حتي إذا ماسيق للمحاكمة كان قضاته أُجراء مُتهميه».

«أما الأساقفة من كبار رجال الدين الذين كان أثناسيوس يقاتل ذوداً عن حوضهم فكان حقاً عليهم أن يأخذوا بناصره ويشاركوه في الدفاع... هؤلاء كانوا بين شقي الرحي إذا توددوا اليه جروا علي أنفسهم الويلات التي إن لم تحولهم عنه - ولو ظاهرياً - فلا أقل من أن تبرهن علي خطر البقاء علي الولاء له».

«فلم يكن ثمةُ بُد في نهاية الأمر من استسلام المجموع (إلا قليلاً) للعوامل الدنيوية وهرب الناس عن أثناسيوس إن لم يكن عاجلاً فآجلاً... فكان بعضهم قادة الحملة عليه... ولحق بهم آخرون ... ساقهم إلي التخلف عند الخوف أو الفقر أن الدنيا حلَت في أعينهم وراقهم زخرفها فلانوا لتملق المداهنين، ومنهم طائفة من سليمي النية وقعوا في فخاخ المغرورين الخادعين، ولعل الانخداع مع سلامة النية أحسن



ما يُلتمس من الأعذار للهراطقة... وهكذا أندفع تيار تلك الأيام الجارف، فأخلي الناس قاطبة له السبيل... إلا أثناسيوس!! فإنه في تلك المأساة الطويلة الشاقة لم يفعل إلا ما يجدر بالحُكماء ذوي الصدور الأمينة والأخلاق الرزينة أن يفعلوا، وجُرّب كما هو خليق بالمؤمنين الأبرار أن يُجرَّبوا فيصبروا علي طول المدة، وشدة المحنة».

أنتقاله إلي عالم المجد:

كان القديس أثناسيوس قد بلغ الثانية والسبعين من عمره، عندما عاد من منفاه الأخير، غير أن كبر السن هذا لم يكن ليحول دون إتمام واجباته، فقام بترميم وبناء الكنائس، ووضع الكتب والمؤلفات في تفنيد البدع والهرطقات.

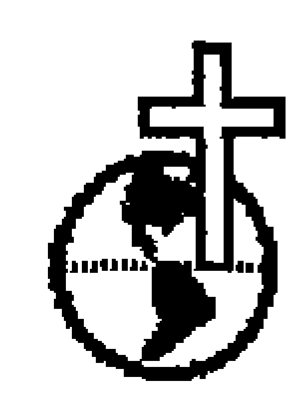
وأخيراً، وبعد جهاد هذا مقداره، أنتقل القديس وطويت صحيفة حياته في اليوم الثاني من شهر مايو سنة ٣٧٣م بعد أن بلغ من العمر ٧٧ سنة، قضي منها نحو ٤٧ عاماً بطريركاً للإسكندرية.



وكتب القديس غريغوريوس النزينزي يُرثِّيه ويقول: «هكذا إنطفأ أثناسيوس عين العالم المقدسة. والحَبْر المنقطع النظير، والصوت العالي للحق، عامود الإيمان ورسول المسيح الجديد، رقد في شيخوخة صالحة، بعد أن وهب جميع أيامه للرب، وبعد أن قاسي كثيراً من الدسائس الباطلة وصمد لكثير من الهجمات، ناداه الثالوث الأقدس إلي مثوي القديسين إلي حيث أسلافه من البطاركة والأنبياء والرسل والشهداء وجميع جنود العلي، فنال من التكريم عند تركه هذه الحياة ما لم يره حتي في أعظم إنتصاراته! وأقيم له من الدموع الغزيرة التي سُكِبت ومن الذكريات الخالدة - نُصباً تذكارياً».

القديس أثناسيوس أمام التاريخ:

وقف جميع مؤرخي العالم – في كل عصر من العصور – وقفة تبجيل واحترام، أمام تلك الشخصية الجبارة التي استطاعت بقوة اللّه أن تناضل ضد العالم بأسره، والتي لم يهدأ لها بال حتي قطعت شأفة البدع وتثبّتت الإيمان المستقيم!



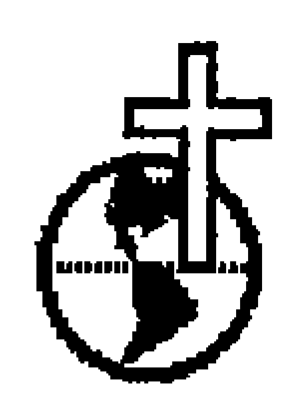
وتعوزنا الصحائف المطولة، لو أردنا أن نكتب كلمة لإنصاف هذا البطل الكنسي العظيم، ولذا نكتفي بأن نلقي نظرة عابرة، وصفه بها جماعة المورخين شرقاً وغرباً، كما يلي:

+ قال موهلر Moheler: «إن عيشة أثناسيوس هي أحسن وأفضل تقريظ له، وإن جهاده مهما مُدح يعجز العالم عن استيفائه».

+ وقال هوكر Hokar: «إنه لم يلاحظ علي أثناسيوس، سوي أنه كان في مأساته الطويلة، رجلاً حكيماً في عقله، باراً نقياً في احتماله وصبره».

+ وقال المؤرخ البريطاني الشهير Gibbon(1): «لقد أظهر أثناسيوس من التفوق في الشخصية، والمقدرة وسعة الحيلة وحُسن التدبير مابرهن به علي أنه كان أحق من أبناء قسطنطين نفسه بتولي أعباء تلك الدولة العُظمي والقيام بإدارة دفة أحكامها خيرَ قيام...».

1) Gibbon, Rise & Decline of the Roman Empire.



+ وقـال أيضـاً: «إن إسم أثناسيـوس الخـالد الذكـر لا ينفصل مطلقاً عن إيمان الكنيسة الجامعة بخصوص الثالوث الأقدس الذي كرس كل مواهبه وكل دقيقة من دقائق حياته في المحاماة والمدافعة عنه»٠

+ وكتب يوليوس أسقف روما المعاصر له يقول: «إنني أشكر اللّه الذي حباني نعمة الاجتماع بمثل هذا الرجل العظيم»٠

+ وقال الكردينال نيومان Newman: «إن هذا الرجل العظيم قد طبع علي الكنيسة طابعاً لا يمحوه الدهر»٠

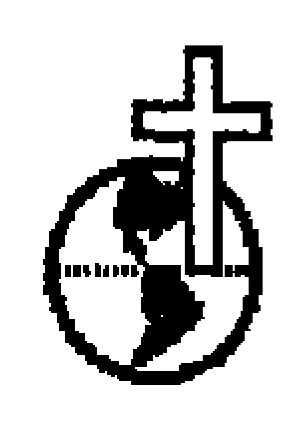
+ ووصفه دين فارار Dean Farrar بأنه: «كان رجلاً عالماً بعيد النظر ثابت العزيمة٠ وأنه أعظم حُماة الإيمان السليم، وأكبر أبطال الديانة الحقيقية، وهو في مقدمة معلمي الكنيسة الذين لا نستطيع أن نُعبّر عن مقدار ماتعلمناه منهم ومايمكننا أن نتعلم من مثالهم الصالح، ومانستمده من العزاء والقوة في وقت الشدة من تصور آلامهم ووفائهم وثباتهم...»٠



+ وقال الأب دي لابلينزي De la Pinzé في كتابه {سيرة چوفُيان}: «كان أثناسيوس أشهر رجال عصره، ولعل الكنيسة لم ترَ بين أبنائها من هو أعظم منه. وقد كان أميناً حاذقاً ثابت الفكر شجاعاً رابط الجأش عالي الهمة رصيناً ذا إيمان حي ومحبة لا حد لها... خطيباً مُفوّهاً قويّ الحُجّة سديد الرأي».

+ وكتب عنه القديس باسيليوس الكبير فقال: «لقد كللت السنون رأسه بأكليل ناصع... وعاش منذ الأيام التي سبقت المجمع النيقي حين كان السلام مخيماً علي ربوع الكنيسة حتي هذه الأيام الكربة التي هبت فيها أعاصير المشاحنات التي لا حد لها».

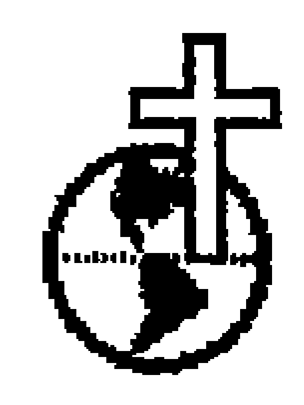
«هذا هو صموئيل الكنيسة والحَكم المبجل بين الجيلين القديم والحديث، وواسطة عقدهما. فهو الطبيب الحاذق القادر علي تتبع أقصي ماتئن الكنيسة تحت عبئه من



الأدواء وعلي شـقـائـهـا ... يقف علي برجـه الشـامخ ويرقب بحكمته، فيحيط بصره بكل ماحوله، ويلم بكل ما يجري فـي العـالم».

+ ووصـفـه القديس غريغوريوس النزينزي بقوله: «بينما كـان ناراً ذات لهب، تحـرق سيّء النبت، وسـيفـاً حـاداً يقطع الشـر مـن أصوله، وكان أيضـاً كمذراة الزُرّاع، تذري الهشيم فتبدده في الهواء، وتحتفظ بأكداس الثمر السليم. فكما كان يسير رافعاً سيف الفاتح المنتصـر، كذلك كان نسمة الروح المُحيي».

+ وقال عنه دين ستانلي Dean Stanley: «لقد جاهد أثناسيوس علي صغر مرتبته الكهنوتية (كشماس) جهاداً حسناً في مجمع نيقية، وناضل عن الأرثوذكسية بحدة وشدة ونور يقين، أغارت صدور حُسّادة، كما توجته بإعجاب كل سامعيه المُحبين منهم والمُبغضين له علي السواء».



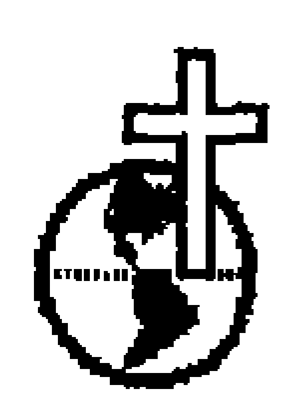
+ وكتب عنه القديس البابا كيرلس الكبير (عمود الدين): «إن العالم أجمع قد احترم قداسته ونقاوة تعليمه، وأنه ملأ الأرجاء بعظمة مؤلفاته».

+ وقال القديس غريغوريوس النزينزي: «إن من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة نفسها».

+ وأبان لنا الأنبا قزمان قيمة مؤلفاته العديدة بقوله: «من يجد شيئاً منها فليكتبه حالاً على قرطاس (ورقة)، وإن لم يجد قرطاساً فليُدّونه على ثوبه». مما يدل على عظمة تعاليمه.

✠ ✠ ✠





الفصل الرابع

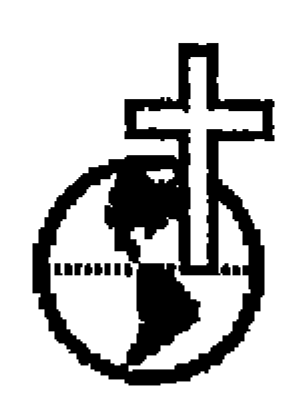
جلسات المجمع وقراراته

«إن آباء مجمع نيقية - عندما أصدروا حكمهم وجاهروا بمعتقدهم - أبانوا أن أيمانهم ليس بحديث العهد، بل هو نفس الإيمان الرسولي، وإن ما سطرته أيدي هؤلاء الآباء لم يكن من عملهم، بل هو الإيمان عينه المسلم من الرسل إلي الكنائس» (١).

(القديس أثناسيوس الرسولي)

أنعقد المجمع المسكوني الأول في مدينة نيقية في شهر مايو سنة ٣٢٥م، وخُصِص للاجتماع الساحة الوسطي في القصر الملكي بالمدينة لأتساعها، حيث أعدت فيها المقاعد الكثيرة، كما وُضِع في الوسط كرسياً مذهباً ليجلس عليه

١) كتابه عن المجامع فصل ٤.



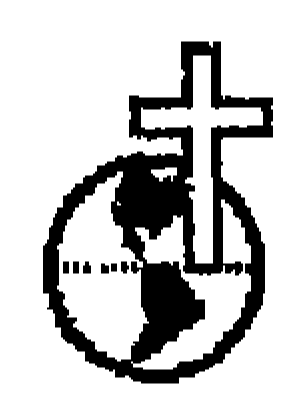
الامبراطور قسطنطين الكبير، الذي رغب في حضور جلسات المجمع بنفسه.

مدينة نيقية Nicaea:

ونيقية هي العاصمة الثانية لولاية بيثنية وتقع في الشمال الغربي من آسيا الصغري بالقُرب من سلسلة جبال، وقد تهدمت منذ زمن بعيد، ولم يبقَ منها سوي أطلال بالية، وفي موضعها الآن نجد قرية «أسنيك» التركية.

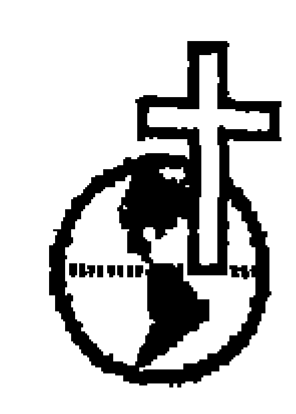
ويبدو أن نيقية هذه كانت علي شيء من العظمة والجمال، إذ يصفها دين ستانلي Dean Stanley فيقول:

«إذا نزل السائح من المنحدرات العالية ذات الغابات من إحدي جبال بيثينية مُتجهاً إلي سفح تلك الجبال حيث يغطي السهل سحب كثيفة عند بزوغ الفجر، فإنه لا يلبث أن يلحظ النقطتين اللتين تميزان مدينة نيقية، إنه يُشرف من أعلي علي بحيرة طويلة تكتنفها الأرض من جميع جهاتها وتتصل من طرفها الغربي ببحر مرمرة، فهي إذن تكاد تملأ الوادي كله بالشكل الذي يمتاز به التكوين الجغرافي لذلك الجزء من آسياء الصُغرى».



«ويظهر للرائي عند الجزء الأعلي من البحيرة فضاء مستطيل الشكل تحوطه أسوار المدينة القديمة، وبذلك هذا الشكل المستطيل دلالة واضحة، لا تترك سبيلاً للشك لمؤسسي المدينة الأصليين، لأن هذا الرسم هو الذي كان يختاره الاسكندر ومن سار علي نهجهم. فالاسكندرية وانطاكية ودمشق وفيلادلفيا، كلها أنشئت علي طراز واحد. وهو عبارة عن مربع كامل تخترقه أربعة طرق مستقيمة يزين جانبي كل منها صفين من الأعمدة».

«وهو مطابق لوصف سترابون لمدينة نيقية عندما أسسها ليزيماخوس Lysimachus وأعاد بناءها أنتيجونو Antigonus، ومازال هذا شكل الأسوار الحالية التي وإن حصرت حيزاً أكبر مما كانت تشغله المدينة اليونانية الأصلية، فلا مُراء في أنها لا تقل عهداً عن عصر الامبراطورية الرومانية، ولا يمكن أن تكون أحدث من زمن قسطنطين علي الأقل».



«وكل ماتحوطه هذه الأسوار اليوم (عام ١٨٥٣م) موقع يمر السائح فيه علي أعمدة مكسورة وطرق ذات وعورة، حتي يصل بصعوبة إلي القرية التركية الكئيبة، قرية أسنيك الواقعة وسط ذلك القفر الخالي، وفي وسطها بقايا كنيسة مسيحية متفردة يحوطها بعض مساجد متخربة... وبداخل الكنيسة صورة خشبية تمثل الحادث الوحيد الذي أخلد ذِكْر مجمع نيقية بالرغم مما إعتراها من أصناف المحنَ وتقلبات الزمن».

ولكن تُري لماذا أُختِيرت نيقية لتكون مقراً للمجمع المسكوني الأول؟! لقد صرح الامبراطور قسطنطين نفسه بسبب من أسباب اختيارها وهو «موقعها الصحي». ولعلنا ندرك قيمة ضرورة الملاءمة الصحية لمكان أنعقاد المجمع، عندما نري أن بعض الأساقفة الذين حضروا مجمع أفسس المسكوني، قد أدركتهم الوفاة!! أضف إلي ذلك أن ثمة أسباب أخري دعت إلي اختيار نيقية دون سواها!!

١) فلو أن القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية

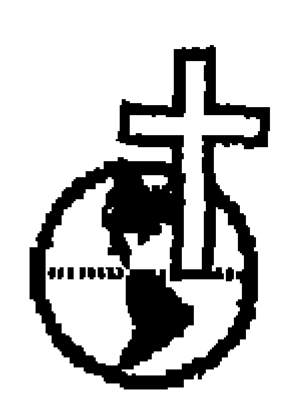


الشرقية، كانت قد أنشئت وقتئذ، لاختيرت مكاناً للمجمع الأول كما أختيرت للثاني.

٢) كما أنه لم يكن ممكناً اختيار نيكوميديا – العاصمة الأولي لمقاطعة بيثينية ـ لانعقاد المجمع ذلك لأن أوسابيوس أسقفها كان معروفاً بميوله الأريوسية، والمجمع يحتاج إلي مدينة محايدة.

٣) ولعل من دوافع اختيار نيقية، أن أسمها كان مرادفاً للكلمة المحببة لدي الامبراطور قسطنطين فكلمة «نيقية» معناها النصر أو الفتح، وهي الكلمة التي كانت تتمثل دواماً في مخيلة قسطنطين، بعدما انتصر علي أعدائه، ذلك لأنه رآها مكتوبة في كبد السماء تحت علامة الصليب هكذا «ЄΝΤΟΥΤѠΝΙΚΑ» أي: «بهذا إنتصر».

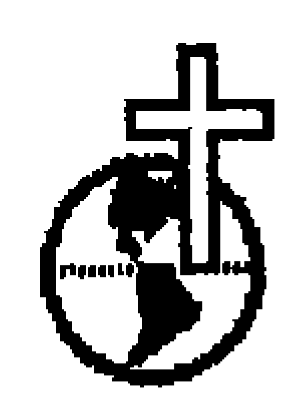
وقال المؤرخ الأسقف أوسابيوس في ذلك: «إنها كانت مدينة ملائمة لاجتماع دَعَي اليه عقب النصر، لأن أسمها نيقية أي مدينة النصر».



الامبراطور قسطنطين الكبير:

هو الذي دعا لعقد المجمع المسكوني الأول، وكان لا يزال وثنياً عندما نودي باسمه ملكاً سنة ٣٠٦م بعد وفاة والده قسطنطينوس خلورس، وإذ أراد قسطنطين أن يخضع امبراطورية الغرب لملكه، زحف علي فرنسا بجيشه، وبعدما طابت له الأمور هناك سار إلي إيطاليا وكان أهلها قد نادوا بمكسيموس بن مكسيميانوس ملكاً عليهم، فتقابل الملكان في عدة مواقع انتهت بهزيمة قسطنطين، وعندئذ جهز جيشه واستعد لمنازلة مكسيموس في موقعة حاسمة!

وهنا يروي لنا أوسابيوس القيصري المؤرخ الشهير ماحدث بعد ذلك كما سمعه من الملك قسطنطين ذاته فيقول: «أراد الملك أن يستمد عون «إله ما» وكانت آلهة الرومانيين كثيرة، فتحيَّر فيمن يطلب النجدة منها، ولم يكن يعرف إله المسيحيين بعد، ماعدا أنه يوقرهم ويحترم دينهم. كما كان يفعل أبوه. وقد جال بفكره أن يوجه التفاته إلي إلههم وحده.



وبينما كان يسير في مقدمة جيوشه شاهد في أُفق السماء والفلك رائق صليباً من نور مرقومة عليه هذه الكتابة «بهذا تغلب» فأندهش هو وقواده من هذا المنظر العجيب. واحتاروا فيما يكون منه، وفي رؤيا الليل ظهر السيد المسيح له المجد للملك ومعه صليب وأمره أن يصنع مثاله ويجعله شعاره، فلما أنتبه من النوم استدعي رجالاً ورسم لهم صليباً، وأمرهم أن يرسموا راية علي تلك الهيئة ففعلوا كذلك.

وكانت هذه الراية حربة مصفحة من ذهب وفي وسطها عارضتين بشكل صليب، معلق فيه منديل حريري عليه صورة الملك وصور أولاده، وفي أعلاه اكليل فيه الحرفان الأولان من إسم المسيح وقد انتخب لحمله خمسين بطلاً من حرسه الخاص(١).

١) راجع تاريخ أوسابيوس (ك ١ ف ٣، ك ٤ ف ٢٩) ، ترجمة القس مرقس داود، طبعة المحبة وكذلك مختصر تاريخ الأمة القبطية، لسليم سليمان ص ٤٩.



ثم التحم الجيشان في واقعة قنطرة ملفين Milvian Bridge في ٢٨ أكتوبر سنة ٣١٢م، وكانت موقعة شديدة إنتهت بفوز قسطنطين وهرب جيش مكسيموس الذي إذ مرّ علي نهر التيبر سقط الجسر به فغرق بأكمله. وبعد عدة حروب انتصر فيها، دان له مُلْك الشرق والغرب.

ويوجز دين ستانلي Dean Stanley أعماله فيقول: «في السنة التي تلت تغييره لمذهبه ودخوله في دين المسيح (٣١٣م) أصدر مرسوم التسامح الديني، ثم أتي بعد ذلك في توالٍ سريع، مرسوم حفظ يوم الأحد في جميع بلاد الامبراطورية، ثم ادخال الصلاة في الجيش، ثم إلغاء العقوبة بالصلب، وتشجيع تحرير العبيد،لإبطال الرق، والحض علي عدم قتل الأطفال وتحريم الغرامة، وتحريم ألعاب المصارعة، وقد كانت كل خطوة من هذه الخطوات طيبة، وكسب للإمبراطورية الرومانية وللإنسانية».

وقد وصفه أحد المؤرخين كما ظهر في مجمع نيقية فقال: «كان جميل الطلعة طويل القامة ممتليء الجسم عريض

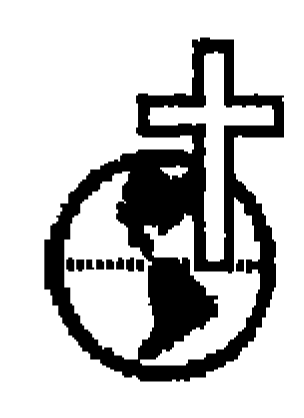


الكتفين يمثل في خشونته طراز كبار رجال الجيش في الامبراطورية المتدهورة»٠

وفود الأساقفة:

قبيل الموعد المحدد لانعقاد المجمع ـ بدأت وفود الأساقفة تصل إلي نيقية من كل مكان، وكان في مقدمة الحاضرين، وفد كنيسة الإسكندرية المؤلف من الكسندروس بابا الاسكندرية يصحبه رئيس شمامسته وسكرتيره الخاص أثناسيوس الرسولي، مع جماعة من الأساقفة، من بينهم الأنبا بوتامون أسقف هرقليا بأعالي النيل، والأنبا بفنوتيوس أسقف طيبة الذين قلعت عيناهما بالسيف، وكويت حواجبهما بالحديد المحمي بالنار في أيام الاضطهاد السابق٠

وقد أظهر دين ستانلي Dean Stanley مكانة وعظمة وفد كنيسة الاسكندرية في المجمع بقوله: «لم يكن الكسندروس هذا أسقف (بابا) أول كراسي العالم المسيحي من حيث سمو المنزلة والأهمية فحسب، بل وأعلي هذه الكراسي كلها

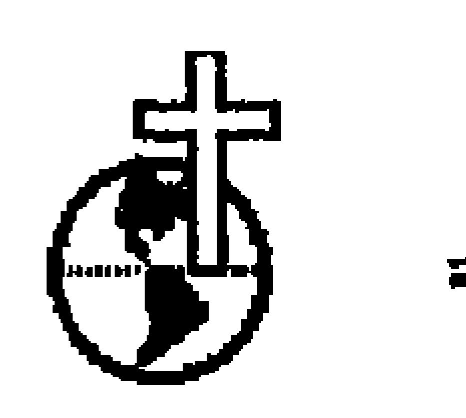


من الوجهة العلمية، وكان هو المنفرد بلقب «بابا» ولا يعرف به رسمياً في المجمع سواه، لأن كلمة (بابا رومية) كانت وقتئذ مما لم ينكره التاريخ! أما بابا الاسكندرية فكان علماً في رأسه نار (مشهوراً) ولقب إعزاز وحب ومهابة وإجلال، عُرِف به رأس الكنيسة الاسكندرية فكان هو الذي يُخاطب به بصفة خاصة».

«وكنت تري بجوار الكسندروس شاباً ضئيلاً لم يتجاوز الخامسة والعشرين، لكنه كان فصيح اللسان قوي العقل ذكي الفؤاد طلِق المُحيّا، عليه سمات النشاط في هدوء وصفاء».

«ذلك الشاب الضئيل والرجل النحيف، هو رئيس الشمامسة أثناسيوس العظيم، علي أنه وإن لم يكن إلا رئيس شمامسة بسيط، وتابعاً صغيراً لألكسندروس البطريرك، فقد قرع أسماع المجتمعين بحماسه وبراعته في حواراته حتي أرتفعت اليه الأعناق، وشخصت اليه الأبصار».

وحضر أيضاً انسطاسيوس أسقف أنطاكية، ويوساب أسقف قيصرية، ومكاريوس أسقف أورشليم، وبولس أسقف



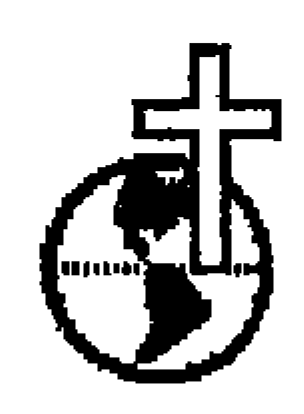
قيصرية الجديدة، ويعقوب أسقف نصيبين واسبريدون أسقف قبرص وغيرهم من الآباء المشهورين.

وحضر من أساقفة الغرب، أوسيوس أسقف قرطبة وبعض أساقفة ايطاليا والغال وأسبانيا وبريطانيا، وإذ لم يتمكن سلفستروس أسقف روما من الحضور لكبر سنه أناب عنه القسين «ويتن وويكندس». وحضر أيضاً أريوس القس المبتدع (وكان وقت أنعقاد المجمع يناهز الستين من عمره) وبعض أنصاره ومنهم أوسابيوس أسقف نيكوميديا.

وبلغ عدد الآباء ٣١٨ أسقفاً منهم ٣١٠ من الشرق، ٨ فقط من الغرب، ولعل ذلك راجع الي قلة الأساقفة، لضعف المسيحية في الغرب في ذلك الوقت.

المباحثات التمهيدية:

وبديهي أن هؤلاء الأساقفة لم يحضروا جميعاً في وقت واحد، وأكبر الظن أنه قد أنقضي أكثر من أسبوعين قبلما يكتمل عددهم في المدينة.



ويروي جماعة المؤرخين[1] أن ثمة اجتماعات تمهيدية، كانت تعقد في الشوارع والمنازل حيث كانت تدور مباحثات ومناقشات حول القضية الرئيسية التي سينعقد المجمع من أجلها، ألا وهي «**بدعة أريوس**».

فكنت تري في مكان ما نقاشاً حاراً بين الأرثوكسيين والأريوسيين، بينما يسترعي أنتباهك في موضع آخر الأساقفة الأرثوذكس، وقد انتظموا في هيئة جلسة يرتبون فيها أقوالهم ويدرسون حججهم وبياناتهم.

ولقد حضر إلي نيقية-في الأيام القليلة السابقة لعقد المجمع - الكثير من الفلاسفة الوثنيين والمسيحيين، ليتمتعوا بمشاهدة المجمع وماسيدور فيه من نقاش. ويقال إن بعضهم قد أشترك في بعض المباحثات التمهيدية التي نحن بصددها.

---

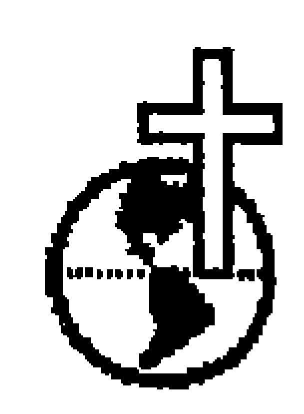
(١) تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا (طبعة المحبة) ص ١٤٩ .



وكثيراً ماكان يحتدم النقاش بين الفريقين المتباحثين إلي درجة ترتفع فيها الأصوات فتحدث جلبة وضوضاء.

فلقد ذكر سقراط المؤرخ، أن الجدل قد أشتد يوماً في إحدي هذه الاجتماعات التمهيدية، وإتسعت دائرة البحث وتشعبت أطرافه، فكان ذلك مدْعاة لجذب الكثيرين حولهم للإستماع إليهم، وبينما هم كذلك وإذا برجل بسيط تدُل عينه الفاقدة البصر، ورجله العرجاء علي أنه قد احتمل كثيراً من أجل التمسك بالإيمان في أيام الاضطهاد السابقة[1] تقدم هذا الرجل إلي وسط المتناقشين المتحمسين، وفجأة خاطبهم قائلاً: «إن المسيح والرسل لم يخلفوا لنا مجموعة مسائل كلامية نعالجها بعلم المنطق، ولا خِدَعاً باطلة، وإنما خلفوا لنا حقيقة عارية جلية لنحفظها ونحرسها بالإيمان والأعمال الحسنة، وكم كان تأثير هذه الكلمات في نفوس المتجادلين

١) هو القديس المصري الأسقف «بفنوتيوس» المُعترف (Confessor) الذي تعذب ولم ينل إكليل الشهادة في عهد دقلديانوس الكافر.



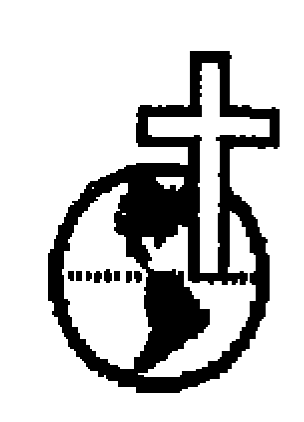
عظيماً!! لقد أبتدأوا - حالما استمعوا لهذا القول - يحدون من حدة نقاشهم ويخفضون من علو صوتهم.

قال الأسقف كاي Kaye عندما عرض لهذه الحادثة: «إنه مامن عصر من كل عصور الكنيسة تقريباً، لم يكن أعضاؤها فيه، في حاجة إلي أن يجعلوا هذا الوضع درساً لهم»!

الجلسة الأولي للمجمع:

إتخذ كل واحد من الأساقفة مكانه في المجمع، وعندئذ حضر الأمبراطور قسطنطين الكبير مع بعض أفراد حاشيته وأراد أن يجلس في آخر القاعة، غير أن الأساقفة أشاروا عليه بالجلوس علي المقعد المخصص له في صدر القاعة، فقبل بعد أن أوضح لهم أن حضوره في وسطهم كمستضيف فقط لأن: «الحُكم في قضايا الإيمان لا يختص بسُلطة المُلك، إنما خصه السيد المسيح بالأساقفة فقط».

جلس الأمبراطور، ثم جلس عن يمينه البابا الكسندروس وأثناسيوس رئيس شمامسته ويوساب القيصري، وعن ساره



جلس أوسيوس أسقف قُرطبة الذي أُسندت اليه رئاسة المجمع - لكبر سِنّه - وأريوس وأكبر أعوانه، وشغل الأساقفة بقية المقاعد. واصطف الجمهور علي جانبي القاعة.

وقد أختلف المؤرخون في اليوم الذي أفتتح فيه المجمع جلساته، ولكن غالبية المدققين منهم يؤكدون أن الجلسة الأولي للمجمع كانت في اليوم العشرين من شهر مايو، والجلسة الختامية في الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة ٣٢٥م.

وعندما أُعلِن افتتاح الجلسة الأولي رسمياً، وقف أوسابيوس المؤرخ أسقف قيصرية(١) «الذي تولي سكرتيرية المجمع» والقي خطاب الأفتتاح فقال:

«أيها الملك العزيز، أننا نقدّم الشكر للّه العلي الملك السماوي الذي أعطاك المُلْك الأرضي، وأنارك بنور الديانة المسيحية الشريفة، لعبادة الإله الحقيقي، فنضرع إلي الثالوث

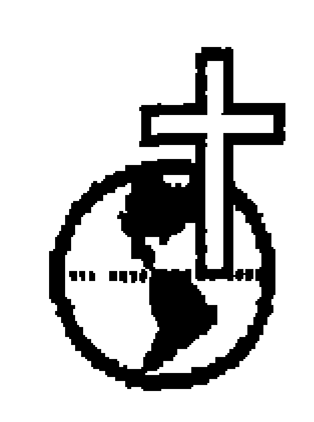
١) وُلِد سنة ٢٦٤م، وسيم أسقفاً علي قيصرية بفلسطين سنة ٣١٥م وتوفي سنة ٣٣٨م.



الأقـــدس الآب والابن والروح القـــدس، اللاهوت الواحـــد، والطبـيـعـة الواحـدة، أن يبـارك مُلكك وسلطانك، ويعظم عـزك وشـأنك، ويعطيك أيامك الصـالحـة، لأنه هـو الذي ألهـمك عقـد هذا المجمع، لذلك نحن أطعنا أمرك ومثُلنا بين يديك، وبما أنك علِمتَ القلاقل التي أثارها أريوس بنشر دعـته وإذاعـتها بين الملأ، فنتـوسل اليك أن تأمره أن يتقدم هو وأنصـاره بعـرض هذا التـعليم الجـديد الغـريب، ونحن نـفـاوضــهم ونجـاوبهم من البشـائر والرسـائل ونبؤات الأنبياء وسائر أقـوال اللّه الشـريفة الوار ة في كـتـبـه المقـدسة، وحـينئذ يـتبـين الحق من البـاطل وتفعل ما تشـاء»(٢).

فرد عليه الامبراطور قسطنطين باللغة اللاتينية {وترجمها أوسابيوس إلي اليونـانية} قائلاً: «أيها الآباء الموقرون... إنـي أشكر اللّه لمشـاهدتي حـفلكم العظيم هذا، وإني أُسـّـر أعظم

٢) راجع كتاب الأنبا أسيذورس «الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة» الجزء الأول ص ٤٢٢، وقد أعادت مكتبة المحبة طبعه في صيغة موجزة من إعدادنا.



السرور لأني أستحققتُ أن أجمع عدداً وافراً من رؤساء كهنة المسيح في تعليمه القويم والدفاع عنه، وأنتم كلكم تعلمون أنه بنعمة الله تركت دين أبي وأجدادي وأعتنقت الديانة المسيحية، لأني رأيت بعيني في رابعة النهار علامة الصليب الكريم مكتوباً عليها: «**بهذا تغلب**» وبمعونة سيدي يسوع المسيح الذي صُلِب لأجلنا قد غلبت أعدائي لا بسيفي ولا بقدرتي بل بقوته الإلهية وعلامة صليبه الشريفة التي أمرت برسمها علي الرايات والأعلام - وقد شاء الله - أن يكف الاضطهاد عن المسيحيين بواسطتي ومنحت الحرية (الدينية) المطلقة لهم».

«غير أن أبليس عدو البشر، لما رآني مغتبطاً بهذا الدين الصحيح وذويه، أثار بلبلة في كنيسة المسيح ليكدرني ويحزنني. فلذا أطلب إليكم أن تبذلوا الجهد لإقناع الخصم بالبراهين الواضحة والحجج المقنعة. وعلى كل الأحوال أحثكم أن تحافظوا علي الوئام والمحبة، تاركين كل خصام



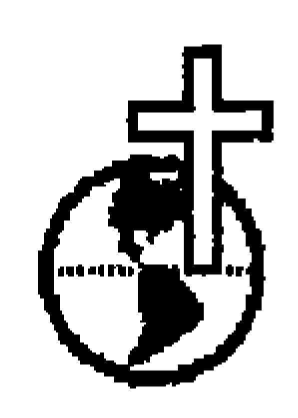
وخلاف، طبقاً لأوامر الأنجيل المقدس، وإنى وإن كنت بينكم، غير أننى لا أتصدّى لأحدٍ منكم على الطلاق، لكنى أترككم كي تبينوا آراءكم بملء الحرية وتمام الأختيار».

ثم بدأ المجمع يزاول أعماله بالنظر فى بدعة أريوس. فحدث كثيرمن الجدل والنقاش ورُفعت الجلسة الأولى دون الوصول إلى نتيجةٍ ما.

استمرار المناقشة:

وفى اليوم التالى عاد المجمع إلى الأنعقاد. وقدم أريوس المبتدع صورة اعتقاده التى قال فيها «إن الإبن ليس مساوياً للآب فى الأزلية، وليس من جوهره، وأن الآب كان فى الأصل وحيدا، فأخرج الإبن من العدم بإرادته، وأن الإبن إله لحصوله على لاهوت مكتسب»!!.

وما أن سمع الأساقفة هذه الأقوال حتى تهيجوا لما حوته من بدع وضلالات وإذ أخذ أريوس يدافع عن معتقده. انبرى له



رئيس الشمامسة القديس أثناسيوس وأفحمة بردوده القوية وحججه الدامغة، حتى أظهر ضلاله وأبان فساد رأيه(١).

دُهِش الأساقفة من موقف أثناسيوس هذا، الذى لم يكن بلغ الثلاثين من عمره بعد، وفرحوا كثيراً لفصاحته ونبوغه ومقدرته على إثبات المعتقد القويم، كما نظر إليه الأمبراطور قسطنطين الكبير الذى أُخِذ ببلاغته وعلمه وقال له : «أنت بطل كنيسة الله..»،

وعندما بدأ الآباء فى تحديد العقيدة السليمة، كان الأريوسيون يوافقون على ظاهر اقوالهم، تم يؤولونها بما يكون لصالح عقيدتهم الفاسدة، وأخيراً تدخل أثناسيوس واقترح أن تُضاف إلي العقيدة عبارة (Homo - Ousion) أي مساوٍ في الجوهر، للتعبير عن حقيقة صلة الآب بالإبن، غير أن الاريوسيين رفضوها وأرادوا استبدالها بعبارة

١) راجع الخريدة النفيسة جـ ١ ص٢٨٩ - ص٢٩٢ تجد صورة نقاش دار بين أثناسيوس وأريوس حول العقيدة.



مشابهة (Homi - Ousion) ورغم أن العبارة الأخيرة لا تُغيّر سوى حرفاً من الأولي . إلا أنها تختلف عنها في المعني اختلافاً كبيراً..

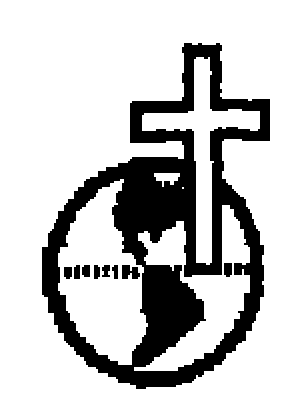
وبعد نقاش كبير أُخِذ رأى المجمع، فوافق على عبارة القديس أثناسيوس.

الحُكـــم:

وتوالت جلسات المجـمّع إلى أن تم وضع قانون الإيمان كالآتى :

«نؤمن بإله واحد[1] الله الآب ضابط الكل[2]، خالق السماء والأرض، مايُرى وما لا يُرى[3]. نؤمن برب واحد يسوع المسيح[4] إبن الله الوحيد[5].

١) يو١٤ : ٣٠، أع١٦: ٣١، تث٤: ٣٩، رو٣: ٣٠ .
٢) اكو ٨:٦، اف٤: ٦، غل١: ١، يو٦: ٢٥ـ ٢٨.
٣) تك، ١:١، خر ١١:٢٠، كو ١٦:١، رؤ ٩:١٠
٤) ١ كو ٩:٨، غل ١٨:٩، في ١١:٢، رو ١٧:٥ .
٥) يو ١٨:١، مت ٣٣:١٤، يو ١٦:٣، يو ١٨:٣ .



المولود من الآب قبل كل الدهور[٦] نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق[٧] مساو للآب في الجوهر[٨] الذى به كان كل شيء[٩] هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا[١٠] نزل من السماء[١١] وتجسد من الروح القدس[١٢] ومن مريم العذراء[١٣] تأنس وصُلب على عهد بيلاطس البنطى تألم وقُبر[١٤] وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما في الكتب[١٥] وصعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه[١٦] وأيضاً يأتي فى مجده ليدين الأحياء والأموات[١٧] الذى ليس لمُلكه انقضاء»[١٨].

---

٦) مز ٣:٧، عب ٥:٥، إش ٦:٩، مي ٢:٥، أم ٨: ٢٢ ـ ٣١، مز ٣:١٩.
٧) يو ١٩:٣ ـ ٢١، يو ٣٥:١٢، يو ٢٦:٥، ١ يو ٢٠:٥.
٨) يو ٣٠:١٠، يو ٣٨:١٠، يو ١٤: ٨ ـ ١١.
٩) يو ١: ٣، ١٠، كو ١٦:١، عب ٢:١، رؤ ١١:٤.
١٠) رؤ ٥: ٦ ـ ٧، ١ بط ١٨:٢.
١١) يو ١٣:٣، أف ١٠:٤.
١٢) مت ١: ١٨ ـ ١٠، يو ١٤:١.
١٣) إش ١٤:٧، مت ٢٣:١، غل ٤:٤.
١٤) إش ٥٣: ٤ ـ ٩، ٢: ٩ ـ ١٠.
١٥) مت ٢٨: ٥ ـ ٧.
١٦) مر ١٩:١٦، أع ٥٥:٧، رؤ ٣٤:٨.
١٧) مت ٢٧:١٦، أع ١٢:١٠.
١٨) دا ١٣:١ – ١٤، لو ٣٣:١.



ولقد وقع علي قانون الإيمان هذا أكثر من ٣٠٠ أسقف، ولما أمتنع أريوس وأنصاره عن التوقيع حرمهم المجمع.كما قرر نفي أريوس وحرق كتبه.

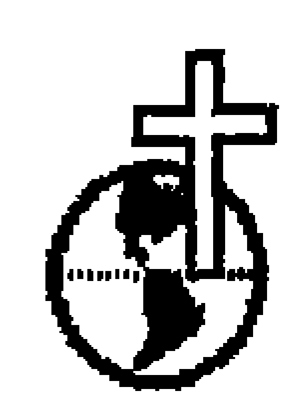
ولعلنا نلمس حكم المجمع ظاهراً في رسالته التي بعث بها إلي كنائس أفريقية وقال فيها: «قبل كل شيء وقع البحث أمام الملك قسطنطين الكلي التقوي في إثم أريوس ورفقائه وعدم تقواهم وحتم بصوت الجميع أن تعليمه العديم التقوي ليكن أناثيماً (محروماً) وهكذا أيضاً فلتكن أقواله وعباراته التجديفية».

الفصل في القضايا الباقية:

بعد الانتهاء من الحكم في قضية أريوس المبتدع، فصل المجمع في بقية القضايا المعروضة عليه، والمدونة في جدول أعماله وهي كما يلي:-

- **أولاً (في مسألة تحديد عيد القيامة):**

قرر أن يكون العيد في موعد واحد، هو يوم الأحد الذي يلي عيد فصح اليهود، وذلك لأنه لا يجوز أن يسبق المرموز اليه (عيد



القيامة) الرمز (عيد الفصح اليهودي) فضلاً عن أن يسوع نفسه قد أكل الفصح مع تلاميذه قبل صلبه.

كما قرر المجمع أن يقوم بابا الاسكندرية بإعلان جميع الأساقفة سنوياً عن موعد عيد القيامة. ولعل هذا راجع إلي أن الإسكندرية كانت يومئذ مركز العلوم الفلكية في العالم.

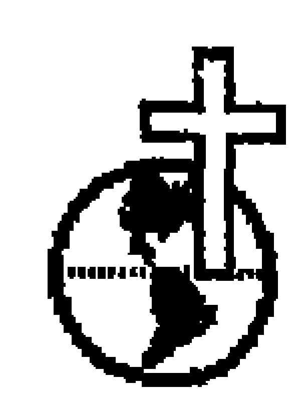
ثانياً: (عن الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط):

قرر المجمع حفظ حقوق بابا الاسكندرية الواجبة علي مرؤوسيه، كما حفظ حقوق أساقفة رومية وأورشليم وأنطاكية أيضاً(١)

+ ثم أرسل المجمع رسالة إلي المصريين، ضمنها حُكمه في هاتين المسألتين، قال فيها: «إننا إذا راعينا الحقيقة، نجد أن ملاتيوس لا يستحق أكراماً أو صفحاً علي ما أقترفه من أمر الشقاق الذي أحدثه، إلا أن الشفقة والحنان يُحتمَان علينا أن

---

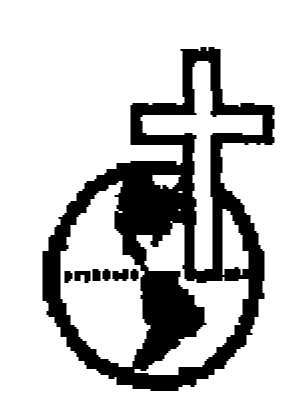
١) راجع قوانين مجمع نيقية رقم ٥،٦،٧ في آخر هذا الفصل، وكتابنا: «تاريخ كنيسة الخمس المدن الغربية».



نُعامله بالرأفة واللُطف. ولذلك أذِنَ له المجمع بالإقامة في بلدته مسقط رأسه. وأمره ألا يمارس أية وظيفة كهنوتية، سواء أكانت رسامة أحد أو ترشيح أحد للرسامة ويتحتم عليه عدم الظهور في أي أقليم أو مدينة بهذا المظهر، ولا أن يَدّعي شيئاً حَرّمه عليه المجمع، بل تبقي له صفته الشخصية فقط، أما الذين عينهم هو في وظائف وثبتوا فيها بواسطة رسامة قانونية فيجب قبولهم في عضوية الكنيسة بالشروط الآتية وهي : أن تبقي لهم وظائفهم ورتبهم ولكنهم يعتبرون أقل درجة في كل شيء عن الآخرين الذين عينهم رئيسنا المحترم البابا أسكندر».

« وعليه فإذا سن قانوناً آخر (تصرُف) غير هذا.أو حدثت رسامة كاهن ليست قانونية، فيكون لغبطة الحَبر المفضال البابا ألكسندروس حق التدُخل في هذا الأمر. وأن يُفحص فحصاً دقيقاً.ويثبت فيه بحكمة، لأنه ليس بصاحب صوت فقط في الذي يحدث ولكن له أيضاً الرئاسة العليا التامة في تنفيذ أي عمل يريده».

«ولقد يَسُرنا أيضاً في هذا المقام أن نُخبركم بما أستقّر عليه

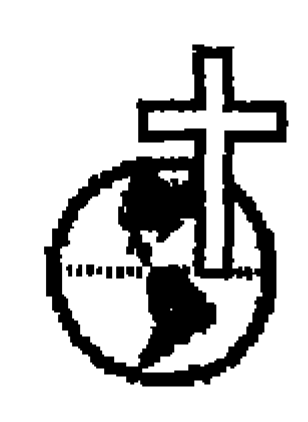


الرأي في مسألة تحديد يوم عيد القيامة المبارك، فإن هذه المسألة أنتهت بمساعدة صلواتكم، وأصبح جميع الأخوة المسيحيين في الشرق الذين كانوا يعيدون هذا العيد مع اليهود تماماً يعيدون – من الآن فصاعداً – مع الرومانيين ومعنا، ومع الذين حفظوه منذ القديم معنا».

ثالثاً: (أما مشكلة معمودية الهراطقة):

فقد أيد المجمع رأي الكنائس الشرقية. فقرر عدم صحة معمودية من يعمدهم الهراطقة لأنهم لا يعترفون فيها بإسم الثالوث الأقدس. أما من كان مُعمَدً في الكنيسة عماداً صحيحاً ثم هرطق فلا تُعاد معموديته عند رجوعه.

رابعاً: أوشك المجمع علي قبول الرأي الذي طُرِح عليه الذي يعتبر بتولية جميع رجال الاكليروس علي اختلاف درجاتهم، ولكن القديس بفنوتيوس المُعترف أسقف طيبة عارض هذا الرأي بقوله: «إنه لا يجب أن يُثقّل علي رجال الكهنوت بهذا المقدار لئلا يأتي ضرر للبيعة بدل النفع».



وعندئذ وافق المجمع علي الأخذ برأيه. وقرر السماح للكهنة أن يكونوا من المتزوجين مكتفياً ببتولية الأساقفة، وعدم زواج الكهنة المترملين.

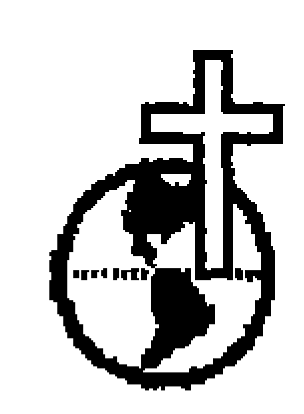
قوانين المجمع:

وأخيراً وقبل انفضاض المجمع من الآباء، سن الآباء ٢٠ قانوناً لسياسة الكنيسة عامة **نري أن نثبتها هنا لأهميتها**(١).

١) كل من خصاه الأطباء في مرض أو خُصّي من البربر فليستمر في الاكليروس، أما من خصي نفسه وهو في حالة الصحة وكان معدوداً في طغمة الاكليروس فليُعزل، ولا يجوز من الآن فصاعداً أن يُنتخب أحد من أمثال هؤلاء. والأمر واضح أن الكلام يتعلق بالذين يُجرون هذا الأمر، ويجسرون أن يخصوا ذواتهم. أما الذين خصاهم مواليهم أو البربر وكانوا ذوي أستحقاق، فليقبلهم القانون في الاكليروس.

---

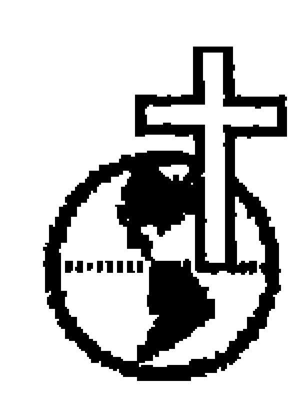
١) راجع كتاب الكنز الثمين لراعي الكنيسة الأمين طبع سنة ١٩٠٧م من ص ٢٤٠ الي ٢٤٦، وكتاب قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية، طبع المحروسة سنة ١٨٩٤، من ص ١٤ الي ص ٢٣.



٢)"بما أنه حدث كثيراً مايخالف القانون الكنسي، إما من قبل ضرورة أو بإلزام الناس، حتي أن أشخاصاً قادمين حديثاً إلي الإيمان من السيرة الأممية وموعوظين في مدة يسيرة، يقبلون حالاً إلي الحميم الروحي، وحالما يعتمدون ينتدبون للدرجة الأسقفية أو الكهنوتية، فاتضح لنا أنه واجب أن يُمنع أمر مثل هذا فيما بعد، لأن الموعوظ يحتاج إلي زمن بعد المعمودية إلي أختيار أكثر، كما يتضح من الكتابة الرسولية القائلة: «يجب أن لا يكون حديث الإيمان، لئلا يتصلف فيسقط في عقوبة وفخ إبليس» (١ تي ٣:٦).

" وأما من وجدت فيه خطية نفسية مع مرور الزمن، وثبت ذلك من شاهدين أو ثلاثة، فليُعزَل من رتبة الاكليروس، وكل من يخالف ذلك، متجاسراً بوقاحة علي قرار المجمع العظيم فهو يُعرّض نفسه لمخاطر السقوط من (رتبة) الاكليروس ".

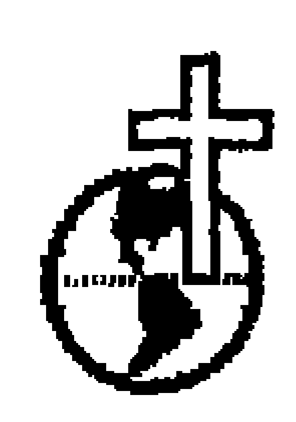
٣)"إن المجمع العظيم قد نهي بالكلية عن تواجد الأسقف والقس والشماس وكافة الاكليروس الكنسي مع إمرأة أجنبية، إلا



إذا كانت أمه أو أخته أو خالته أو من الأشخاص المُنزّهين عن كل شُبهة».

٤) "يجب أن يُقام الأسقف علي الأخص، من قبل جميع الأساقفة الذين في الابروشية، فإذا تعذر ذلك لضرورة شديدة، أو لطول مسافة الطريق، فمن الواجب أن يجتمع **ثلاثة معاً وأن يكون سائر الغائبين مشتركين معهم بالإنتخاب الذي يقدمونه كتابة**" وحينئذ تجري الشرطونية (الرسامة) وأما المصادقة علي ما يجري في كل أبروشية فمن حقوق المتروبوليت" (المطران).

٥) "أما بخصوص الذين تم منعهم من الشركة أساقفة كل أبروشية، سواء كانوا إكليريكيين أو علمانيين، فليُحفظ الرأي حسب القانون الذي يحدد أن الممنوعين من آخرين لا يُقبلون من غيرهم، بل يُفحصون، لئلا يكونوا قد قُطعوا (حُرموا) إما لصغر نفس، أو لخصومة أو بسبب كراهية الأسقف لهم، وعليه قد استُحسن لإجراء الفحص المناسب، أن يُعقد مجمعان في كل أبروشية مرتين في السنة، ويجري فحص مسائل كهذه باجتماع أساقفة الابروشية عموماً، أو الذين يتضح أنهم مجرمون في حق



الأسقف فليكونوا ممنوعين بحق من الشركة حتي يرتيء مجمع الأساقفة عموماً أخذ قرار أكثر رأفة بهم. أما هذان المجمعان فليعقد أولهما قبل الصوم الأربعيني، وثانيهما في فصل الخريف".

٦) "فلتُحَفظ العوائد القديمة التي في مصر وليبية والخمس مدن، **بأن يكون سلطة أسقف الإسكندرية علي هذه جميعها**، كما أن لأسقف رومية هذه العادة أيضاً، وكذلك ليُحفظ التقدم للكنائس التي في أنطاكية وفي سائر الابروشيات، وبالإجماع إنه لأمر واضح أن من يصير أسقفاً بدون رأي المتروبوليت (المطران) فقد حدد المجمع العظيم أنه لا ينبغي أن يكون أسقفاً، وأما إذا خالف إثنان أو ثلاثة – لخصام شخصي – رأي جميع الأساقفة، المطابق للقانون الكنسي، فليعمل بأكثرية الآراء".

٧)"بما أن العادة والتقليد القديمين قد أمرا بأن يُكرَم أسقف إيلياء (أورشليم) فتثبُت له الكرامة الواجبة".

٨)"إن الذين يُسمون أنفسهم أتقياء، حينما يتقدمون للكنيسة الجامعة الرسولية، قد لاح للمجمع المقدس العظيم أنه بعد وضع اليد عليهم يقيمون في الاكليروس علي هذه الحالة، وقبل ذلك كله

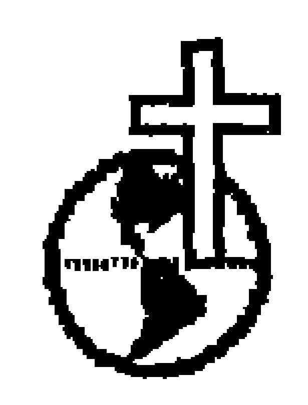


يجب أن يعترفوا كتابة أنهم يتحدون بالكنيسة الجامعة الرسولية ويتبعون عقائدها أي أنهم يشتركون مع أصحاب الزواج الثاني، ومع الذين يسقطون في الإضطهاد بحسب الزمان الذي يترتب عليهم وتحديد الوقت بحيث يكونون متبعين في جميع الأحوال عقائد الكنيسة الجامعة، وإذا كانوا مشرطنين ووجدوا في بلدة ما وحدهم فليلبسوا الأسكيم نفسه».

أما إذا كان هناك أسقف للكنيسة الجامعة، وحضر إليه بعضهم فمن الواضح أن لأسقف الكنيسة كرامة أسقف، ولأسقف المدعوين نيل كرامة قسيس، إلا إذا رضي الأسقف أن يشاركه بكرامة الإسم، وأما إذا لم يقبل، فليفرز (يخصص) له مُقام خوريبسكبوس[1] أو قس، حذراً في جماعة الاكليروس، لئلا يكون أسقفان في مدينة واحدة.

٩) إن الذين صاروا كهنة بدون فحص أو أنهم بعد الفحص اعترفوا بخطاياهم، وبعد اعترافهم تحرك الناس - خلافاً للقانون

١) أسقف القرى.



- وساموهم، فهولاء لا يقبلهم القانون[٢] لأن الكنيسة الجامعة تتوخي من لا لوم فيه[٣]».

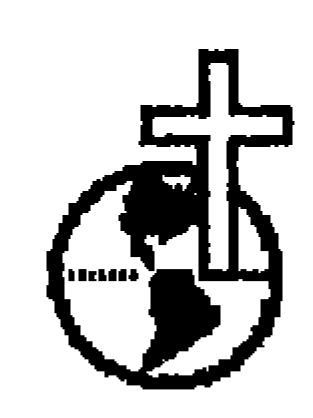
١٠) "أي رجل من الساقطين يسام إكليريكياً، سواء كان من تلقاء الجهل به أو بمعرفة من سامه، يجري عليه مايأمر به القانون الكنسي وهو القطع (الحرم)».

١١) "قد لاحَ للجميع أن يعامل بالشفقة كل الساقطين لغير ضرورة أو دون أن تسلب منهم مقتنياتهم أو بلا خطر، أو ما أشبه ذلك في أيام الاضطهاد. وإن كانوا غير أهل للشفقة، أي أن الذين يندمون نداسة حقيقية يجب أن يقضوا ثلاثة سنين مع السامعين، ويركعوا سبع سنين ويشتركوا سنتين مع الشعب - بالصلوات - دون أن يتقدموا إلي مناولة الأسرار الطاهرة».

١٢) "إن الذين دُعوا من قبل (للإيمان) وأظهروا الاقدام الأول ثم طرحوا المناطق وعادوا إلي قيئهم كالكلاب حتي أن البعض بذلوا فضة وهدايا ليعودوا إلي الجندية، فهؤلاء يترتب عليهم بعد

٢) قانون ٣٥

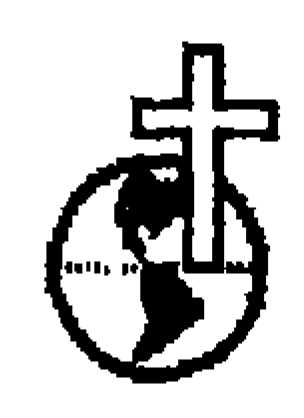
٣) ١ تي ٣:٢



تتميم مدة الثلاث سنين مع السامعين أن يركعوا (يمارسون مطانيات) عشرة سنين. وعلاوة علي كل هذا يجب فحص ميلهم (للإيمان) ونوع توبتهم، فالذين يظهرون رجوعهم بالخوف والدمع والصبر وأعمال الصلاح فعلاً لا شكلاً، فمن الواجب متي أتموا زمان الاستماع المحدد أن يشتركوا بالصلوات. ومن ثم يُتاح للأسقف أن ينظر في أمرهم بأكثر شفقة، أما الذين ساروا بعدم إكترات وظنوا أن دخولهم إلي الكنيسة كافٍ لرجوعهم – ولو كان شكلاً – فليتمموا حتماً الزمان المحدد».

١٣) "يجب أن يُعامَل المُحتضِرون (علي أبواب الموت) بموجب القانون (الرسولي) القديم، بحيث أن المُحتضِر لا يَعدم الزاد الأخير (التناول) الضروري، غير أنه إذا كان اليائس من الحياة (الذي علي حافة الموت) قد حظي بالشركة، ثم عُد بين الأحياء، ينبغي أن يقف في الصلاة فقط مع المشتركين وعلي الأطلاق – كائناً من كان – محتضراً؛ وطلب أن يحظي بالشركة (التناول) فيجب علي الأسقف أن يناوله باختباره أولاً بدقة».

١٤) "قد لاح للمجمع المقدس العظيم بأن الذين سقطوا من



الموعوظين يقضون ثلاث سنين فقط مع السامعين، وبعد ذلك يُصلُّون مع الموعوظين».

١٥)* إنه بسبب التشويش العظيم، والمنازعات الحاصلة، قد لاح بأن ننزع بالكلية العادة التي جرت في بعض أماكن، خلافاً للقانون الرسولي، بحيث لا ينتقل أسقف أو قس أو شماس من مدينة إلي مدينة، وإذا باشر أحد أجراء ذلك بعد تحديد المجمع المقدس العظيم أو تحري لنفسه أمراً كهذا فليلغ مشروعه بالكلية، ويرجع ذلك الأسقف أو القس أو الشماس إلي الكنيسة التي سيم عليها ».

١٦)* إن القسوس والشامسة وسائر المعدودين في الطغمة الاكليريكية (الكهنة) الذين ينتقلون دون أن يضعوا مخافة اللّه نُصبّ عيونهم، ولجهلهم بالقانون الكنسي يغادرون كنيستهم الخاصة، يجب أن لا يُقبلوا في كنيسة أخري علي الاطلاق بل يلزمون كل الإلزام أن يرجعوا إلي أماكنهم، وإن أصروا علي ذلك يمنعون من الشركة، وإذا تجاسر أحد أن يختطف شخصاً مختصاً بغيره ويسيمه في كنيسته دون رضي أسقفه الخاص

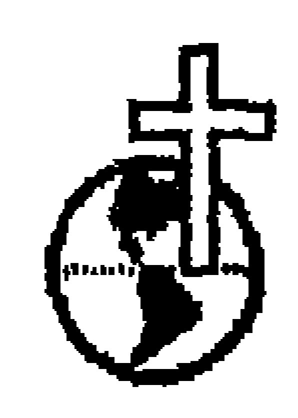


الذي غادره الشخص المشار اليه في القانون، فلتكن هذه السيامة مُلغاة».

١٧) "بما أن كثيرين يسعون وراء الطمع القبيح (جمع المال) والربح الخسيس (الربا) ناسين النص الإلهي القائل «وفضته لم يعطها بالربا»[1] فيقرضون أموالاً طالبين عُشر المائة رباً. لذلك قد حكم المجمع المقدس بأن كل إكليريكي يفعل مثل ذلك بعد صدور هذا الحد - ولو بقصد المعيشة - فليُخلع وليكن غريباً عن القانون"(لا يصير من الاكليروس).

١٨)" لقد بلغ علم المجمع المقدس العظيم بأن في بعض المدن والأماكن إن الشمامسة يناولون القربان للقسوس، وذلك مالم يُسلّم به قانون ولا عادة أصلاً، علي أن الذين ما أمتلكوا سلطاناً علي التقدمة بأنهم يناولون جسد المسيح للذين يقدمونه. وقد عُرِف هذا أيضاً، وهو أن بعض الشمامسة يتناولون القربان قبل الأساقفة. فليبّطل هذا كله وليقم الشمامسة في حدودهم، عارفين ذواتهم، بأنهم خُدّام الأسقف، وأنهم أدني من القسوس.

١) (مز ١٥:٥).



ويتناولون القربان حسب رتبتهم بعد القسوس. على أن يناولهم الأسقف أو القس، بل ولا يجوز للشمامسة أيضاً أن يجلسوا فيما بين القسوس (داخل الهيكل) لأن حدوث هذا الأمر هو واقع بخلاق القانون والترتيب (الكنسي) فكل من لا يريد الخضوع أيضاً بعد صدور هذه القرارات فليكف عن خدمة الشموسية».

١٩)"قد تحدد أن يُعاد بغير تردد عماد الذين يكونون بولسيين[١] ثم يلجأون إلي الكنيسة الجامعة. وإذا كان البعض قد أُحصوا في الاكليروس سابقاً وظهروا بلا عيب ولا لوم، يجب أن يساموا من أسقف الكنيسة الجامعة، بعد أن تعلن معموديتهم، وإن وجدوا بعد الفحص غير مستحقين يجب أن يُقطعوا. وكذلك ينبغي أن يُحَفظ هذا الرسم بالشماسات المعدودات في الإسكيم

---

١) نسبة إلي بولس السميساطي، وهو من سميساط الواقعة بين النهرين بقرب الفرات، ولذلك دُعي بهذا الإسم نسبة اليها. ورُسم أسقفاً على أنطاكية سنة ٢٦٠م بعد وفاة أسقفها ديمتريانوس، وقد جدف علي سر الثالوث الأقدس ناكراً أقنومي الإبن والروح القدس، زاعماً أن الله مع كلمته واحد، كما أن الإنسان مع روحه واحد.



بما أنه ليس لهن شرطونية (رسامة بوضع يد) بل هن معدودات من عامة الشعب في كل حال».

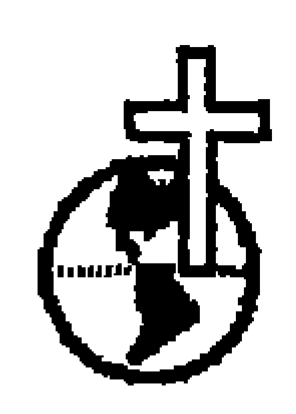
٢٠)"بما أن البعض يحنون ركبهم (يسجدون) في يوم الأحد وفي أيام الخماسين فقد لاح للمجمع المقدس حفظاً للرسوم (التقليد) جميعها، في كل مكان، أن تؤدي الصلوات للّه وقوفاً (عدم السجود في وقت الفطر)».

✠ ✠ ✠

أنتهاء جلسات المجمع:

بعد أن أنتهي المجمع من حكمه وقراراته وقوانينه، أُعلِن أنتهاء جلساته. فدعا الأمبراطور قسطنطين سائر أعضائه إلي مأدبة فاخرة صنعها لهم في قصره الملكي.

ولقد غالي الامبراطور في احترام وتكريم الأساقفة حتي كتب أوسابيوس المؤرخ يصف هذا الاجتماع بقوله: «إن اجتماع آباء الكنيسة في سلام وصفاء بهذه المأدبة الفخمة كان يشبه صورة ملكوت المسيح، وقد تجلي هذا المنظر أمامي كحلم أكثر



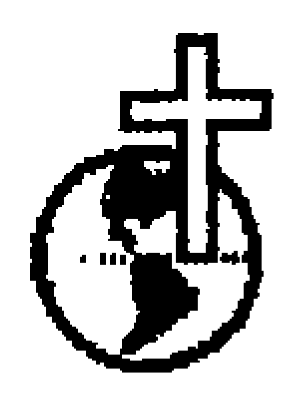
مما هو أمر حقيقي...»·

ثم ألقي قسطنطين الملك عليهم خطاب الوداع، حاثاً إياهم علي إلتزام خطة المحبة والسلام· ثم وزع عليهم هدايا كثيرة وأعطاهم أوامر ملكية إلي ولاة البلاد التي هم فيها كي يوزعوا علي الكنائس في كل عام مقداراً من الحنطة يكفي لمؤونة اكليروسها وفقرائها وأراملها·

وبعد أن طلب الامبراطور الدُعاء والبركة من الأساقفة جميعاً أعد لهم وسائل النقل اللازمة، وودعهم حيث عادوا إلي مراكز أسقفياتهم، ومعهم صوراً من قرارات المجمع·

+++





الفصل الخامس

قوانين المجمع الصحيحة والمُزوّرة

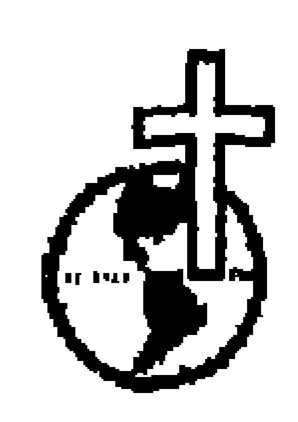
«ووضعوا بعد ذلك القوانين، وهم عشرون قانوناً».(١)

(ساويريس بن المقفع)

رأينا في الفصل السابق، أن مجمع نيقية المسكوني قد وضع **عشرين قانونا** لسياسة الكنيسة، وافق عليها جميع الآباء بلا استثناء، ولكن بعد وضع هذه القوانين بما يقرُب من مائة عام، وإذا بكنيسة روما تَدّعي أن عددها ٨٤ قانوناً!!

وهي لا تَدعِي هذا جُذافاً، إنما لكي تستفيد من بعض القوانين المزورة في إثبات رئاسة أسقفهم علي الكنيسة جمعاء... فلقدأثبتوا في القانون رقم ٣٣ مانصه: «أمروا أن تكون البطاركة في جميع الدنيا، أربعة لا غير، مثل كتبة الأناجيل، ويكون الرئيس منهم صاحب كرسي بطرس برومية...» كما دوّنوا في القانون رقم

١) راجع كتابه عن «المجامع» المطبوع بباريس عام ١٩١١م ص ٣٩٦ ـ ٢٢٠.



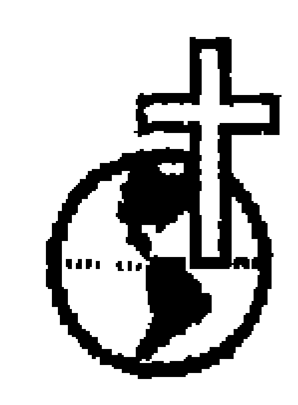
٤٤ مانصه: «كما أن البطريرك أمره وسلطانه علي ما تحت يده، كذلك لصاحب رومية سلطاناً علي سائر البطاركة».

فعلوا هذا إشباعاً لرغباتهم، وهم لا يدرون أن مثل هذا التزوير لايمكن أن يثبُت أمام أحكام التاريخ القاسية.

متي ظهرت أُلعوبة روما؟!

لقد ظهرت ألاعيب أسقف روما وتزويره في قوانين مجمع نيقية المسكوني عندما أنعقد مجمع قرطاجنة عام ٤١٨م – ويفصّل لنا ذلك الأنبا مقار[٢] بطريرك الأقباط الكاثوليك السابق في كتابه «الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة» فيقول: «اقترح القديس أغسطينوس أن يجتمع مجمع كبير أفريقي مكون من ٢١٧ أباً في قرطاجنة ليفصل في قضية البيلاجيوسيين، فاجتمع في أوائل شهر مايو سنة ٤١٨م وأرسل اليه أسقف روما زوسيموس نوابه: وهم الأسقف فوستينوس والقسان فليبس وأُسلوس ».

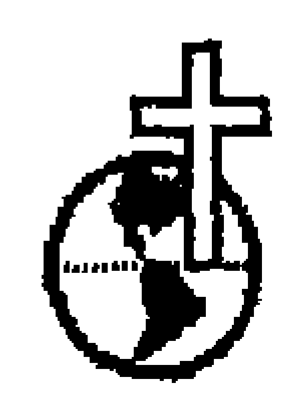
٢) كان بطريركاً للأقباط الكاثوليك ثم عاد إلي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ووضع كتابه هذا الذي فند فيه بدع الكنيسة الغربية.



" وكان رئيس أساقفة أفريقيا رئيساً لهذا المجمع، فأمر أن يبدأ المجمع أعماله بقراءة قوانين المجمع النيقاوي المسكوني. فاعترضه فوستينوس نائب أسقف روما قائلاً: إن المجمع يجب أن يبدأ أعماله بما يحمله هو من تعليمات".

«وبعد أخذ ورد طويلين، وافق الآباء علي الاطلاع علي رسالة أسقف روما التي تحتوي تعليماته... واطلع المجمع علي تلك الرسالة فالفاها منطوية علي بنود أربعة: يشير البند الأول منها إلي حق البابوات في قبول استئناف قضايا الأساقفة وذلك بمقتضي القوانين رقم: ٢، ٤، ٥ من مجمع نيقية... ويشير ثالث هذه البنود إلي قضايا الكهنة والشمامسة ووجوب استئنافها أمام مجمع الأساقفة المجاورين، وذلك بمتقضي قوانين مجمع نيقية أيضاً، وأقرب الأساقفة لكرسي أفريقيا، هم أساقفة إيطاليا ولاسيما روما! ".

«غير أن الآباء الـ ٢١٧ عندما سمعوا هذه الدعاوي أخذتهم الدهشة، وصرخوا كلهم بصوت واحد قائلين: «إن نسخ مجمع نيقية التي بين أيدينا ليست بها مثل هذه القوانين».



وأخيراً قرر المجمع إيفاد القس إينوشنسيوس إلي الإسكندرية، والشماس مارسيل إلي القسطنطينية، وذهب ثالث إلي أنطاكية للاطلاع هناك علي قوانين مجمع نيقية الأصلية.

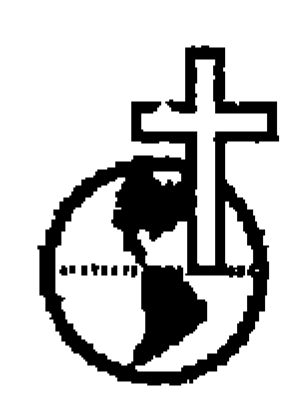
هذا وقد أثبت المجمع أن جميع النسخ اللاتينية لمجمع نيقية الموجودة بقرطاجنة خالية من كل هذه البنود، ونصحوا أسقف رومية أن يوفد من قبله من يتحقق ذلك من النسخ الأصلية، الموجودة بالكراسي الرسولية الشرقية.

وعاد رسل المجمع بعد اطلاعهم علي النسخ الأصلية للقوانين المحفوظة لدي البابا كيرلس الأسكندري والأُسقف إيتكوس القسطنطيني، والبطريرك الأنطاكي ولكنهم لم يجدوا فيها أثراً لما إدعاه أسقف روما في رسالته!!

وعندئذ أرسل مجمع أفريقية برئاسة أوريليوس رسالة مجمعية إلي سلستينوس أسقف روما قال فيها(١):

«لتذكر قداستكم أن استئناف قضايا الكهنة والأساقفة

١) راجع كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة جـ ١، ص ٣٤٨.



والشمامسة مخالف للنظام العام، وأنه لا يوجد قانون ينقض ماهو متبع في كنيسة أفريقية، فضلاً عن أن قرارات نيقية صريحة في إحالة الكهنة والأساقفة أنفسهم إلي رؤساء الأساقفة، ولقد حكم آباء نيقية حكماً صريحاً أن لا يفُصل في القضايا إلا حيث نشأت، لأن نعمة الروح القدس إنما هي حَالّة في كل إبروشية، تلك النعمة التي تجعل أحبار السيد المسيح يفحصون القضايا بكل دقة وينشدون لواء العدل في كل حين»٠

«هذا وإذا رأي المحكوم عليه أنه ظُلِم في المُحاكَمة الأولي، فله أن يلجأ إلي مجامع ابروشيته بل إلي المجمع المسكوني عند الاقتضاء٠

«فلا يأخذن أحد الغرور فيقول إن اللّه يلهم العدل في الحكم شخصاً مُعّيناً، ويضن به علي آلاف الأحبار المجتمعين في المجامع»٠

«أما ما ورد برسالتكم التي حملها إلينا شريكنا في الأسقفية فوستينوس – كأنه من قوانين مجمع نيقية ـ لم نجد له أثراً في النسخ الرسمية لهذا المجمع، تلك النسخ التي استلمناها



من الكُلِي القداسة كيرلس أسقف الإسكندرية ومن جزيل الأحترام اتيكوس حبر القسطنطنية! (راجع مجموعة لابيه ٢ مجلد ٢)[٢].

مصدر القوانين المزورة:

إن القوانين المزورة التي يَدّعِي الغربيون أنها قوانين المجمع المسكوني الأول هي في الواقع قوانين مجمع مكاني عُقِد في سرديكا (صوفيا في بلغاريا) سنة ٣٤٧م ولا صلة لها بمجمع نيقية إطلاقاً!!

قال الأنبا كيرلس مقار (في كتابه: الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة) مانصه:"لما أراد زوسيموس بابا روما أن يقيم للافريقيين الدليل علي ماليه من الحق في قبول قضايا أساقفة أفريقيا وكهنتها أطلق علي مجمع سرديكا إسم مجمع نيقية! ولكن ذلك لم يُجدِه نفعاً، لأن كنيسة أفريقيا بعد أن تأكدت من هذا التزوير، كتبت إلي البابا سلستينوس – وهو ثاني بابوات روما

٢) هو فليب لابيه اليسوعي (١٦٠٧ ـ ١٦٦٧م) واليه تُنسب مجموعة المجامع المطبوعة باللغتين اليونانية واللاتينية.



بعد زوسيموس - رسالة مجمعية غاية في الشدة حطمت فيها الغطرسة الرومانية التي كانت قد أخذت في الظهور يومئذ!!».

" وقد نفت هذه الرسالة نفياً باتاً كل سلطة يدّعيها أسقف روما للتدخل في قضايا كهنة أفريقيا»(١).

وجاء في كتاب تاريخ الكنيسة لموسهيم مايؤيد مانحن بصدده إذ قال: «إن الكنيسة القديمة لم تُسلِّم إلا بالعشرين قانوناً النيقاوية... نعم إن أساقفة روما اجتهدوا في القرن الخامس أن يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا كقوانين مجمع نيقية فقاومهم عند ذلك أساقفة افريقيا، وأرسلوا إلى بطاركة الإسكندرية وأنطاكية والقسطنطنية يطلبون نسخاً كاملة لكل القوانين النيقاوية المعروفة عندهم فكان فحوى الجواب أن كنيسة الروم والقسطنطنية لن تقبل إلا هذه العشرين قانوناً (أنظر أعمال مجمع قرطاجنة السادس عام ٤١٩م)·

«ولكن في القرن السادس عشر أتي من الإسكندرية إلي

١) الانبا إسيذورس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، الجزء الأول ص ٣٤٢.



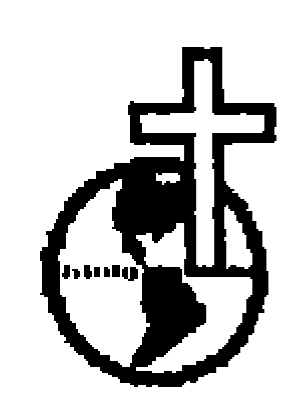
روما بنسخة عربية تحتوي علي ثمانين قانوناً من جملتها هذه العشرين، فتُرجمت حالاً وطبعت.فحصل أولاً ريب ولكن في برهة وجيزة اقتنع كل العلماء بأن الستين قانوناً الزائدة لم تكن من الأصل النيقاوي»(٢).

بطلان القوانين المزورة منطقيا:

إن ثمة نظرة فاحصة لمجموعة القوانين المزورة التي تتمسك بها الكنيسة الغربية كافية لأن ترينا بطلانها! لقد ذكرنا في بداية هذا الفصل أن الغربيين قد زوروا في قوانين نيقية ليثبتوا بعض إدعاءاتهم الكاذبة، غير أن هذا التزوير الفاضح قد شهد عليهم لا معهم كما يلي:-

أولا: يقولون في القانون رقم ٣٧ مانصه: «لا يجب أن يكون في الدنيا إلا أربع بطريركيات إذ ليس فيها إلا أربع جهات أصلية، وأربع أناجيل، وتكون البطريكية الأولي في روما كرسي القديس بطرس، والثانية في الإسكندرية كرسي القديس مرقس الانجيلي، والثالثة في أنطاكية كرسي القديس بطرس أيضاً،

٢) راجع كتاب التاريخ الكنسي لموسهيم ك ٢ ف ٤ ص ١٧٣.



والرابعة في أفسس كرسي القديس يوحنا الانجيلي، وقد نُقلت هذه الأخيرة إلي القسطنطينية».

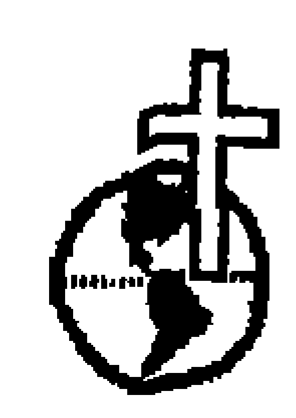
ونحن إذ نعرض لهذا القانون نري أنه باطل للأسباب الآتية:

١) ذُكِر في هذا القانون أنه كانت هناك بطريركية في أفسس، وهذه لم يسمع بها أحد ولم يذكرها التاريخ أطلاقاً!

٢) إن كلمة «بطريرك» «وبطريركيات» لم تظهر إطلاقاً إلا بعد المجمع الخلكيدوني {أي في القرن الخامس} أما في مجمع نيقيه فلم تكن هناك سوي كلمتي «أسقف» «وأسقفيات».

٣) لو أن آباء نيقية هم الذين وضعوا هذا القانون، لما غفلوا ذكر الأسقفية الأولي في الكنيسة المسيحية ألا وهي «**أسقفية أورشليم**» التي رأسها يعقوب الرسول، وذكرت مراراً في الصلوات التي دوّنها الرسل.

ثانيا: جاء في القانون رقم ٤٢ من قوانينهم الباطلة مانصه: «والحبش فلا يُبطّرك عليهم بطريرك من علمائهم ولا باختيار منهم

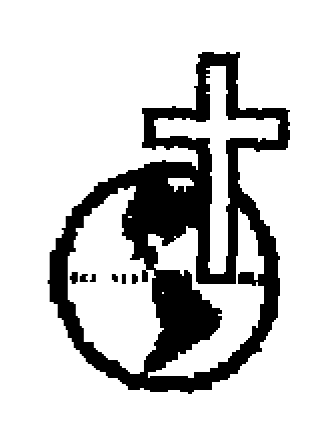


أنفسهم لأن بطركهم إنما يكون من تحت يد صاحب كرسي الإسكندرية، وهو الذي ينبغي أن يُصلِح (يرسم) جاثليقاً الذي هو من دون البطريرك ومن قبله، فإذا بطرك (رسم) عليهم هذا المذكور بإسم «جاثليق»؛ فليس له أن يرسم مطارنة كما يرسمهم البطاركة لأنه إنما يكرم بإسم البطريركية من غير أن يكون له سلطان ذلك، وإن عرض أن يجتمع فيه سينودس (مجمع) بأرض الروم وحضره هذا الحبشي فليجلس في المجلس الثامن(١).

وفي هذا القانون تنظيم العلاقة بين الكنيسة الحبشية وأمها كنيسة الإسكندرية، علي أنّ هذا القانون لايمكن أن يكون صادراً من مجمع نيقية لأن التاريخ يثبت أن الحبشة لم تخضع لكرسي الإسكندرية إلا عندما رُسِم «الأنبا سلامة» أسقفاً لها في عهد القديس أثناسيوس الرسولي عام ٣٣٠م أي بعد انتهاء مجمع نيقية بخمس سنوات علي الأقل!!

ولعل في ذلك أبلغ دليل علي بطلان قوانين رومه.

١) راجع قوانين ابن العسال طبعة عام ١٩٠٨ ص ٢٢ ـ ٢٣.

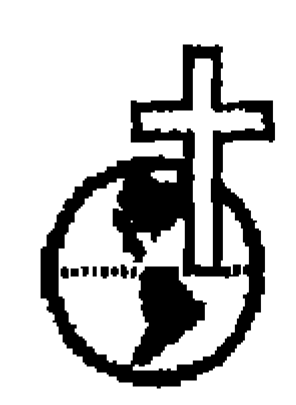


ثالثا: ذُكِر في القانون رقم ٤٤ من مجموعتهم مايأتي: «ينظر البطريرك في كل عمل وأمر يعمل به مطارنته وأساقفته. فإن وجد فيها شيئاً علي غير ماينبغي فليغيره ويعمل بما يراه لأنه أب جميعهم، وكما أن للبطريرك أمره وسلطانه علي من تحت يده، كذلك لصاحب كرسي رومة سلطان علي سائر البطاركة، فإن الأول مثل بطرس فيما كان له من السلطان علي جميع رؤساء المسيحية وجماعة أهلها لأنه خليفة المسيح ربنا علي شعبه وكنائسها».

ولإظهار بطلان هذا القانون أيضا نقول:

١) يتمسَّك الغربيون بهذا القانون المُزَّور ليثبتوا به سلطة أسقف روما علي بقية الكنائس، ونسوا أن هذا يناقض كل التناقض القوانين رقم ٤، ٥، ٦[٢] من قوانين نيقية الصحيحة التي لا يزالون متمسكين بها، فكيف يمكننا أن نوفق بين هذه المتناقضات؟! ألا يثبت ذلك أن قانونهم المزعوم لا صلة له بمجمع نيقية الذي ساوي بقوانينه بين أساقفة الكنائس الرسولية جميعاً؟!

٢) نصوص هذه القوانين جاءت في الفصل السابق.



٢) وماقولهم في قانون {٣٣ مجموعة رسطب} من قوانين الرسل الأطهار الذي ينص علي أن: «أساقفة كل أقليم يجب أن يعرفوا من هو الأول منهم فيدعوه لهم أنه رأس ولا يفعلوا شيئاً إلا برأي المتقدم»!! ألا يرون في قوانين الرسل هذه مايدحض قوانينهم المزعومة؟!

٣) علي أنهم يشبهون - في قانونهم الباطل هذا - سلطة أسقف روما علي بقية الأساقفة بسلطة بطرس الرسول علي بقية التلاميذ! وفي ذلك مايكفي لنقض إدعائهم، فبطرس لم يكن سوي أحد التلاميذ – له ما لهم وعليه ما عليهم.

قال الأنبا كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكي: «إن القانون رقم ٤٤ بقوله إن سلطة البابا علي البطاركة شبيهة بتلك التي كانت للقديس بطرس علي الرسل، ينفي كل سلطان للبابا علي الاساقفة! إذ لم يكن للقديس بطرس سلطاناً علي الرسل بل زميلاً لهم(١)».

ولو فرضنا جدلاً أن هناك سلطاناً لبطرس الرسول، فلماذا

١) راجع الجزآن الأول والثاني من كتاب: «الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة» للبطريرك المذكور.



تنفرد به كنيسة روما ولا تأخذه كنيسة أنطاكية التي أسسها نفس الرسول وأقام لها أسقفاً؟! إذا كان هذا راجع إلي أن بطرس قد مات في روما فينبغي بالأحري أن يكون لكرسي أورشليم المقام الأول والأوحد، لأن فيها صُلِب رب المجد يسوع المسيح.

رابعا: كما أن أبلغ دليل علي زيف وبطلان قوانين روما المنسوبة خطأ للمجمع النيقاوي هو ما نراه فيها من تناقض غريب وتكرار معيب:

١) فبينما ينص القانون رقم ١٦ مثلاً علي الامتناع عن الربا نراهم يكررون هذا في القانون رقم ٥٦ من مجموعتهم الباطلة! وهذا لا يمكن أن يصدر عن هيئة واحدة!

٢) وبينما ينص القانون رقم ٥ علي اجتماع الأساقفة مرتين في كل عام، ينص قانونهم رقم ٤٦ علي اجتماعهم دفعة واحدة.

بطلان القوانين المزورة تاريخياً:

لعل فيما دوناه سابقاً مايكفي لإثبات صحة القوانين العشرين فقط لمجمع نيقية، وبطلان ماعداها، وها نحن نثبت هنا أقوال المؤرخين كبرهان آخر على صحة ما نقول:



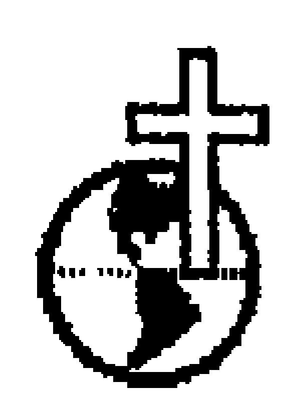
أولا: قال الأنبا كيرلس مقار البطريرك الكاثوليكي في كتابه: «الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة، مخاطباً الروماني ما نصه: «أما فيما يختص بنسبة الـ ٨٤ قانوناً إلى آباء نيقية فأظنك لا تجسر عليه لأن المسيحية تشهد في ذلك العهد بصوت واحد بأن المجمع المسكوني لم يسن إلا عشرين قانوناً لم تزل موجودة باللغة اليونانية ومنقولة بأمانة في مجموعة لابيه»(١).

ثانياً: جاء في تاريخ الكنيسة المترجم عن الانجليزية والمطبوع بأورشليم عام ١٨٩٢م ص ١٧٦ ما نصه: «وقد وضع المجمع عشرين قانوناً في نظام الكنيسة وتأديبها، منها أنه يجب عقد مجمعين محليين في كل مقاطعة سنوياً وأن يصادق الميتروبوليت على انتخاب الاسقف قبل تقليده وأن تجرى الرسامة من ثلاثة أساقفة على الأقل...الخ . ».

ثالثاً: وفي كتاب «كنز العباد الثمين في أخبار القديسين» تأليف مكسيموس مظلوم بطريرك الروم الكاثوليك (مجلد٢ ص ٢٨) ما نصه: «قد نودي بالتئام مجمع مسكوني عام ٣٢٥م في

---

١) الخريدة النفيسة الجزء الأول ص ٣٣٤ .



مدينة نيقية حيث التأمت فيه أساقفة الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً... وفى هذا المجمع قد حُرمت تجاديف أريوس وأتباعه وتألف قانون الإيمان المدعو بالنيقاوى، وبعد ذلك حدد هذا السينودس التزام وضع عيد الفصح السنوى فى كل عام ورتب عشرين قانوناً فيما يختص بالتهذيب الكنسى».

رابعا: وجاء فى كتاب Dictionary of Christian Antiquities V.2, p. 1391. للدكتور وليم سميث والأستاذ شتهام مجلد٢ ص ١٣٩١ تحت كلمة نيقية Nicaca مانصه: «لقد تم الاتفاق على عشرين قانوناً للسير بموجبها خلصت من الجدل وسلمت من الإختلاف، وموثوق بها» .

خامساً: وكتب العلاّمة دين ستانلىDean Stanley فى كتابه: محاضرات فى تاريخ الكنيسة الشرقية Lectures on History of the Eastern Church يقول «إلى هنا كان المجمع قد أتم مهماته وفرغ من أعماله... أما قانون الإيمان والعشرين مرسوماً فسُطّرت فى مجلد، ووقع عليها ثانياً جميع الأساقفة».



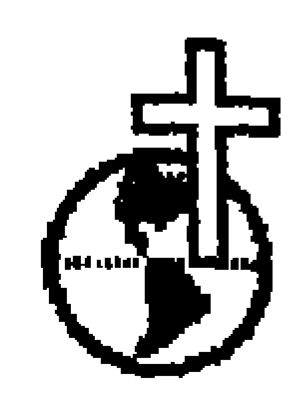
دفع اعتراض الغربيين:

تعترض الكنيسة الغربية - رغم كثرة الأسانيد السابقة - باعتراض واحد، معتقدة أنه يؤيد وجهة نظرها، فيقول: «إن بعض القوانين المزورة الـ ٨٤ مدونة فى كتاب القوانين {المجموع الصفوى} لإبن العسال الكاتب القبطى».

ونحن دفعا لهذا الاعتراض نقول:

أولا: إن كتاب المجموع الصفوى يعتبر كموسوعة قانونية، سجّل فيها كاتبها كل ماوصلت إليه يده من قوانين صحيحة ومزورة وقوانين الكنيسة وقوانين الملوك.

ثانيا: على أنه لم يترك المسألة دون إيضاح كافٍ، فقد ميز القوانين الصحيحة من غيرها. ووضع لكل منها علامة خاصة، وإليك ما جاء فى مقدمة الكتاب المذكور خاصاً بما نحن بصدده: «قوانين المجمع الخامس وهو أول المجامع الكبار المسكونية اجتمعوا بنيقية سنة ٣٢٥م للتجسد، اجتمعوا بسبب كفر أريوس فناقشه الآب الكسندروس بطريرك الاسكندرية ووافقه المجمع على

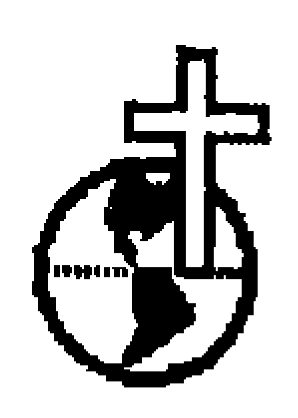


قطعه ونفيه. وكتبوا كتاباً فيه قوانين الأمانة المستقيمة ووضعوا فى الأحكام قوانين كثيرة، وفى هذا الكتاب جزءان: أحدهما عدته عشرون قانوناً وهو متفق عليه وعلامته {نيق} والآخر عنى بإخراجه الملكية (الروم) والنسطورية وعدته فى النسخ الملكية ٨٤ قانوناً والنسخة التى بيد الملكية فيها زوائد تخصهم وعلامته {نيقية}(١).

ولعلنا قد لسنا الآن كيف فرّق الكتاب المذكور بين القوانين الصحيحة والمزورة وكيف رمز للأولى بالكلمة «نيق» بينما رمز للثانية بكلمة «نيقية» فضلاً عن أنه قد نسب القوانين المزورة إلى الملكية والنسطورية، وفى ذلك مايكفى لدحض هذا الاعتراض.

ثالثاً: ولكى ندرك أن الكتاب المعترض عليه هو كموسوعة قانونية جمعت بين الصحيح والباطل.نذكر أنه قد أورد قوانين الرسل الخاصة بالملكية والنسطورية أيضاً، ولكنه جرياً على عادته قد ميزها عن القوانين الصحيحة فرمز للأولى بكلمة (رسطا)

(١) راجع كتاب القوانين لإبن العسال طبعة ١٩٠٨م ص ٤ نسخة مخطوطة تاريخها سنة ٩٥٥ ش.



بينما أشار إلي الثانية المقبولة لدى كنيستنا بعلامة (رسطب، رسطج).

رابعاً: على أننا نود أن نشير إلى أن هناك فرقاً بين وجود القوانين المزورة عندنا، وبين قبولها!.. وفى ذلك يقول الأنبا كيرلس مقار فى كتابه «الوضع الإلهى» السابق ذكره ما نصه: «لقد قلت إن هذه القوانين موجودة عندنا، وأردت أن نستنتج من ذلك القول إننا لهذا السبب نقدسها تقديساً ونجلها إجلالاً! فهل كل مايوجد بين أيدينا هو كذلك مقدس وجليل؟ ألا يجرنا هذا المنطق المضحك إلي تقديس الأناجيل المزورة بما أنها بين أيدينا وأنها تحمل من الأسماء الرسولية ما راق واضعيها أن يصدروها به؟ ألا نشعر بأن مثل هذا الإستنتاج من البلاهة بمكان؟ إعلم أن آباءنا الذين نبذوا الأناجيل المزورة، هم أنفسهم الذين نبذوا القوانين النيقاوية المزورة قائلين: «إن الكنيسة لم تعرف للآباء الـ ٣١٨ غير عشرين قانوناً فقط!!» .



الفصل السادس

على هامش المجمع المسكونى الأول..!!

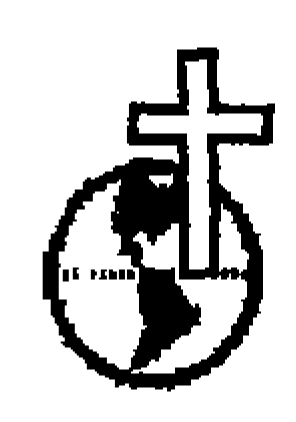
«إننى أسر أعظم السرور لأننى استحققت أن أجمع عدداً وافراً من رؤساء كهنة المسيح للبحث فى تعليمه القويم!!»

(الامبراطور قسطنطين الكبير)

ندون هنا بعض الحوادث الطريفة: التى أثبتها المؤرخون عندما عرضوا لمجمع نيقية، علها تساعدنا على تكوين فكرة صحيحة عن هذا المجمع، ومن شهده!

فى الطريق إلى المجمع:

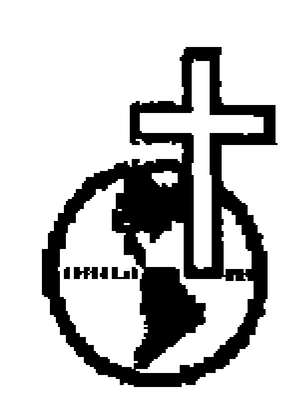
كان ضمن الآباء الذين اهتموا بالذهاب لحضور المجمع الأسقف إسيريدون اليونانى نائباً عن جزيرة قبرص، وكان هذا الأب مشهوراً بسذاجته وبساطته الكاملة، وفى الطريق مال إلى فندق ليستريح، فوجد هناك عدداً ليس بقليل من الأساقفة الذين جاءوا لنفس الغرض، وكان هذا الأسقف البسيط يحمل أمتعته على بغلين أحدهما أبيض والآخر أسود.



وعندما رأى الأساقفة الأنبا اسيريدون خافوا لئلا يخدعه الأريوسيون لبساطته إذا ذهب إلي نيقية، وفكروا فيما بينهم فى الطريقة التى تؤخره عن متابعة سيره. وأخيراً قرروا ذبح البغلين!. وبعد أن نفذوا ذلك قاموا مبكرين وساروا فى طريقهم إلي مقر انعقاد المجمع!.

ولما قام الأسقف اسيريدون أمر خادمه بإعداد العُدةَ وإحضار الدابتين لمتابعة السير، وكم كانت دهشة الأسقف عظيمة، عندما عاد إليه الخادم بعد قليل يقول فى رعب: «لقد ماتت الدابتان! ذبحهما الأريوسيون!». وهنا ذهب مع خادمه إلى الحظيرة وكان الظلام باقياً وأمره أن يلصق الرأسين المقطوعتين بالجثتين ثم صلى ورسم علامة الصليب فنهضت الدابتان سليمتان كما كانتا!! ثم استأنف سيرَه.وما أن أشرق النور حتى أبصر الأسقف فإذا برأس البغل الأسود قد صارت على جسد الأحمر ورأس الأحمر لصقت بجسد الأسود، فسجد لله شاكراً...

ولما وصل إلى مدينة نيقية، استقبله الأساقفة الذين عملوا



معه هذه الحادثة كي يعيقوه عن الحضور - وتأكدوا من قداسته عندما رأوا إختلاف اللونين في الدابتين![1].

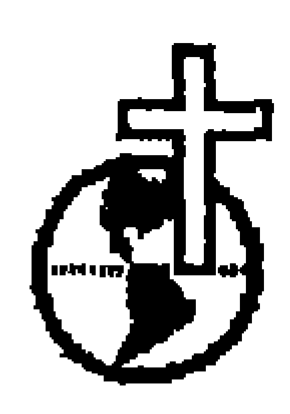
ولقد ذكر المؤرخ روفينوس أن هذا الأسقف الساذج قد اشترك في مجادلة الأريوسيين وإقناعهم بالمبادئ القويمة، وكان مدفوعاً في مناقشاته بقوة إيمانه وحسن عبادته[2].

وقت انعقاد المجمع!

أولا: ذكر بعض المؤرخين أنه عندما عقد المجمع أولى جلساته، كانوا كلما أرادوا إحصاء عدد الأعضاء الحاضرين أضافوا واحداً إلى العدد الأصلي ليشيروا إلي وجود الله في وسطهم.إثباتاً لقول الكتاب: «إذا إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي فهناك أكون في وسطهم» .

---

(١) و(٢) دون المؤرخ دين ستانلي الحادثتين في كتابه Lectures on the Eastern Church History ونحن نثبتها هنا كي نستطيع أن نكّون فكرة صحيحة عن حالة ذلك العصر.



ثانيا: عندما وقف أريوس وأعلن عقيدته الفاسدة، غضب الأساقفة. واندفع القديس نيقولا (بابا نويل الشهير) أحد الآباء اليونان، وضرب المبتدع على فمه.

ولما شكا أريوس أمره للقيصر، حكم الآباء باستبعاد هذا القديس من المجمع وسجنه بعد أن أخذوا قلنسوته وأنجيله! ولكن ما أن ذهب نيقولا إلى السجن، حتى ظهرت له السيدة العذراء ليلاً مُمسكة بذراع يسوع المسيح إبنها الحبيب الذى أقترب من الأسقف وسلمه الإنجيل مبتسماً، كما وضعت العذراء القلنسوة على رأسه!

وعندئذ خرج من الحبس فرحاً، وذهب لآباء المجمع حيث أراهم الإنجيل والقلنسوة. فتعجبوا وباركوا غيرته، وأبطلوا الحُكم الذى أصدروه ضده قبلا![(١)].

ثالثا: انتهز البعض فرصة حضور الأمبراطور فى المجمع وقدموا إليه بعض الشكاوى في حق بعض الأساقفة، وكم كان

---

(١) راجع كتاب «حياة أثناسيوس الرسولي» ص ٤٤ ـ ٤٦.



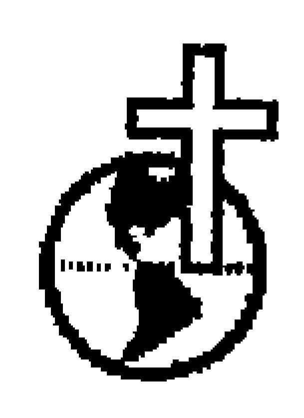
موقف الأمبراطور عظيماً، عندما أحضر مَوقداً وأحرق فيه كل ماتسلمه من الشكاوى قبلما يقرأها، ثم قال للجميع: «لو رأيت بعينى آحد رجال الكهنوت فى ريبّة لسترته بأرجوانيتى!!»

رابعا: رأى الأمبراطور أحد الأساقفة المُسَّمي أكاكيوس(١) جالساً وحده فسأله عن سبب ذلك، ولماذا يرفض الجلوس مع بقية الأساقفة، فقال أكاكيوس إنه لا يقبل الجلوس مع من يخالفونه فى العقيدة!. فنظر إليه الأمبراطور وقال: «أنصب سلّماً ياأكاكيوس واصعد وحدك إلى السماء!»٠

بعد انفضاض المجمع:

بعد انتهاء المجمع بزمن قليل، يرينا التاريخ كيف ناضل القديس أثناسيوس الرسولى البابا الأسكندرى، وحَامَي عن الإيمان، متمسكاً بما أصدره هذا المجمع من قرارات، على نقيض الكنيسة الغربية التى ارتمت فى أحضان الأريوسية، وجحدت الإيمان الأرثوذكسى أكثر من مرة!!.

(١) من أتباع نوفاتيانوس الذين يعتقدون أن الله يرفض توبة جاحدى الإيمان!



يتضح لنا ذلك مما دّونه الأنبا كيرلس مقار (بطريرك الأقباط الكاثوليك سابقاً) فى كتابه الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة، وقال:

«إن مجموع الكنيسة الغربية قد جحد الإيمان الأرثوذكسى، بعد أن نبذ صورة إيمان نيقية، وانفصل عن شركة القديس أثناسيوس وقبل صك البدعة الأريوسية، بل وإرتمى فى أحضان الأساقفة الأريوسيين أنفسهم!!»·

«على أن الكنائس الغربية لم تجحد الإيمان مرة واحدة بل ثلاث مرات»·

«الأولى سنة ٣٥١م وذلك فى مجمع آرلس حيث كان فنسنتوس أسقف كابو نائباً عن البابا ليباريوس: فإن هذا الأسقف ومعه جميع الأساقفة الغربيين قد نزلوا على إرادة الأمبراطور قسطنس وحكموا على القديس أثناسيوس، وقرروا أرثوذكسية الأساقفة الأريوسيين»!

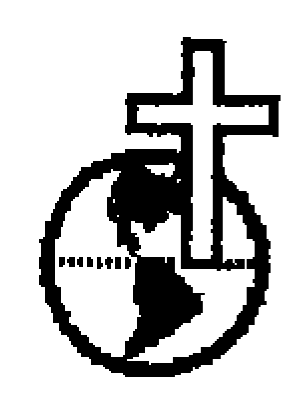
«والثانية سنة ٣٥٥م وذلك فى مجمع ميلانو حيث صدّق ٣٠٠



أسقف غربى على خلع القديس أثناسيوس وقبول الأريوسيين فى شركة الكنيسة! ولم يُفضّل العذاب وآلام النفى على جحود الإيمان ودوس العدل من هذا العدد الكثير إلا ثلاثة أساقفة فقط: هم أوسابيوس أسقف فرسايل وديونيسيوس أسقف ميلانو ولوسيفورس أسقف كاجليارى»٠

«والثالثة سنة ٣٥٩م وذلك فى مجمع ريمينى الشهير حيث أجتمع ٤٠٠ أسقف غربى: ثمانون منهم من الأريوسيين والباقون من الأرثوذكسيين، وقد آل الأمر بهم (إلا ١٨ منهم) إلى جحد دستور الإيمان النيقاوى والتوقيع على خلع أثناسيوس والإعتراف بأرثوذكسية (استقامة رأى) الأريوسيين!!» ٠

«أضف إلى هذا الإلحاد – الذى أرتكبه مجموع الأسقفية الغربية – إلحاد البابا ليباريوس نفسه بصفته أسقف الكنيسة الرسولية الوحيدة فى الغرب كله، فإن ليباريوس هذا بعد أن عاني آلام النفى مدة سنتين٠ وتاقت نفسه إلي أن يعود إلي التربُّع على كرسى رومية الكبير!.. جحد إيمان نيقية وقطع القديس أثناسيوس من شركة الكنيسة واعتنق الأريوسية!»٠

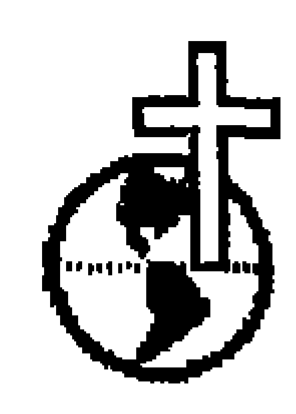


«هذه هى الحقيقة للبدعة الأريوسية. ومنها يتضح بجلاء إن الكنيسة الرومانية – ومعها الغرب كله – قد تواطأت مع الأريوسيين على هدم القديس أثناسيوس، الذى تتجلى فيه الأرثوذكسية النيقاوية، وأن الكنيسة الشرقية كانت دائما المستودع الأمين للمسيحية وأكبر نصير للأرثوذكسية..»

وقال الأب لومند اليسوعى فى كتابه: «خلاصة تاريخ الكنيسة المطبوع بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٤ (الجزء الأول ص ١٩٢) مانصه: «أما البابا ليباريوس فكان أولاً قد أبدى عزماً شديداً إلا أنه فشل فيما بعد لما قاساه من زعج المنفى فأمضى على شجب أثناسيوس!..».

وقال القديس ايرونيموس فى كتابه: «مشاهير الرجال» ف ٩٧، وفى «جدوله للأزمنة» عن سنة ٣٥٤م «إن ليباريوس سئم المنفى وضجر من الوحدة، فأمضى علي الكُفر الأريوسى ودخل رومية، بعد ذلك الجحود، ظافراً منتصراً»!

✠ ✠ ✠



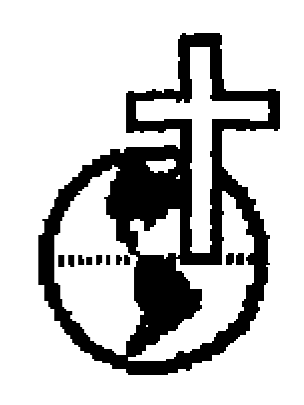
القسم الثاني

المجمع المسكونى الثاني

(بالقسطنطينية سنة ٣٨١ م)

« نؤمن بالروح القدس، الرب المُحيّي المُنبثق من الآب نسجد له ونمجده مع الآب والأبن...»

(آبــــاء المجّــمع)



الفصل الأول

أسباب انعقاد المجمع

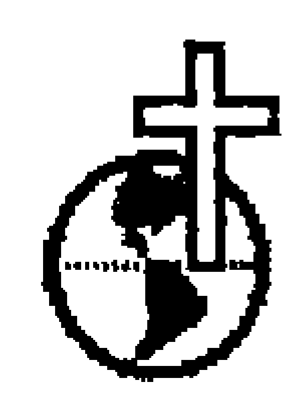
«إحذر أن تفصل الروح القدس من الآب والأبن، فإن التقليد يمنعك من ذلك، هكذا علم السيد وهكذا كرز الرسل وهكذا حفظ الآباء، وهكذا أعترف الشهداء، ويكفيك أن تقر بما تعلمت»(١)

(القديس باسيليوس الكبير)

بعد أنتهاء أعمال مجمع نيقية المسكوني، ظهرت بعض التعاليم الغريبة، فقام الآباء بتفنيدها وإظهار فسادها، غير أن المبتدعين لم يذعنوا للحق بل تمادوا في عصيانهم وضلالهم محاولين نفث سموم تعاليمهم بين البسطاء من جماعة المؤمنين، فكان ذلك سبباً في الدعوة إلى عقد مجمع مسكوني ثان للفصل في هذه البدع قبل استفحال أمرها.

---

١) القديس باسيليوس، رسالة ٢٤ ضد سابليوس .



ولقـد كـان على المجـمع المسكونى الثـانى هذا، أن يبـحث ويحكم فى ثلاث بدع غـريبـة. عـرضت عليـه، نرى أن ندون هنا عجالة عنها وعمن قام بها:

بدعة أبوليناريوس: (Apollinarius)

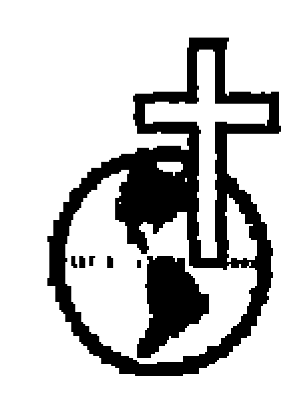
سيم أسقفاً على مدينة اللاذقية بالشام بعد أن أكمل دراسته الفلسفية. واشتهر بمناضلته للأريوسيين وبشدة دفاعه عن لاهوت السيد المسيح له المجد. غير أن فلسفته دفعته إلى السقوط فى بدعة شنيعة، إذ كان يُعلّم بأن لاهوت السيد المسيح قد قام مقام الروح الجسدية، وتحمل الآلام والصلب والموت مع الجسد، وكان يعتقد أيضاً وجود تفاوت بين الأقانيم الثلاثة، منادياً بأن الروح عظيم والإبن أعظم أما الآب فهو الأعظم!!

وفى عام ٣٦٢م عقد القديس أثناسيوس الرسولى مجمعاً مكانياً بمدينة الأسكندرية لبحث هذا التعليم الغريب، وبعد أن أظهر فساده، قرر تثبيت التعليم الصحيح، غير أن أبوليناريوس لم يرتدع.



ولقد جاء في دائرة المعارف الجزء الثالث، عن هذا المبتدع مانصه: «إنه لما شاخ أودع الكتاب المتضمن تعاليمه عند إحدى تلميذاته في أنطاكية. ولما علم بذلك مارأفرآم السرياني وهو في تلك المدينة، استعار هذا الكتاب من تلك المرأة، وألصق أوراقه بغراء، ثم ردّه إليها. ولما لقيه أخذ مارأفرآم يجادله عن المواد التي أدرجها في كتابه أمام جمهور غفير. وإذ كانت الشيخوخة قد أضعفت ذهنه قال لمارأفرآم إن في كتابه رداً على كل مقترحاته، ولما استحضر الكتاب ووجده كقطعة خشب لا سبيل إلى فتحه استشاط غيظاً وداسه برجليه، وأعتزل من هناك، فتبعه الشعب وأوسعوه تعييراً وشتماً حتى غاب عن أبصارهم، ويقال إنه أغتاظ جداً من تلك المعاملة حتى مرض، ومات كمداً سنة ٣٩٠م».

ويبدو أن البعض كانوا قد أعتنقوا تعاليم أبوليناريوس المبتدع، غير أنهم زادوا عليها كثيراً بعد وفاته. فقام القديس إبيفانيوس أسقف قبرص بكتابة رسالة مستفيضة، دحض فيها كل هذه التعاليم الغريبة، وبعث بها إلى جميع المؤمنين الذين انتشرت بينهم هذه البدع، لاسيما في بلاد العرب.



ولما عُقِد المجمع القسطنطينى المسكونى (الثاني) بحث هذه البدعة وحرمها مع مبتدعيها كما سيجئ.

بدعة أوسابيوس:

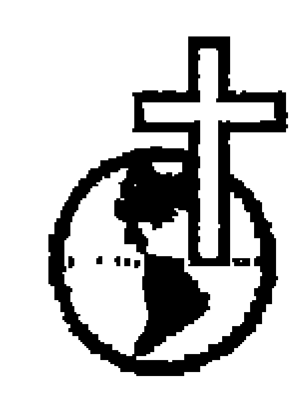
جدد هذا المبتدع تعاليم سابليوس، فكان يعتقد بأن الثالوث الأقدس أقنوماً واحداً. ظهر فى العهد القديم كأب، وصار إنساناً في العهد الجديد بصفة إبن، وحل على الرسل فى عُلية صهيون بصفة الروح القدس!

وقد أُسقِط هذا المبتدع من رتبته، كما حُرِمَت تعاليمه فى المجمع المسكونى الثانى.

بدعة مكدونيوس:

كان مكدونيوس أحد أتباع أريوس، وبواسطة نفوذ الأريوسيين وتأثيرهم لدى الملك قسطنس أقيم أسقفاً على القسطنطينية سنة ٣٤٢م. وعندما وصل إليها حدث هياج شديد بين المؤمنين والأريوسيين، قُتِل فيه عدد كبير.

غير أن الملك قسطنس عاد فحنق عليه بعد قليل عندما رآه



وقد نقل جثة والده الأمبراطور قسطنطين الكبير من مدفن إلى آخر دون علمه، فأمر بعزله عن كرسيه وطرده، فتم ذلك عام ٣٦٠م

ويبدو أن هذا المبتدع كان يعلم التعاليم الأريوسية عندما كان أسقفاً، ولكنه بعد أن عزل وطُرِد بدأ يعلن عن بدعة أخرى مؤداها: «أن الروح القدس عمل إلهى منتشر فى الكون وليس بأقنوم متميز عن الآب والإبن، بل هو مخلوق يشبه الملائكة ولكنه ذو رتبة أسمى منهم»(١) .

وقد فند القديس أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان، هذه البدعة فى المجمع الذى عقده بالأسكندرية بعد عودته من منفاه عام ٣٦٢م. وأبان فساد رأى مكدونيوس، ثم حكم بحرمه وبدعته، وتبعه فى ذلك أساقفة كثيرون.

ولما سمع الأمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير بإنتشار هذه البدعة وافق على عقد مجمع مسكونى فى مدينة القسطنطينية للقضاء عليها.

---

(١) راجع كتاب تاريخ الكنيسة القبطية لمنسي يوحنا ص ٢٧٦



الفصل الثانى

الشخصيات الهامة فى المجمع

«إنك قد أوليت الكنيسة نعمة أيها الأمبراطور (ثيؤدوسيوس الكبير) بهذا المجمع الذى أذعت لأتعقاده رسائل دعوتك»(١)

(آباء المجمع القسطنطينى)

أجتمع فى المجمع المسكونى الثانى، كثير من الآباء القديسين الذين أحلتهم الكنيسة منزلة رفيعة، نعظم فضيلتهم وحُسن جهادهم ومناضلتهم عن الإيمان المستقيم، وقد رأينا أن نُدّون موجزاً عن حياة أهمهم فيما يلى:

الأنبا تيموثاوس البابا الأسكندرى:

تتلمذ على يد القديس أثناسيوس الرسولى بعد أن أتم علومه بالمدرسة اللاهوتية بالأسكندرية، ثم جلس على كرسى مارمرقس

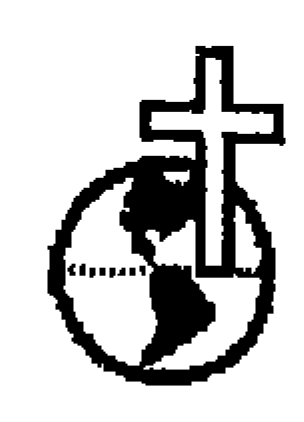
(١) مجموعة المجامع لفيليب لابيه – المجلد الثالث ص ٥٨٥.



بعد نياحة البابا بطرس الثانى عام ٣٧٩م فى عهد الأمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير.

كان يُلقّب «بالفقير» لأنه جمع مايمتلكه من حطام الدنيا ووزعه على جماعة الفقراء والمساكين... وهو الذى فضح مكيدة الأريوسيين فى مجمع صور عام ٣٣٤م عندما أحضروا المرأة العاهرة لتدعى على أثناسيوس الرسولى أنه أرتكب الدنس معها، إذ قام الأنبا تيموثاوس {الذى كان كاهناً فى ذلك الوقت وكان مرافقاً للبابا أثناسيوس} وبدأ يخاطبها كأنه القديس أثناسيوس نفسه، ولأن المرأة الشريرة لم تكن تعرف أحدهما قالت أمام المجمع مخاطبة تيموثاوس: «حقاً أنت ياأثناسيوس الذى فعلت بى هذا الشر!» وبهذا ظهر كذبها وأفتُضِحت مؤامرة الأريوسيين! كما ظهرت حكمة وذكاء البابا تيموثاوس وقوة دفاعه عن أستاذه العظيم القديس أثناسيوس.

ولقد اشترك مع سلفه البابا بطرس الثانى فى تدبير الأمور الهامة كما أظهر غيرة حسنة فى المحافظة على تراث الآباء، إذ عندما حاول أساقفة رومية أعتبار قوانين مجمع سرديكا المكانى

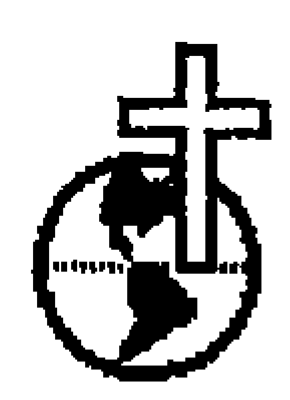


كأنها قوانين مجمع نيقية المسكونى الأول، قاومهم أساقفة أفريقيا، وأرسلوا إلى بطاركة الاسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية يطلبون النسخ الصحيحة لقوانين المجمع النيقاوى. وعندئذ قام الأنبا تيموثاوس بنسخ العشرين قانوناً الصحيحة ووزعها على كل الكنائس، مبيناً لهم أن الكنيسة لم تعرف، ولم تقبل سواها(١)!.

ولما عُقِد المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية حضره مع كثير من أساقفة، ويبدو أنه كان ذا مركز ممتاز فى هذا المجمع، حتى أن بعض المؤرخين أعتبروه رئيساً له! قال المؤرخ صوزومينوس [٧:٧ . ٩] مانصه: «فاجتمع من الذين يعتقدون بمساواة الثالوث فى الجوهر نحو ١٥٠ وفى رئاستهم تيموثاوس المتقلد إدارة كرسى الاسكندرية خلفاً لأخيه بطرس الذى كان قد توفى منذ عهد ليس ببعيد».

ولقد صرف هذا البابا أوقات فراغه فى كتابة تواريخ القديسين، كما وضع قوانين للكهنة. وفى أيامه بُنيت كنائس كثيرة. وأخيراً، بعد أن أكمل جهاده، رقد فى الرب سنة ٣٨٥م.

(١) راجع الفصل الخامس من القسم الأول من الكتاب.



الأنبا ملاتيوس الأنطاكى:

وُلِد فى أوائل القرن الرابع فى مدينة تُدعى ملاطيا من بلاد أرمينيا، وكان أبواه غنيين تقيين، فاهتما بتربيته وتعليمه وتهذيبه، فنشأ مُحباً للفضيلة، راغباً فى الوحدة والعزلة.

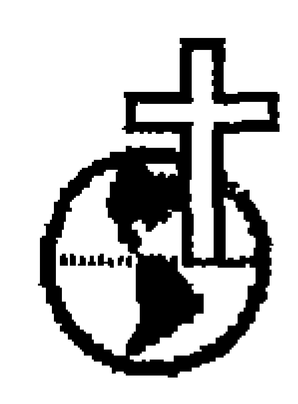
ولما انتقل أسقف سبسطية (وهى إحدى المدن التى نمت فيها البدعة الأريوسية) اختاره الجميع ليكون أسقفاً عليها، وبعد رسامته قضى فى خدمته هناك فترة قصيرة ثم ترك كرسيه وأنفرد فى البرية للعبادة، وإذ لم يسترح في البرية المحيطة بهذه البلدة انتقل إلى نواحى بلدة حلب، حيث اتخذ له مكاناً للعبادة، فلم تمضِ فترة حتى ذاع صيته، وأنتشر بين الناس حُسن فضائله.

وأتفق أن عُزِل فى تلك الأيام أودوكسيوس الدخيل بطريرك أنطاكية (التى كانت تعتبر مركز الأريوسية فى الشرق) وخلا بذلك كرسي أنطاكية. فأتفق رأى الجميع على انتخابه لهذا المنصب، ومن الغريب أن الأريوسيين أنفسهم قد وافقوا على تعيينه، ظناً منهم أنه من المُشايعين لهم!



وما أن جلس هذا الأب على كرسى أنطاكية، حتى بدأ يفكر فى الطريقة السليمة التى يتمكن بواسطتها من جذب الأريوسيين إلى الإيمان المستقيم، فاستقر رأيه على أن يحث هؤلاء على إصلاح سيرتهم والتمسك بأهداب الفضيلة وممارسة أعمال البر والتقوى، عالماً أنه إذا استقامت سيرة إنسان استقام إيمانه أيضاً.

غير أن الأريوسيين لم يقبلوا عظاته هذه، وبدأوا يدركون أنه ممن يرفضون تعاليمهم الشنيعة وبدعهم الغريبة. وأخيراً وشوا به لدى الأمبراطور الأريوسى قسطنس. فانتهز فرصة وجوده فى حضرته ومعه إثنين من الأساقفة الأريوسيين هما جاورجيوس أسقف اللاذقية وأكاسيوس أسقف قيصرية وطلب من الثلاثة أن يفسروا له الآية التى تقول: «الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم» {أم ٨:٢٢} فلما أنتهى الأسقفان الأريوسيان من تفسيرها حسب آرائهما الخاطئة، بدأ ملاتيوس يُبّين خطأ أقوالهما ويوضح لهما التفسير الصحيح، عندئذ غضب الأمبراطور قسطنس منه وأمر بنفيه إلى أرمينيا!.



ثم سأل الأمبراطور عن صك (وثيقة) أنتخاب ملاتيوس ليمزقه، فعرف أنه لدى أوسابيوس أسقف ساموس، فأرسل إليه أحد قواده وشدد عليه الأوامر قائلا: «إن رفض أن يعطيك الصك اقطع يده اليُمنى بسيفك». وما أن وصل القائد إلى أوسابيوس وأعلمه بأمر الملك حتى مد الأسقف يديه الإثنين وقال: «إن قطعهما الإثنين أسهل بكثير من أستلامك الصك الذى تريده». فخاف القائد - إذ كان تقياً خائفاً الله - وعاد إلى الأمبراطور دون أن يُلحِق بالأسقف ضرراً، وأخبره بما حدث، فدُهِش كثيراً لشجاعة أوسابيوس، وأثنى عليه أمام الجميع!.

ولقد بقى ملاتيوس فى نيقية، إلى أن مات قسطنس وتعين بدله الأمبراطور يوليانوس الملحد، الذى رد جميع المنفيين فى زمن سلفه، فعاد إلى كرسيه وعقد مجمعاً من الأساقفة، ثبَّت فيه الإيمان المستقيم، ونبذ كل تعليم غريب أثيم.

ولما تنصّب الأمبراطور فالنص الأريوسى أصدر أمره بنفى ملاتيوس مرة ثانية، فغضب الشعب الأنطاكى كثيراً وحاولوا اختطاف راعيهم الأمين من يد الجنود بالقوة ولكنهم لم يتمكنوا.



وهكذا بقى فى نفيه إلى أن عاد عند تنصيب الأمبراطور غراتيانوس المستقيم الرأى. فبدأ يُصلح أحوال كرسيه التى أفسدتها أيدى الأريوسيين أعداءه. كما تفقّد كافة أفراد رعيته، مُثبّتاً إياهم على الإيمان الأرثوذكسي.

ولما عُقِد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية، رأسه الأنبا ملاتيوس إذ كان شيخاً وقوراً، وعندما وقع بصر الأمبراطور ثيودوسيوس الكبير عليه، قال للآباء جميعاً: «إنى قد رأيتُ هذا الشيخ الوقور فى الرؤيا يضع عليّ الرداء الملكى».

وقد أنتقل ملاتيوس عام ٣٨١م قبل أن ينتهى المجمع القسطنطينى من عقد جلساته ووضع قراراته!.

القديس غريغوريوس الثيؤلوغس (الناطق بالإلهيات): Theologos★

وُلِد ببلدة تدعى أريانز من أعمال نزينزا بآسيا الصغرى، وتعلم بمعاهد قيصرية فلسطين، ثم أرسله والده إلى الإسكندرية وأثينا ليُكمّل دراسته فى معهديهما. وهناك درس اللاهوت والفلسفة وشغف بقراءة الكتب المقدسة وتفسيرها، وبينما كان راكباً السفينة مع آخرين فى إحدى رحلاته، تعرضت سفينتهم



للغرق، فبدأ القديس يصلي لله طالباً منه النجاة وواعدا بأن يوقف حياته بعدئذ لخدمته تعالى، وما أن أنتهى من صلاته حتى هدأ البحر عن هيجانه، فوصل إلى المدينة بسلام!.

وعندما كان يواصل دراسته بأثينا تقابل مع صديقه القديس باسيليوس الكبير، فتعاهدًا سوياً على أن يوقفا حياتهما على عبادة الله.

وبعد أن صرف أكثر من ١٢ سنة في الدراسة، عاد إلى بلدته حيث بدأ يعاون والده في تأدية الخدمات الدينية، ثم أنفرد مع صديقه باسيليوس للتعبد في جبال كبادوكية (بآسيا الصغرى).

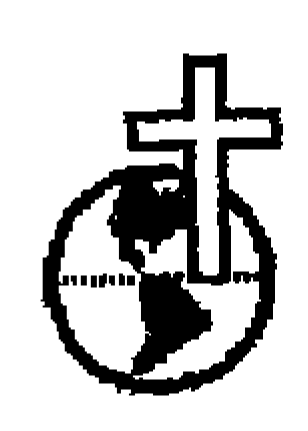
ولم تمضِ فترة حتى رُسم باسيليوس أسقفاً على قيصرية الكبادوك، وعندئذ طلب من صديقه القديس غريغوريوس أن يقبل رسامته أسقفاً على بلدة تدعى صازيمى، غير أن هذا الأخير قد رفض لا لشئ إلا لزهده فى مثل هذه المناصب، فتألم باسيليوس لرفضه. وكادت الصداقة التى بينهما أن تنفصم، لولا أن والد غريغوريوس تدخل فى الأمر وأجبره على قبول الرتبة للخدمة فقبل!.



ولما تمت رسامته ذهب ليستقر فى مقر أبروشيته، غير أن أحد الأساقفة قابله فى طريقه ومنعه من الذهاب إلي البلدة التى رُسم عليها بدعوى أنها تابعة له، فعاد تواً إلى بلدته!.

وفى عام ٣٨٠ أجمع الأساقفة والشعب على تعيينه أسقفاً على القسطنطينية،فقبل على شريطة أن يتركها متى توفر الراعى الشرعى لها، واتفق بينما كان هذا القديس مريضاً أن سعى رجل يدعى مكسيمياتوس بواسطة بعض أعوانه من أفراد الشعب لدى البابا الأسكندرى بطرس الثانى لرسامته أسقفاً على القسطنطينية، فلما تم ذلك، ووصل إلى علم القديس غريغوريوس ترك المدينة وخرج، ولكن الشعب سعى وراءه، وأجبره على العودة، بعد أن أعلن عدم قبول الأسقف الجديد.

ولما عُقد المجمع المسكونى الثانى، وكان هذا القديس أحد أعضائه، طلب الأمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير من الآباء تثبيته على كرسى القسطنطينية، وكاد يتم هذا الأمر لولا وفاة ملاتيوس بطريرك أنطاكية {الذى كان يعضده} ومعارضة أساقفة مصر. وعندئذ اختار المجمع نكتاريوس صديق غريغوريوس لهذه الأسقفية، فسُرَّ القديس كثيراً بهذا الإختيار،وتنازل عن كرسيه، وخرج من المدينة سراً حتى لا يحدث شقاق بسببه!!



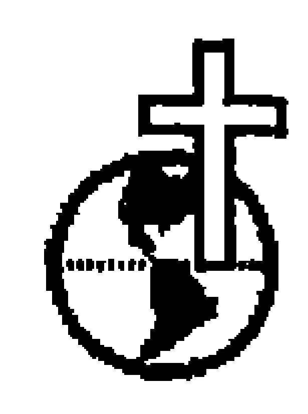
ثم أنفرد مع بعض الرهبان وأنقطع للعبادة وكتب يصف حالته ويقول:

«إننى عائش بين الصخور والوحوش الضارية، فمسكنى مغارة أسكن بها وحدى، ولا أملك إلا ثوباً واحداً. ولا أستعمل حذاءً ولا موقداً. رقادى فوق تبن وغطائى كيس من الكتان!! والوسادة الخشنة تحت رأسى، توجد على الدوام مُبتلَّة بدموع عينىَّ!!».

ولقد كتب فى عزلته مقالات كثيرة مفيدة أوضح بها صحة إيمان الكنيسة، كما وضع القداس الذى لازال يحمل إسمه إلى الآن. فإستحق بذلك أن يدعى الثيؤلوغس أى الناطق بالإلهيات (Theologos). وأخيراً، بعد أن أكمل جهاده رقد فى الرب سنة ٣٩٠م.

القديس غريغوريوس النيصى :

وُلِد من أبوين فاضلين، غير أنه عاش فى بداية حياته عيشة ليست بحميدة، وبقى هكذا حتى نواله بعض درجات الكهنوت إذ انكب على مطالعة أشعار اليونان التى أغُرم بها كثيراً. وكان

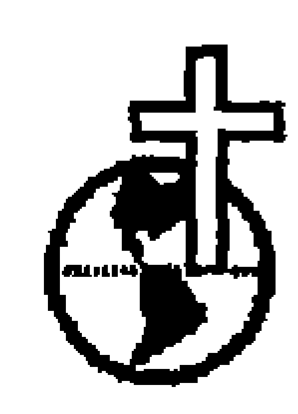


يلقنها دواماً للشبان، فكان بذلك موضع أنتقاد شديد من الأكليروس والشعب المسيحي.

وما أن سمع غريغوريوس الثيؤلوغس بسيرته هذه حتى تألم كثيراً وبدأ يكتب له الرسالة تلو الأخرى ناصحاً وموبخاً ومهدداً ومبيناً ماينبغي عليه أن يفعله، لينهض من كبوته هذه، وسُرعان ماتأثر صاحب الترجمة بتلك الرسائل الجليلة، فصمم على تغيير سيرته الرديئة.

فاقتنى الكتب المقدسة ونبذ ماعداها، ثم انكب على دراستها مع مؤلفات الآباء القديسين فتغيرّت أخلاقه وتبدلت وتحسنت حالته، وأصبح فى وقت قصير كملاك فى صورة إنسان بشرى.

وكم تألم لفقده تاج البتولية، التى كتب عنها يقول: «ماذا ينفعنى إذاً أن أضع لدى أعين الجميع عظم استحقاقات حفظ البتولية سوى أن يجعلنى نادباً بالأكثر شقاوة عيشتى التى أخترتها لذاتى وبها خسرت كنزاً لم أعرف قيمته إلا متأخراً، وعلى هذه الصورة أكون كرجل فقير مسكين يشاهد أتساع ثروة غيره ولا ينتفع منها إلا زيادة الغم على حال شقاوته ومسكنته وفقره الشديد».

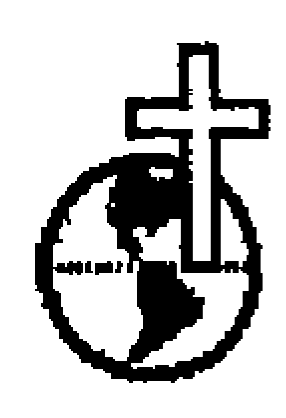


ثم ترك العالم وانفرد للعبادة، ولم تمضِ فترة طويلة حتى خلي كرسى أبروشية نيصُص،فاختير هذا الآب دون رغبته ليكون أسقفاً له، فقام بتدبير أبروشيته خير قيام، وجاهد كثيراً ضد الهراطقة والمبتدعين وأتباعهم، حتى طهّر كرسيه منهم.

ولما صار فالنص الأريوسى ملكاً، أبعده عن كرسيه ونفاه. فبقى إلى أن عاد، بعد تنصيب غراتيانوس الملك. واستأنف جهاده وخدمته فى وسط رعيته.

ولقد أُوفِد من قِبَل مجمع أنطاكية فى مهمة إلى كنائس بلاد العرب فذهب إليها وقام بما عُهِد إليه به خير قيام، ثم عاد إلى القسطنطينية وأشترك فى المجمع المسكونى الثانى بها، ويذكر بعض المؤرخين أنه عندما أنتقل ملاتيوس بطريرك أنطاكية قبل أنتهاء جلسات المجمع رثاه هذا الآب بخطاب بليغ عدّد فيه فضائل المنتقل وحُسن جهاده.

وبعد أنتهاء جلسات المجمع عاد إلي مقر أبروشيته، وظل يخدم شعبه إلى أن رقد فى الرب، فى أواخر القرن الرابع الميلادى.



الفصل الثالث

جلسات المجمع وقراراته

«لقد دعا الأمبراطور ثيؤدسيوس الكبير إلى عقد مجمع من الأساقفة الأرثوذكسيين ليعززوا جانب إيمان مجمع نيقية ويتدبروا في رسامة أسقف للقسطنطينية[1]»

(المؤرخ سقراط)

أنعقد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١م فى عهد الأمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، وحضره ١٥٠ أسقفاً يتقدمهم تيموثاوس البابا الأسكندرى مع بعض أساقفته، وكيرلس أسقف أورشليم وملاتيوس أسقف أنطاكية ونكتاريوس وغريغوريوس الثيؤلوغس أسقف القسطنطينية وغريغوريوس أسقف نيُصص، وأمفيلوسيوس أسقف أيقونية وبيلاجيوس أسقف اللاذقية وثيؤذورس أسقف طرسوس وأكاكيوس أسقف حلب.

---

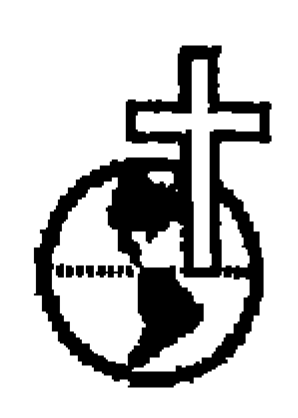
1) Socrates, 8.5, Sozomen, 7.7, Theodoritus, 8.5, Eccles. History.



مجمع شرقى!

ويتبين لنا من مراجعة أسماء الأساقفة الموقعين على قرارات هذا المجمع المسكونى ومن المستندات التاريخية أيضاً، أننا أمام مجمع شرقى!. إذ لم يحضر من أساقفة الغرب أحداً، رغم توجيه الدعوة إليهم، كما وجُهت إلى غيرهم من الشرقيين، وحتى داماسوس أسقف روما لم يحضر كما أنه لم يرسل نواباً عنه (كما حدث فى مجمع نيقية) غير أنه خضع للقوانين التى أصدرها المجمع واحترم قراراته.

قال الأنبا كيرلس مقار بطريرك الأقباط الكاثوليك السابق فى كتابه: «الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة» مانصه : «لم يكن الكنيسة الرومانية فى المجمع المسكونى الثانى نصيب، ماعدا أن أسقفها حسب الأصول دُعىّ بواسطة منشورات الإمبراطور ولكنه أمتنع عن تلبية الدعوة وعن المبادرة إلى إجتماع عمومى كنائسى وعن إرسال أعضاء إليه. وهذا كله لم يكن ليقلل من أهمية المجمع ويجعله غير شرعى أو غير مسكونى!.»



«لقد ذكر بعض المؤرخين أن داماسوس أسقف روما أرسل إلى آباء المجمع المسكونى الثانى يدعوهم للذهاب إلى روما كى ينضموا إلي مجمع كبير غربى مُزمَعاً أن ينعقد هناك» ولكن المائة والخمسين أبا رفضوا هذه الدعوة رفضاً باتاً.

وفى ذلك يقول تاودريتوس المؤرخ مانصه: «وُجِد فى الصيف الماضى جمهور كبير من الأساقفة الشرقيين فى مدينة الإمبراطور لأجل قضاء ضرورة كهنوتية. فوصلهم خطاب مجمعى من أساقفة الغرب يدعونهم به إلي روما حيث كان مجمع مُزمَعاً أن ينعقد. لكنهم رفضوا الدعوة مُقرّرين أن سفرهم إلي ررما، لا فائدة منه. وقالوا فى الجواب الذى أعدوه: «إن كنائسهم تكبدت الصعوبة حتى خرجت من الزوبعة العظيمة التى صدمتها، وأشاروا به إلى كسل الغربيين الواضح الذين بدل أن يجيئوا إلى القسطنطينية - وهذا فى طاقتهم - يطلبون سفر الشرقيين إلى روما فى الوقت الذى بدأت فيه كنائسهم تنتعش وأصبحت فى حاجة إلى وجودهم فى حضرتها»(١).

(١) الخريدة النفيسة، الجزء الأول، ص ٢٧٦.



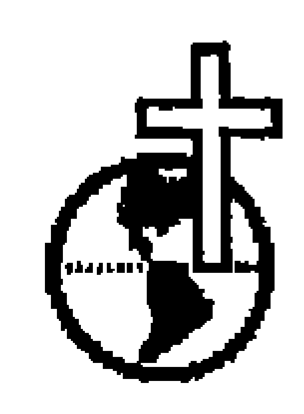
مدينة القسطنطينية:

اختار الإمبراطور مدينة القسطنطينية لتكون مقراً للمجمع المسكونى الثانى، وهى المدينة التى بناها الإمبراطور قسطنطين، فى المكان الذى كانت فيه بيزنطة على شاطئ البوسفور، وأنشأ فيها أول حكومة مسيحية، فى ١١ مايو سنة ٣٣٠م. ولما تنصَّب الإمبراطور أركاديوس ثبتها كعاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية عام ٣٩٥م.

ويبدو أن موقعها الجغرافى الممتاز ومكانتها الاقتصادية والحربية قد وجهت إليها أنظار الطامعين والفاتحين، فعانت لذلك حروباً كثيرة، كادت تحيلها إلى ميدان للقتال.

حاصرها العرب عام ٦٨٥م ولكن القيصر قسطنطين الرابع قد أنتصر عليهم وردهم فاشلين فعادوا لمحاصرتها مرة ثانية سنة ٧٤١م فى عهد لاون الثالث غير أنهم لم يفلحوا أيضاً.

وعندما بدأت الحرب الصليبية، ودعا بابا روما بعض الممالك التابعة له كى تشترك فيها - جاءت الجيوش عن طريق



القسطنطينية. ويقال إنها قد عبثت بمحاسن المدينة ونقلت إلى روما أكثر تحفها الثمينة، ويذكر البعض أن سبب ما أحدثته هذه الجيوش بالقسطنطينية هو وجود نزاع في تلك الأيام بين كنيستي الروم واللاتين، لاختلافهما على بعض المسائل العقائدية.

وفي سنة ١٤٥٣م دخل السلطان محمد الثاني الفاتح مدينة القسطنطينية بجيوشه التركية، وبعد أن استتبت الأحوال حول كنيستها الكبرى (أجيا صوفيا) إلى مسجد وجعلها عاصمة مُلكه ومقر حكومته (وهي حالياً متحف تركي).

ولا زالت أهمية المدينة باقية حتى الآن، وإن كان اسمها قد تغيَّر إلى الآستانة ثم استانبول، ونُقلت العاصمة التركية إلي أنقرة الحالية.

الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير:

هو الذي أهتم بإصدار الأوامر لعقد المجمع القسطنطيني، لبحث بدعة مكدونيوس، قبل أن يستفحل أمرها. وكان عالي الهمة، حسن الأخلاق، عادل الأحكام، ولذلك لقبه التاريخ: بالملك الأرثوذكسي (المستقيم).

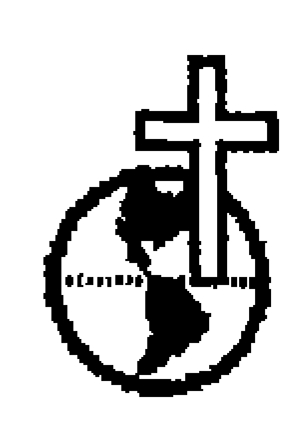


أصدر منشوراً عام ٣٨١م لجعل الديانة المسيحية، الديانة الرسمية للملكة، ثم أمر بهدم المعابد الوثنية، فهدم فى روما وحدها أكثر من ٤٠٠ معبد. كما صرح للبابا الأسكندرى الأنبا ثاوفيلس بتحويل كافة معابد الأوثان فى مصر إلي كنائس، وكان ضمن هذه المعابد هيكل سيرابيس بالإسكندرية الذى حوله الأنبا ثاوفيلس إلى كنيستين سميتا بإسمى أركاديوس وهانوريوس ابنا الإمبراطور.

ولقد كتب أحد المؤرخين يصف مدى تأثير أمر الإمبراطور السابق فى مصر فقال: «كان للمصرين يومئذ أربعون ألف صنم للعبادة فحل محلها دين المسيح الآمر بالتوحيد، ومع ذلك فقد بقى من العاكفين على دين الوثنية كثيرون بصعيد مصر، ولم يُمَح هذا الدين إلا بتوالى الأيام ومرور الأعوام ».

ورغم قسوة هذا الإمبراطور التى ظهرت فى بعض أحكامه إلا أنه كان سريع العفو لطيبة قلبه، وحُسن عبادته.

خرج أهالى تسالونيكى مرة عن طاعته وقتلوا حاكمهم. فأصدر أمره بقتلهم جميعاً بدون تحقيق! فقتل فى وقت واحد



سبعة آلاف نسمة! وعندئذ أبان له الأسقف أمبروسيوس خطأ حكمه، وحَرَمه من دخول الكنيسة حتى يتوب.

ولما أراد الصلاة يوماً، قابله الأسقف فى الطريق وقال له: «كيف تقف أمام الله بذنبك الجسيم؟ أتستطيع أن تطأ مكانه المقدس ويداك ملطختان بدم الأبرياء؟!» فتأثر الإمبراطور ورجع إلي قصره وبقى مايقرب من ثمانية أشهر إلى أن أقترب عيد الميلاد. وعندئذ مال إلي الذهاب إلي الكنيسة وقال فى نفسه. «أيكون هيكل الله مفتوحاً لبُسطاء شعبى ومغلقاً فى وجهى!؟».

وذهب إلي مكان بقرب الكنيسة واستدعى الأسقف ليسمح له بالدخول فقال له: «إن أخطائك الجهارية تقتضى توبة جهارية» وطلب الأسقف منه أن يصدر أمراً بوقف حكم القتل مدة شهر حتى يظهر البرئ من المُدَان، فوافق الإمبراطور ودخل الكنيسة وسجد أمام الهيكل باكياً ونادماً على فعلته قائلاً : «لصقت بالتراب نفسي فأحينى ككلمتك» (مز ١١٩:٢٥) ولقد تأثر الشعب من موقفه هذا أيما تأثر، ولمسوا فيه مَثَلاً حياً للتوبة الحقيقية.

وفى إحدي السنين فرض ضريبة كبيرة على أهالى أنطاكية فغضب الشعب، والقىٰ بتمثالىْ الملك والملكة إلى الأرض وجروهما

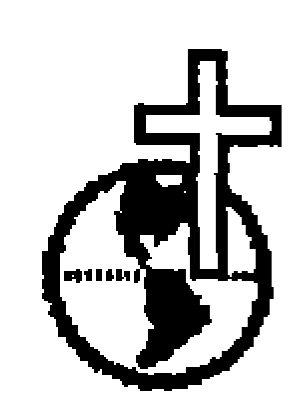


فى الشوارع. وإذ سمع الملك بذلك إستاء وفكر فى تدمير إنطاكية كلها! فخاف الأهالى بطشه وطلبوا من أسقفهم فلابيانوس أن يتشفع فيهم لديه ليصفح عنهم، فلما قابله الأسقف أوضح له الإمبراطور كيف قابل هذا الشعب إحسانه بالإساءة، فقال الأسقف: «إنهم يستحقون كل عقاب ولكن اعتبر أيها الملك بجودته تعالى، كيف أنزل عظمته إلى تواضع خليقته المخالفة العاصية فغفر لها.. فإن غفرت لنا كانت نجاتنا ديناً علينا، أما حُنُّوك فيزداد جلالاً. ويعجب منه الكَفَرة ويمجدون الله قائلين: «ما أعظم إله المسيحيين فإنه يرفع ذويه إلى أعلى الرُتَب».

ثم بسط له قول السيد: «إن لم تغفروا للناس زلاتهم فلا يغفر لكم أبوكم السماوى زلاتكم» (مت ٦:١٥) عندئذ نظر الإمبراطور إلي الأسقف، وفى تأثر شديد قال له: «لقد عفوت عن ذنبهم إكراماً لرب المجد الذى اتخذ صورة عبد، وسأل الغفران للمذنبين!!..» .

الجلسة الأولى:

بدأ المجمع أولى جلساته فى أحد أيام شهر مايو سنة ٣٨١م



برئاسة القديس ملاتيوس بطريرك أنطاكية، غير أن هذا الأب مرض قبل أنتهاء المجمع من أعماله. ثم رقد فى الرب، فرشح الآباء القديس غريغوريوس الثيؤلوغوس ليخلفه فى الرئاسة، ولكن البابا الأسكندرى وأساقفة مصر عارضوا فى هذا الترشيح، فلما رأى غريغوريوس أن رئاسة المجمع ستُحدِث إنقساماً، تنازل عنها لصديقه نكتاريوس الذى حاز رضاء الجميع.

وبعد أن تُلِيت المراسم الخاصة بإنعقاد المجمع. دُعَي مكدونيوس ليعرض اعتقاده على مسامع الآباء، فبدأ يقول إن الروح القدس مخلوق، مستنداً على الآية القائلة: «كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يو١:٣).

فأجابوه قائلين: «إنه لا يوجد لدينا إلا روح واحد هو روح الله، ومن المعلوم أن روح الله ليس شئ غير حياته، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة فعلى زعمك أنه غير حى، وإذا كان غير حى، فهذا هو الكُفر الفظيع والرأى الشنيع!»[1].

(١) راجع تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٦٤ والسنكسار تحت يوم أول أمشير.



ثم حاول الأساقفة أقناع مكدونيوس بخطأ عقيدته طالبين منه تركها كي يعود إلى الإيمان المستقيم، ولكنه رفض وأصرَّ على التمسُّك ببدعته الشنيعة!.

قرار المجمع:

وإزاء أصرار مكدونيوس على التمسك بآرائه، لم يجد المجمع بُداً من النطق بالحكم عليه. فقضى بحرمه وفرزه. كما حكم الإمبراطور بنفيه.

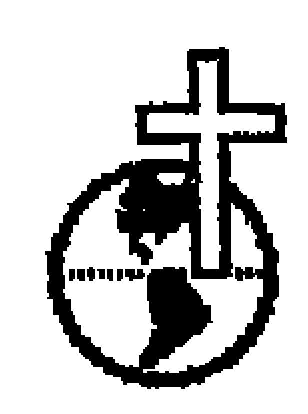
وقرر الآباء أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، وأنه مساوٍ للآب والإبن، **ثم أكملوا قانون إيمان مجمع نيقية كالآتي:**

«نعم نؤمن بالروح القدس الرب المُحيي[2] المنبثق من الآب[3]. نسجد له ونمجده مع الآب والإبن[4] الناطق في

(٢) أع ١٣:٢و١٤، عب٦:٤، ٢بط١:٢١، ١كو٢:١٢و١٣

(٣) يو١٥:٢٦، ١كو٢:١٢

(٤) يو٤:٢٤، في٢:١٠، رؤ٥:٨



الأنبياء(٥) وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية(٦) ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا(٧) وننتظر قيامة الأموات(٨) وحياة الدهر الآتى آمين(٩)».

الحكم فى القضايا الباقية:

ثم بحث المجمع بدعة أبوليناريوس وأوسابيوس وقرر حرمهما ومن يعتقد بهما، ولقد ذُكِر فى السنكسار القبطى تحت يوم أول أمشير عما دار بين هذين المبتدعين وبين البابا تيموثاوس الأسكندرى، فى إحدى جلسات المجمع، ما يأتى: «سأل الأنبا تيموثاوس أوسابيوس قائلاً: «وأنت ما هو اعتقادك؟» فأجابه: «إن الثالوث ذاتاً واحدة وأقنوماً»،فقال له الأب تيموثاوس. إذا كان الثالوث أقنوماً واحداً كما زعمت فقد بَطُل ذكر الثالوث وبَطُلَت أيضاً معموديتك لأنها بإسم الآب والإبن والروح القدس، ويكون

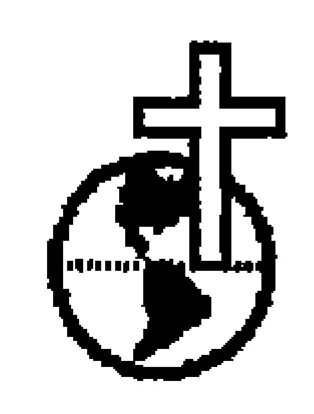
(٥) ٢بط١:١٢، مر١٢:٣٦، لو١:٩٨، ٢تى٣:١٦

(٦) مت١٨:١٧، أف٤:٤-٦، أف٥:٢٥-٢٧

(٧) أف٤:٥، أع٢:٢٨، مت٢٨:١٩

(٨) أش ٢٦:١٩، دا ١٢:٢، ١كو ١٥:١٢-١٤

(٩) يو ٥:١٨و١٩، مت ٢٥:٤٦، رؤ ٢٠:١٢-١٥



على زعمك الثالوث قد تألم ومات وبطُلَ قول الإنجيل القائل:"إن الإبن كان قائماً في الأردن والروح القدس نازلاً عليه شبه حمامة والآب يناديه من السماء»· ثم نصحه أن يرجع عن كُفره، فلم يرجع· فقطعه وأنزله من رُتبته»·

+ وسأل أبوليناريوس قائلاً: «وأنت ماهو اعتقادك؟»،فأجابه بقوله: «إن تجسد الإبن كان بإتحاد الروح القدس مع الجسد البشرى وبدون النفس الناطقة، لأن لاهوته قام مقام النفس والعقل»· فقال له الأنبا تيموثاوس: «إن الله الكلمة إنما أتحد بطبيعتنا لكى يخلصنا، فإن كان اتحاده بالجسد الحيوانى فقط فهو إذن لم يُخلّص البشر، بل الحيوانات، لأن البشر يقومون فى يوم البعث بالنفس الناطقة العاقلة، التى معها يكون الخطاب والحساب وبها ينالون النعيم والعذاب، وعلى ذلك تكون قد بَطُلَت منفعة التجسُّد· وإذا كان هكذا، فكيف يقول هو عز وجل عن ذاته: **إنه إنسان**، إذا كان لم يتحد بالنفس الناطقة العاقلة؟ ثم نصحه كثيراً ليرجع عن كُفره فلم يرجع فقطعه·

ولما عُرِض على المجمع القيام بتعيين أسقف لإنطاكية خلفا للقديس ملاتيوس الذى أنتقل وقت إنعقاد المجمع، وافق



على تعيين فلابيانوس، وأثبت ذلك ضمن قراره عن الكنائس: فقال «أما بالنسبة لكنيسة القسطنطينية المرتبة حديثاً، فنحن قد أجرينا رسامة نكتاريوس الجليل أسقفاً بأجماع وأتفاق المجمع وإشراف الإمبراطور التقي ثيؤدوسيوس، ورضا عموم الأكليروس والشعب.

" وبالنظر إلي كنيسة أنطاكية، فإن أساقفة المُقاطعة والأبروشية الشرقية أقروا قانوناً على فلابيانوس الوقور بإجماع وإتفاق جميع أعضاء هذه الكنيسة. وصادق كل المجمع على هذا التعيين لأنه شرعى. وبالنظر إلي كنيسة أورشليم التى هى أم كل الكنائس، فنحن قد أعترفنا بأسقفية كيرلس الحسن الديانة، المحب لله والمكرس قانونياً بواسطة أساقفة مقاطعته». ثم رُفعت أحكام المجمع للإمبراطور، فوافق عليها وثبتها(١).

قوانين المجمع:

وقبيل إنفضاض المجمع، سن الآباء سبعة قوانين لسياسة الكنيسة، حيث أعلنوا فى قانونهم الأول وجوب التمسك بدستور

(١) راجع مجموعة المجامع لفيليب لابيه اليسوعى ج٣ ص ٥٨٥، سقراط، تاريخ الكنيسة، ٥:٨.



إيمان مجمع نيقية مع رفض كل البدع والتعاليم الغريبة عنه. وفى القانون الثانى، أعادوا تحديد مناطق النفوذ الممنوحة للكراسى الرسولية والأسقفيات، مراعين فى ذلك ماحددته قوانين المجمع المسكونى الأول.

ويبدو أن آباء المجمع كانوا يسعون لكسب رضاء الأباطرة، ولذا فقد أثبتوا فى القانون الثالث تقدم كرسى القسطنطينية رغم حداثته عن كرسى الأسكندرية الذى جاهد آباؤه جهاد الأبطال فى سبيل الذود عن الإيمان، والذى كان له المقام الأول بين الأسقفيات جميعاً.

أما البابا تيموثاوس الأسكندرى فكان يرى مع أساقفته أنه ليس ثمة ضرورة لوضع هذا القانون للأسباب الآتية:-

أولا: لأنه لا مُبرر لاقحام الكراسى الدينية فى الرفعة (المكانة العظيمة) المدنية !

ثانياً: لأن مجمع نيقية المسكونى الذى تصدّى لتحديد مناطق النفوذ للكراسى الرسولية لم يُدوّن فى قوانينه ما يثبت تقدم أحد الكراسى - فى الكرامة - على سواه، بل جعلها كلها فى مرتبة واحدة.



ثالثا: أضف إلى ذلك أنه لم يكن فى القـوانين السـابقـة مـايمنح لكرسى رومـا «الكرامـة الأولى» حـتى يمكن وضع هذا القانون الذى يعطى لكرسى القسطنطينية الكرامة الثانية بعدها !

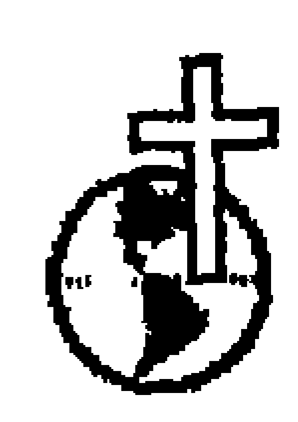
ولهذا فقد أحتج مع أساقفته أحتجاجاً صارخاً على وضع هذا القانون. ثم انسحبوا من المجمع غاضبين!!

أما القانون الرابع للمجمع فخاص بإسقاط ورذل مكسيموس السينيكى الذى سعى للجلوس على كرسى أسقفية القسطنطينية بغير حق.

والقانون السادس يبين ماينبغى إتخاذه من تدابير إذا قُدِّمت بعض الدعاوى ضد الأساقفة. كما أن القانونين الخامس والسابع ينظمان ماينبغى إتخاذه عند رجوع الهراطقة - أو أتباعهم - إلى الإيمان الأرثوذكسى (السليم).

وأتماما للفائدة، ندرج هنا نصوص القوانين السبعة كما وضعها المجمع المسكوني الثاني:

١) إن الآباء القديسين الملتئمين في القسطنطينية قد قرروا أن لا يتـجاوز أحد إيمان الآباء الثلاث مائة والثمانية عشر الملتئمين فى نيقية البيثينية، بل تبقى تلك الأمانة ثابتة مؤيدة حقيقية، وأن تُلعن كل هرطقة سيئة.



٢) لا يُسمح للأساقفة أن يسوسوا الكنائس التى هى خارج إدارتهم بل بحسب القوانين يجب على أسقف الأسكندرية أن يدبر أمور مصر فقط، ولأساقفة الشرق أن يسوسوا الشرق فقط مع حفظ التقدم لكنيسة الأنطاكيين حسب نص قوانين مجمع نيقية(١)

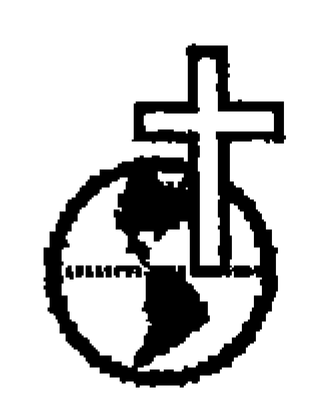
ويجب على الأساقفة الأسيويين أن يسوسوا أسيا (الصغري) فقط، وأساقفة تراكيا (اليونان) شئون تراكيا فقط، ولا يسوغ للأساقفة قط أن يتعدوا خارج إبرشياتهم، لإجراء رسامة أو لتتميم أمور كنيسة أخرى، دون أن يُدعوا، هذا مع حفظ القانون الذى سبق وضعه بخصوص إدارة الأحكام. لأنه واضح أن مجمع كل إبرشية يقوم بتدبير كل شئونها، ويتولى الحكم فيها. كما تحدد فى مجمع نيقية. أما شئون كنائس الله الواقعة فى الأمم البربرية فيجب أن تساس حسب عادة الآباء الجارية.

٣) ليكن لأسقف القسطنطينية الكرامة الأولى بعد أسقف رومية لكونها رومية الجديدة.

٤) أما مكسيموس السينيكى فلأجل التشويش الذى صار

---

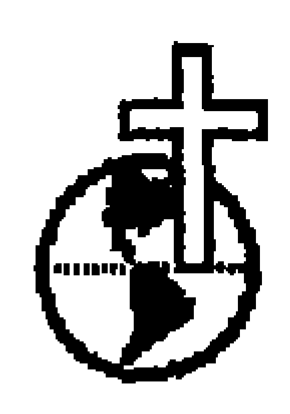
١) راجع قوانين مجمع نيقية رقم ٦،٧.



بسببه في القسطنطينة لا يعتبر أسقفاً، كما أن من تشرطن منه تسقط درجته، ولا يُعتبر من الأكليروس إذ أن كل ما أحدثه قد أصبح باطلاً.

٥) بخصوص ماتم فى الشرق، نقبل أيضاً أولئك الذين فى أنطاكية المعترفين بلاهوت واحد للآب والإبن والروح القدس.

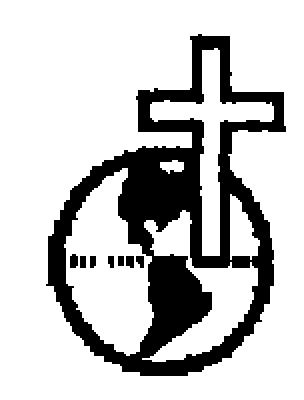
٦) بما أن كثيرين يفكرون أن يُشَوِشوا النظام الكنسى وينقضوه، فيختلقون تُهماً باطلة على الأساقفة الأرثوذكسيين القائمين بشئون الكنائس. غير قاصدين شيئاً آخر سوى أن يدنسوا شرف الكهنة، ويقلقوا سلامة الشعوب. فلذا قد رأى مناسباً، المجمع المقدس، مجمع الأساقفة الملتئمين فى القسطنطينية ألا تقبل شهادة المتهمين دون فحص. وأن التُهم الموجهة ضد القائمين بسياسة الكنائس لا تقُبل من الكل، فإذا كان لأحد دعوى خصوصية على الأسقف لكونه ظلمه أو أغتصب منه شيئاً بغير حق، ففى مثل هذه الدعوى لا ينظر إلى شخص المدعى ولا إلى مذهبه، لأن ضمير الأسقف يجب أن يكون حراً فى كل حال، فالمدعى المتظلم ينال حقوقه مهما كان مذهبه. أما إذا كانت الجريمة المعزوة إلى الأسقف هى كنسية فحينئذ يجب إمتحان الأشخاص المُتهمِين، فلا يحق للمبتدعين أن يقيموا دعاوى



على الأساقفة الأرثوذكسيين من أجل أمور كنيسته، ونعنى بالمبتدعين الذين أُشهِر فصلهم عن الكنيسة قديماً، والذين بعد ذلك فُرِزوا من قبلَنا .....».

«أما الذين ليسوا بمبتدعين ولا مقطوعين من الشركة ولا محكوماً عليهم ولا معزو إليهم بعد زلات، فإذا كان لبعض هؤلاء دعوى كنسية على الأسقف، يأمرهم المجمع المقدس أن يقوموا أمام جميع أساقفة الأبروشية، الذين يجب عليهم أن يحققوا عن جرائم الأسقف المدعى عليه، وإذا أتفق أن هؤلاء الأساقفة لم يتمكنوا من إصلاح الجرائم ينبغى حينئذ أن يُرفع الأمر لمجمع أعلى منهم، وليُستدّعى أساقفة تلك الأبرشية لهذه الغاية، ولا تقام الدعوى قبل أن يتعهد المدعون كتابة أنهم يقبلون بطيبة خاطر نفس العقوبة المرتبة لجريمة الأسقف المدعى عليه إذا تبرأت ساحته. وإن إزدرى أحد بالشروط المبينة آنفاً، وتجاسر أن يزعج مسامع الذات الملكية أو المحاكم العالمية أو يقلق مجمعاً مسكونياً مُحتَقِراً مجمع أساقفة الأبرشية فنظير هذا لا تُقبل دعواه مطلقاً لأنه أهان القوانين، وأفسد النظام الكنسى».

٧) إننا نقبل المبتدعين الآتين إلى الأرثوذكسية، المخلصين



والطائعين لقوانين الكنيسة، فالأريوسيون والمكدونيون والسبتيون[1] والنفاثيون[2] الذين يُسمُّون أنفسهم أنقياء، والأربع عشريين,والأربعئيون[3]

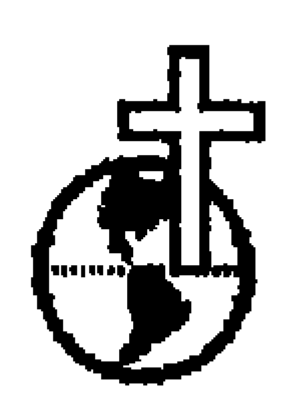
والأبوليناريون[4] نقبلهم بعد أن يقدموا صكوكاً {أى صورة الإيمان المستقيم} وينبذوا كل بدعة لا تكون حسب معتقد الكنيسة المقدسة الجامعة».

١) أن السبتيين هم أتباع سبتيوس الذى كان يهودياً وأعتنق الديانة المسيحية وسيم قساً من مركيانوس أسقف النفاسيين فى القسطنطينية إلا أنه بعد أن تعمد بقى متمسكاً ببعض العادات اليهودية. فكان يُعيِّد الفصح مع اليهود، ويقدس السبت ولذلك دعى سبتيوس. ويسمون أيضاً شماليين لأنهم كانوا يرذلون اليد اليسرى ولا يريدون أن يتناولوا بها شيئاً! (وهم يُشبهون السبتيين الأدفنتست الآن).

٢) دُعوا هكذا نسبة إلي نوفاتيوس قس كنيسة رومية الذى كان يرفض توبة من جحد الإيمان إبان الإضطهادات. كما كان يرفض أن يشترك مع الذين يتزوجون زيجة ثانية. وكان يقول أيضاً أن الخطية التى ترتكب بعد المعمودية لا يمكن أن تُغتفر.

٣) وهم الذين يعيدون الفصح فى الرابع عشر من الشهر القمرى، فى أى يوم من الإسبوع إتفق (جاء فيه) مهملين ضرورة وقوع العيد فى يوم «أحد» ويسمون أيضاً بالأربعئيين. لقيامهم بصوم أيام الأربعاء (في الخمسين يوماً) بعد إحتفالهم بعيد القيامة.

٤) نسبة لابوليناريوس المبتدع – راجع الفصل الأول من القسم الثانى من الكتاب.



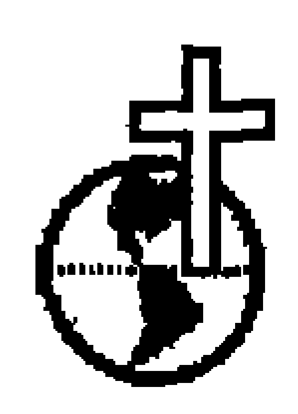
«ويجب على هؤلاء أن يُمسَحوا بالميرون المقدس في الجبهة والعينين والمنخرين والفم والأذنين، وعند مسحهم يُقال: «ختم موهبة الروح القدس»· والقنوميون[1] المعمدون بغطسة واحدة والمونتانيون[2] أي الفريجيين والسابليوسيون[3] الذين يُعلمّون

---

١) سُمّوا هكذا نسبة لأقنوميوس الذي كان من مدينة غلاطية، وكان يُعيد معمودية من عمدهم الأريوسيون ومن عمدهم الأرثوذكسيون أيضاً، بتغطيسهم غطسة واحدة جاعلا أرجلهم إلي فوق ورؤوسهم إلي أسفل وقائلاً: «يُعمَد فلان بإسم الآب غير المخلوق!» وقد نفاه الملك ثيؤدوسيوس. فظل في منفاه حتى مات.

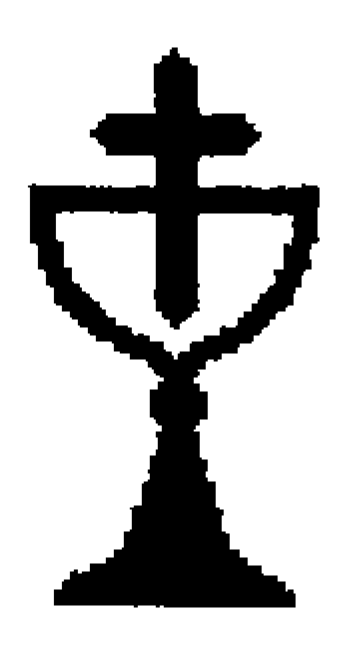
٢) دُعوا هكذا نسبة إلى مونتانوس الذي نشأ في القرن الثاني في مدينة ميسيا من أعمال فيريجيا {ولذا سمى أتباعه أيضاً فريجيين}. وكان يَدعي النبوة ويسمى نفسه المعزي، وكانت له إمرأتان هما بريسكلا ومكسميلا. وكانتا تتبعانه أينما يسير،مُدعيتاً النبوة أيضاً!. كما كان ينادي بالطلاق ويحرم على الناس الأطعمة المحللة· وكانوا «يعتبرون الثالوث الأقدس أقنوماً واحداً!!.

٣) وهم أتباع سابليوس المبتدع ·



بأن الآب والإبن أقنوم واحد.ويقبلون أموراً غيرها مكروهة، وسائر البدع الأخرى الكثيرة العدد هنا ولا سيماً القادمون من بلدة غلاطية، فجميع المريدين من هؤلاء الإنضمام إلى الأرثوذكسية نقبلهم كالأمم.ففي اليوم الأول نجعلهم مسيحيين، وفى اليوم الثاني موعوظين، وفي الثالث نتلو عليهم الأمانة بعد أن ننفخ فى آذانهم ووجوهم ثلاث مرات ثم نعظهم ونوقفهم في الكنيسة لاستماع الكتب الإلهية ثم نُعمدّهم(٤).

***



٤) الكنز الثمين لراعى الكنيسة الأمين، ص ٢٤٦.



الفصل الرابع

درجــــات الكنـــائس

«كما أنه أقيمت كنيسة واحدة للمسيح فى كل العالم منقسمة إلي أعضاء كثيرة. هكذا الرتبة الأسقفية واحدة منقسمة إلي عدد أساقفة كثيرين !»(1)

(كبريانوس)

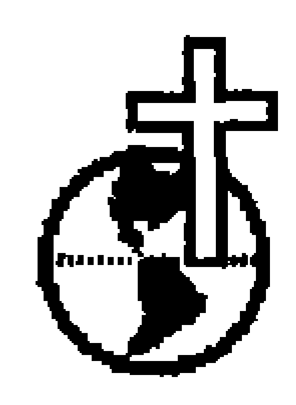
أثيرت فى المجمع المسكونى الثانيفكرة تقدم أساقفة بعض الكنائس المسيحية على البعض الآخر. حتى أن آباء هذا المجمع قد أثبتوا ذلك بوضوح فى القانون الثالث الذى وضعوه.

غير أن كنيسة روما، عادت فنادت أخيراً بأن لأسقفها التقدم والرئاسة على سائر الأساقفة!! وادعت أن في القوانين المجامع ما يُثبِت هذه الرئاسة ويؤيدها !

لهذا رأينا أن نخصص هذا الفصل لنبحث فيه هذه الحقيقة.

---

(1) كبريانوس فى وحدة الكنيسة، فصل ٥ رسالة ٥٥.



على أننا سوف لا نعرض لها هنا إلا من وجهة نظر واحدة فقط وهى الوجهة التاريخية.

الرُتبَة الأسقفية واحدة:

يُثبِت التاريخ أن جميع الأساقفة كانوا متساوين فى الكرامة والرُتبَة فى كافة أنحاء العالم المسيحى منذ العصر الرسولى. ولهذا يقول القديس كبريانوس: «إن الرتبة الأسقفية واحدة»[٢]. ويقول القديس أغناطيوس (أحد أساقفة روما): «إن جميع الأساقفة الذين يُعينّوا فى أقاصى المسكونة هم وكلاء المسيح ورأيهم رأى المسيح !» .

ولهذا كانوا يَعتبرون أنفسهم أخوة لا إمتياز لأحدهم على الآخر، سوى بجهاده وأعماله، فكان كل منهم يخدم بلدته في صمت وسكون، وهوذا القديس إيرونيموس يُثبِت لنا ذلك فى رسالته الـ ٨٥ إلى إيفاجريوم إذ يقول: «إن الأسقف ثابت فى وظيفته سواء أقام فى رومية أو فى رجيو (مدينة صغيرة شمالى

٢) المصدر السابق ٥:٥٥ .



إيطاليا). فى القسطنطينية.أو فى جنوا(مدينـة ـــة بإيطاليا أيضاً)، فى الأسكندرية.أو فى تانيس !» ،

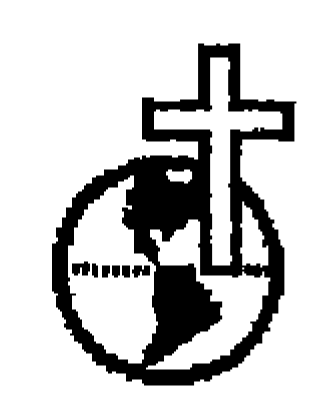
تقدُم الكراسى الرسولية:

ولما احتاجت الكنائس لعقد مجامع تبحث فيها مشاكلها. احتاجت أيضاً لمن يتصدر هذه المجامع، وهنا وضعت الكنيسة مبدأً جميلاً، مؤداه أن يكون التقدُم (الرئاسة) لأسقف المدينة المشهورة.

على أن هناك أمراً كان له بعض الأثر فى تمييز أسقفيات على غيرها، ذلك هو تأسيسها من الرسل أنفسهم، وبقاء الخلافة الرسولية منها متسلسلاً. وكانت هذه الأسقفيات تُدعَى: «**بالكراسى الرسولية**» كالأسكندرية وأنطاكية وأفسس وأورشليم في الشرق. وروميه فى الغرب.

تقدُم الكنائس دينياً تبعاً لتقدّمها مَدنياً:

وثمة أمر آخر هام، أثّر تأثيراً ملحوظاً في تقدم بعض الكراسى الأسقفية. ذلك هو تقدم بعض المدن مدنياً. فلقد أصبح



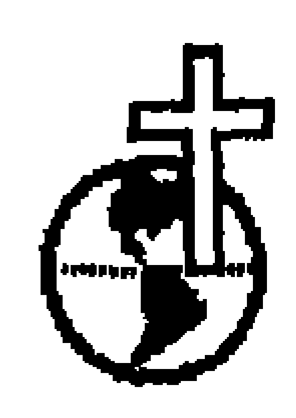
التقدم الدينى تابعاً للتقدم المدنى، ولهذا نرى أن كرسى أورشليم قد فَقَد مكانته الدينية بعد خراب المدينة، وكذلك كرسى أفسس أيضاً!

ولقد جاء فى القانون التاسع من قوانين مجمع أنطاكية المنعقد سنة ٣٤٢م ما يؤيد ما نحن بصدده إذ قرر: «أن يكون النظام الكنسى تابعاً للنظام المدنى!»[١] وهكذا حدد مجمع تورينو بإيطاليا: «أن يكون التقدم للأسقف الذى يبرهن على تقدم مدينة أسقفية من الوجهة المدنية!». كما جاء فى كتاب «مختصر تاريخ الأمة القبطية لسليم سليمان (ص ٣٣٧) مانصه: «إن الحق الذى يجب أن يُعلن أن تقدم الكنائس بعضها على بعض لم يكن مبيناً إلا على التقدم المدنى المحض».

ولذلك فإننا نرى آباء المجمع القسطنطينى المسكونى الثانى – عندما أصبحت القسطنطينية مماثلة لرومية فى الرفعة المدنية – قد بادروا إلى مساواتها بها فى الرفعة الدينية»!

حيث قرروا فى القانون الثالث أن تكون لها الدرجة الثانية

(١) مجموعة المجامع افليب لابيه اليسوعى، مجلد ٢ص ٥٦٦ .

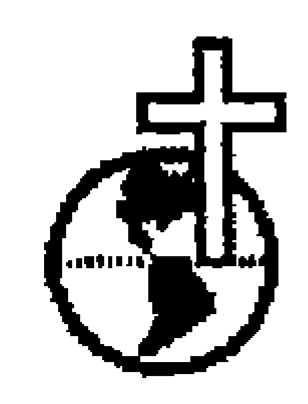


بعد رومية، وأن تُلقّب «رومية الجديدة». وهكذا أصبحت أسقفية القسطنطينية، التى أغفلها المجمع النيقاوى فى قانونه السادس لصغر شأنها، وقتئذ متقدمة على أسقفيتّى أسكندرية وأنطاكية!!».

وعلى هذا النحو يمكننا أن نُدرك أن تقدُّم كنيسة روما قد بُني على تقدمها المدنى، إذ كانت عاصمة العالم الوثنى، ثم عادت فأصبحت عاصمة الأمبراطورية الرومانية الغربية، ولهذا نرى جميع المؤرخين - شرقيين وغربيين - يؤيدون هذه الحقيقة التاريخية الواضحة دون سواها:

١- قال تليمون الكاثوليكى فى تاريخه الكنسى (مجلد ١٦ ص ٧٠٧) مانصه: «إن مجمع خلقيدون لم يعلل تقدم الكنيسة الرومانية إلا بتقدم مدينة رومية مدنياً».

٢- وقال سليون فى تاريخه (مجلد ٩ ص ٢٦٢): «إن ملك فرنسا «فرنسوا الأول» لم يكن يرى فى سلطة البابوات حقا إلهياً بل بشرياً محضاً !».



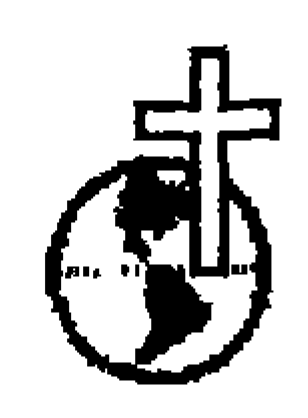
٣- وقال فوشيه فى كتاب «حرية الكنيسة الانجليكانية الفرنسية» (مجلد ١ ص ٥١) لم يكن من سبب فى تقدم أساقفة رومية سوى عِظَم مدينتهم !»

٤- وجاء فى كتاب «الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة» للأنبا كيرلس مقار البطريرك القبطى الكاثوليكى السابق مانصه: «إن تقدم رومية القديمة كان يرمى الغرض منه إلى صفة عرش المملكة، وبالنتيجة أنه لم يكن له أدنى صبغة إلهية!»

٥- وقال أرهادس بيليوس أستاذ اللاهوت الأدبى فىَ كلية الجزويت بكان بفرنسا فى كتابه «أرزاق الكهنة» المطبوع سنة ١٦٤٤م مانصه: «إن تقدم البابوات الرومانيين إن هو إلا صفة مُنِحَت لهم من القياصرة. وهكذا كان ذلك التقدم من وضع البشر!!»

تقدُّم كرسى الإسكندرية:

ليس من يُنكر أنه كان لكرسى الاسكندرية المكانة الأولى بين جميع الأسقفيات قاطبة، على أن هذا المركز الممتاز، والتقدم



الملحوظ لم يكن إلا نتيجة حتمية لتفانى بابوات الاسكندرية فى الخدمة والجهاد، ولما كانوا يمتازون به من وفرة العلم وقوة الحُجة وشدة التمسُّك بعقائد الإيمان، ولو لحقهم فى سبيل ذلك كل ألم وأمتهان!!

ألّم تَرَ كيف نُفى أثناسيوس الرسولى بابا الأسكندرية خمس مرات لمقاومته للأريوسيين، بينما لم يقوَ ليباريوس أسقف روما على إحتمال النفى مرة واحدة، فجحد الإيمان كى يرجع إلى كرسيه ثانية؟!!». (١)

قال القديس غريغوريوس النزينزى فى خطاب رقم ١٢: «إن القديس أثناسيوس إذ صار أسقفاً على الأسكندرية أؤتمن على إدارة الشعب ورئاسته.ويقول واحد أُؤتمِن على كل السكونة !».

وقال العلاّمة ستانلى Dean Stanley، فى كتابه: «محاضرات فى تاريخ الكنيسة الشرقية» مانصه: «لقد أصبح البطريرك الأسكندرى بعد مجمع نيقية قاضى المسكونة فى كل

---

(١) راجع الفصل السادس من القسم الأول من الكتاب ..



العالم. تُطاع أحكامه فى جميع أنحاء المعمورة المسيحية فى كل الأمور العلمية دينية ودنيوية، وبلغ نفوذه أو كاد يبلغ نفوذ بابوات رومية فيما بعد فى أمور الكنيسة الغربية».

وقال أيضاً موضحاً تقدم كرسى الأسكندرية: «كان للقطر المصرى مركز خاص فى نظر الأقطار الوثنية من الأميراطورية الرومانية، إذ كان يعتبر مهد غوامض الدين ومستقر أسراره. وكانت الإسكندرية من هذه الوجهة، الكعبة المقدسة فى كل بلاد مصر، لإحتوائها معبد «سيرابيس» - أما من حيث المسيحيون فقد كان كرسى الإسكندرية وقتئذ هو الذى يُتَّطلع إليه كأسمى مركز للكنيسة فى المعمورة! وكنيسة الإسكندرية المركز الأعظم الوحيد للعلوم المسيحية - وكان يعتبر عرش البطريركية القبطية - كما هو معتبر اليوم - العرش الرسولى أو الكرسى المرقسى نسبة إلى مؤسسه القديس مرقس الإنجيلى، وكان يُدعى الخليفة الجالس على هذا العرش الرسولى (بالبابا) ولم يَكنْ يُكنىَ فى ذلك العصر بهذه الكُنية (اللقب) غيره من الآباء الرسولين!!».



الفصل الخامس

إنبثاق الروح القدس من الآب فقط

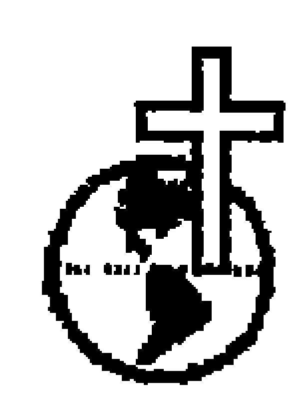
«إننا لا نطيق ولا بوجه من الوجوه، أن يزعزع أحد الإيمان المحدود، أعنى دستور الإيمان، الذى كُتب من آبائنا القديسين.. ولا نسمح لأنفسنا ولا لغيرنا أن يُغيّر كلمة من الكلمات المسطرة فيه، أو أن يخالف تهجئة (كلمة) واحدة منه!»[1].

(كيرلس الكبير)

وضع آباء المجمع المسكونى الثانى، الجزء الأخير من قانون الإيمان الخاص بلاهوت الروح القدس، كما أوضحنا . وأبانوا فيه **إنبثاق الروح القدس من الآب فقط**، وتمسّكت الكنيسة شرقاً وغرباً بما دوّنه الآباء، دون زيادة أو نقص.

---

1) من خطاب له بعث به إلى يوحنا بطريرك أنطاكية.



ولكن كنيسة روما، قامت بعد بضع قرون من وضع هذا القانون وأضافت عليه لفظة «**والابن**» ثم نادت بإنبثاق الروح القدس من الآب والإبن.

ولقد حددت عقيدتها هذه في المجمع الليوني الثاني الذي التأم في عهد البابا غريغوريوس العاشر، حيث أثبت قانون الإيمان مع الزيادة التي أدخلت عليه، فقال «نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب والإبن»، كما أعلن المجمع الفلورنتيني قائلاً: «نحدد... أن الروح القدس منبثق منذ الأزل من الآب والإبن كمن مصدر واحد ومن نفخة واحدة»![2].

ولسنا ندري كيف أستساغت كنيسة روما لنفسها أن تعبث بقانون الإيمان رغم تحديدات الآباء القديسين، - الذين اجتمعوا في المجامع المسكونية - التي تحرم كل من تُسوِّل له نفسه أن يُحدث تغييراً فيما وضعوه من قوانين.

على أن هذه الكلمة الواحدة التي أضافوها، قد أحدثت

٢) كتاب اللاهوت النظرى للخورى الياس الجميل. المجلد الثاني، الجزء الخامس عدد ١٥٩ ص ١٥٩.

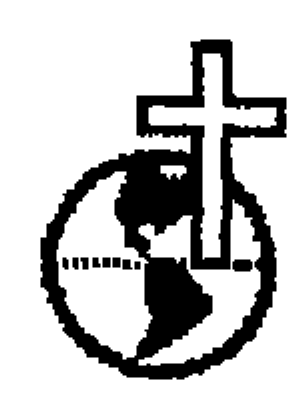


تغييراً فى عقيدة «إنبثاق الروح القدس» التى تعتبر من أهم عقائد المسيحية والتى نرى أن نُدّون عُجَالة عنها فى هذا الفصل.

تاريخ إدخال الزيادة على قانون الإيمان:

أجمع المؤرخون على أن أول من نادى بهذه العقيدة الغريبة {عقيدة الإنبثاق من الآب والإبن} رجل يدعى «لوكيوس» ظهر فى الجيل الثامن، ولقد حاول نشر بدعته فى بلاد الشرق، ولكن أهلها لم يذعنوا له، فتركها واتجه صوب روما، غير أن مساعيه قد خابت هناك أيضاً، فذهب إلى فرنسا، وهناك وجد مرتعاً خصباً لبث دعوته ولنشر تعليمه. حيث عضده الأكليروس الفرنسى وساعده الإمبراطور كارلوس الكبير، الذى أمر بعقد مجمع فى مدينة أكوسفرانا سنة ٨٠٩م. تقرر فيه قبول إضافة كلمة «**الإبن**» فى قانون الإيمان رسمياً.

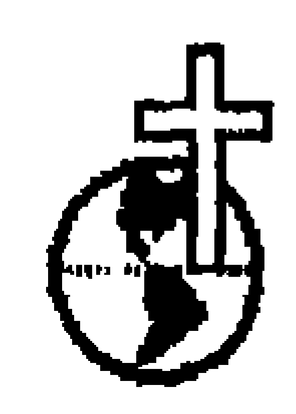
ثم أرسل كارلوس من قبله ثلاثة سفراء للبابا الرومانى لاون الثالث المعاصر له، وطلب منه أن يوافق على هذا التعليم: ولكن لاون الثالث قد رفض هذا المطلب وأبّى أن يسمح بإدخال أى زيادة على قانون الإيمان! ثم قال لسفراء كارلوس: «إنى لا أعلم



ما إذا كان الأباء القدماء قد عملوا عملاً أفضل بتركهم هذه الكلمة ولا أقدر أن أؤكد أنهم لم يعلموا جيداً هذا الأمر كما نعلمه نحن. لأنني لا أتجاسر أن أشبّه نفسي بهم فضلاً عن أن أفضّل نفسي عليهم!. ومهما كانت غايتنا حسنة فيجب علينا أن نخشي لئلا نضر نحن ماهو في ذاته حسن ببعدنا عن المنهج القديم في التعليم، لأن الآباء لما منعوا كل زيادة في الدستور لم يقسموا النيات إلى نية صالحة ونية رديئة بل منعوا الزيادة منعاً مطلقاً حتي لم يسمحوا ولا بأن يفتكر أحد لماذا فعلوا هكذا!»[1]

وبالإضافة إلي هذا الإقرار الواضح، قام البابا لاون الثالث بعقد مجمع في عام ٨١٠م قرر فيه حرم كل من يقول بالزيادة أو يعتقد بها، ولتثبيت المعتقد القويم أخرج لوحين من النحاس كان القانون القسطنطيني منقوشاً عليهما باللغتين اليونانية واللاتينية وعلقهما على باب الكنيسة ثم أمر بنقش الدستور المذكور على لوحين آخرين من الفضة، وبعدما تم ذلك وضع هذين اللوحين على الباب المقابل لقبريّ القديسين بطرس وبولس، وذلك بعد أن كتب

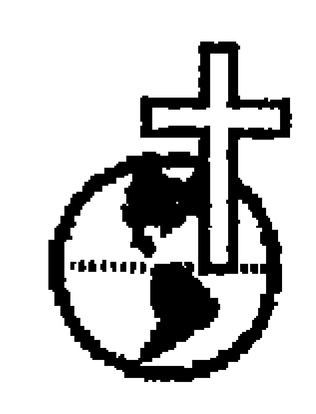
(١) تاريخ الإنشقاق، للمطران جراسيموس مسرة، ص ٣٥٤.



على اللوحـــين إقـراره الأتـى: «أنا لاون قـد نصـبت هـذين اللوحين حُباً بالإيمان الأرثوذكسي وحفظاً له!» .

ولما مـات لاون الثـالث خلفـه على كـرسي رومـيـة البـابا بنديكتوس الثالث عـام ٨٥٥م، وفي عـصـره نما التـعليم بزيادة: «**والإبن**» على قانون الإيمان إلا أنه قاومه كسابقه مقاومة شديدة حتى ذكر عند كاتب «تاريخ الإنشقاق» ص ٣٥٨ أنه: «لما كانت بدعة الإنبثاق آخذة في الإمتداد بين الشعوب الغربية، كتب هذا البابا دستـور الإيمان بحـروف لاتينيـة خـاليـة من الزيادة، وسن قانوناً يوجب تعليمه لكل واحد من الشعب الإيطالى منعاً لدخول الهـراطقـة، وكتب رسائل إلى بطاركـة الشـرق بأن رؤسـاء كـهنة رومية لا يقبلون الشركة مع أحد مالم يكن محافظاً على دستور الإيمان سالماً، كمـا سلمتـه المجامع المسكونيـة وحددت ضـرورة المحـافظة عليـه، بأن الروح القدس **ينبثق من الآب فقط** لا مـن الإبن كما علم أبناء الفساد!» .

ولقد حـافظ أكثـر البـابوات الذين خلفـوا البـابا بنديكتـوس الثالث على سلامة القانون من الزيادة والتحريف، وذلك حتى أيام البابا أستفانوس الخامس عام ٨٩٥م.



ولما تنصب البابا نيقولاوس سنة ٨٥٨م حاول أن يُدخل هذه البدعة في بلاد البلغار، ولكن فوتيوس بطريرك القسطنطينية قاومه مقاومة شديدة. ثم عقد مجمعاً فى القسطنطينية وقع على قراره نواب البابا الرومانى بقولهم: «أنه يجب أن لا يُسن قانون جديد بل أن يُصدَّق على دستور الإيمان النيقاوى»

وبعد موت نيقولاوس تنصب البابا يوحنا الثامن عام ٨٧٢م، وقد قرر حرم كل من يعترف بالزيادة، وكتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته ويقول: «إننا نحن فضلاً عن كوننا لا نقول ذلك (أى المنبثق من الآب والإبن) نحكم بأن الذين تجاسروا من الأصل أن يعلموا هذا التعليم هم مخالفون للوصايا الإلهية!» .

ولما عُيِّن فرمـوزس – الذى إنتقل من كرسى الأسقفية إلى منصب البابوية خلافاً للقوانين – عام ٨٩١م، قَبل الزيادة!! إلا أن البابا أستفانوس السادس الذى تنصب عام ٨٩٧م حرم سلفه فرمـوزس وقَطعَه من الكنيسة وذلك بأن أخرج جثته من قبره وحاكمها على تحريف قانون الإيمان والإنتقال إلى كرسى رومه بطرق غير شرعية. ثم أمر بقطع أصابع يده اليُمنى التى كان يقدس بها القربان ويبارك الشعب!

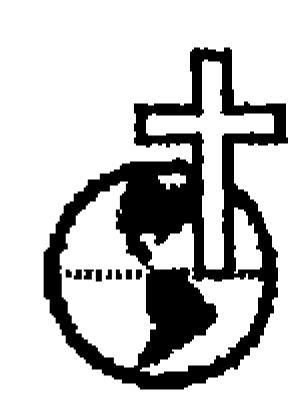


وألقي بجثته فى نهر طيغرى!. فعثر عليها صياد ودفنها ولكن البابا سرجيوس الذى عُيّن عام ٩٠٥م بحث عن مكان الجثة وأخرجها وطرحها فى نهر تيبر، وقال عند طرحه إياها فى النهر: «إنه لا يُرد أن يقاصص النهر الأول مرتين!!».

ومنذ ذلك الحين، بقيت الزيادة على قانون الإيمان، بين القبول والرفض من بابوات رومية، الواحد يؤيدها والآخر يرفضها، إلى أن قام البابا بنديكتوس الثامن الذى عُيّن عام ١٠١٢م فقرر إضافتها رسمياً فى دستور إيمان اللاتين عام ١٠١٤م.

من الحقائق التاريخية السابقة يتبين أن كنيسة روما لم تقبل إضافة كلمة «والإبن» على قانون الإيمان إلا فى أوائل القرن الحادى عشر، ولكن بعض علماء الكاثوليك المُحدثين كثيراً مايحاولون إرجاع تاريخ إدخال هذه الزيادة إلى قبل هذا التاريخ بقرون كثيرة:

١- فيقولون إن الذى أضاف هذه الزيادة هو البابا داماسوس الأول الذى تنصب عام ٣٦٦م!. غير أن هذا القول غير صحيح، ذلك لأن البابا داماسوس كان معاصراً للمجمع



المسكونى الثانى الذى وضع القانون الصحيح وقبلته كافة الكنائس المسيحية ومنها كنيسة روما نفسها!.

وقال البابا داماسوس فى رسالته للأسقف باولينوس: «إنى أقبل قبولاً كاملاً إعتقاد المجمع المسكونى فى إنبثاق الروح وألعن كل من يتجاسر أن الروح القدس كان بواسطة الإبن، والذين لا ينادون بكل حرية أن الروح القدس جوهراً واحداً وسلطة واحدة مع الآب والإبن» {تاريخ الإنشقاق ص ١٥٩} ٠

٢- وينسبون أيضاً إضافة هذه الزيادة على قانون الإيمان للبابا لاون الأول الذى تنصب عام ٤٤٠م ويقولون إنه أضافها عام ٤٤٨م دحضاً لتعليم بعض أتباع سابليوس المبتدع.

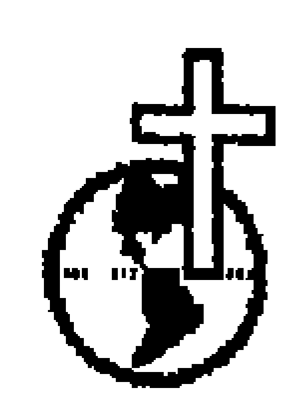
ولكن لاون الأول هذا قد وضع منشوراً مطولاً في عقائد الإيمان، بعث به إلي مجمع أفسس الثانى الذى أنعقد عام ٤٤٩م برئاسة البابا ديوسقورس الإسكندرى، ومع ماجاء فى هذا المنشور من أراء نسطورية إلا أنه لم يُشِر قط إلي عقيدة الإنبثاق من الآب والإبن، لا فى هذا المنشور ولا فى بقية كتاباته، وفى ذلك ما يكفى لدحض هذا الإعتراض.



ومهما يُدعّى كتبة اللاتين فإنهم لا يستطيعون أن ينكروا حقيقة ظهور تلك الزيادة فى القرن السادس وقبولها عندهم فى القرن التاسع وما يليه، كما شهد بذلك نفس مؤرخهم، بطرس الماجستروس الراهب الغربى فذكر أنها حدثت* فى أيام البابا أغاثون الذى تنصب عام ٦٧٨م، وغوليلموس اللاهوتى قال إنها ظهرت فى الجيل السابع وقبلتها البيعة الرومانية، فى الجيل التاسع! .

قال الدكتور چيمس أنس الأمريكانى فى كتابه: «نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم» الجزء الأول ص ٢٧٣ مانصه: «إن المجمع النيقاوى أكتفى بتلخيص التعليم فى الروح القدس فى جملة واحدة مختصرة فى دستور الإيمان الذى أصدره، ثم أن المجمع القسطنطينى سنة ٣٨١م زاد عليها: « المنبثق من الآب» دون لفظة «والإبن» وأوضح التعاليم الجوهرية فى شأن الروح القدس».

«ومن ثم شرعت الكنائس الغربية ولاسيما علماء اللاهوت فيها أن يبينوا لزوم ذكر إنبثاقه من الإبن أيضاً لإعتقادهم صدق ذلك، ولما رأوه من أنضمام كثيرين من الهراطقة الأريوسيين إلى



الكنيسة وإعترافهم المبنى على عدم ذكر إنبثاق الروح القدس من الإبن كما من الآب حاسبين ذلك ما يحط من شأن الروح القدس والإبن أيضاً، ولذلك قررت تلك الكنائس فى مجمع عقدته فى توليدو فى أسبانيا عام ٥٨٩م أدراج لفظ والإبن بعد قوله: "المنبثق من الآب" فى دستور الإيمان القسطنطينى بدون مشاورة الكنائس الشرقية، ثم قُبِل ذلك فى الكنائس الغربية، وصدَّق عليه البابا، أما الكنائس الشرقية فأصرت على رفضه، ولا يخفى إن استبداد الكنيسة الغربية فى إضافة شئ جوهرى إلى دستور الإيمان الذى إتفقت عليه الكنيستان، كان فى غير محله!»

والآن، بعد أن عرفنا، تاريخ ظهور التعليم الغريب وتثبيته فى الكنيسة الرومانية نرى أن نثبت صحة عقيدتنا الأرثوذكسية التى تقول وفقاً لما قررته المجامع المسكونية بإنبثاق الروح القدس من الآب فقط.

الأدلة الكتابية والمجمعية:

فى الكتاب المقدس ثلاث شهادات إلهية نطق بها السيد المسيح حيث قال:



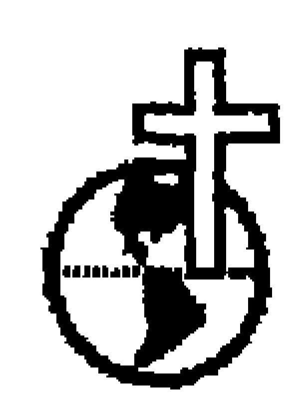
١- «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله» (يو١٤: ١٦، ١٧)

٢- «وأما المعزى الروح القدس الذى **سيرسله الآب** بإسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ماقلته لكم» (يو١٤: ٢٦).

٣- «ومتى جاء المُعزّي الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى **من عند الآب ينبثق** فهو يشهد لى» (يو١٥: ٢٦)

ففى الشهادة الأولى يبين لنا السيد أنه يسأل الآب لإعطاء نعمة الروح المعزى وفى الثانية يرينا أن إرسالية الروح هى من الآب، وأما فى الثالثة فيوضح لنا أن الروح القدس ينبثق من الآب فقط!!

وعلى ضوء هذه البراهين الكتابية الصريحة حدد المجمع المسكونى الثانى عقيدة الإنبثاق من الآب فقط كما ذُكِر سابقاً، ثم جاء المجمع المسكونى الثالث فصادق على قانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى وقال: «إنه لا يسمح لأحد أن يقدم أو يؤلف أمانة (ايمان) أخرى غير الأمانة المحددة من الآباء القديسين المجتمعين



بمدينة نيقية بالروح القدس، أما الذين يتجاسرون على أن يؤلفوا أمانة أخرى فإن كانوا اكليريكيين فليُقطعوا، وإن كانوا عاميين فليُحرموا!!»،

الأدلة النقلية:

نورد هنا طائفة من أقوال القديسين الأولين. كي تكون كبرهان ثانٍ على إنبثاق الروح القدس من الآب فقط:

١) قال القديس أثناسيوس الرسولى فى المجلد الثانى لأنطيوخس: «كما أن قرص الشمس وحده هو علة وغير مولود من أحد، أما الشعاع فمعلول ومولود من القرص والنور منبثق وبارز من القرص وحده، وهو بالشعاع مرسل ومشرق على الأرض، هكذا الله الآب وحده علة الإثنين وغير مولود، أما الإبن فإنه من الآب وحده معلول ومولود، والروح القدس نفسه **من الآب وحده** معلول ومنبثق وهو بالإبن مرسل إلى العالم».

٢) وقال القديس باسيليوس الكبير: «كما أن الكلمة الخالق شيد السماء، هكذا الروح القدس الصادر من الله الذى من الآب ينبثق».

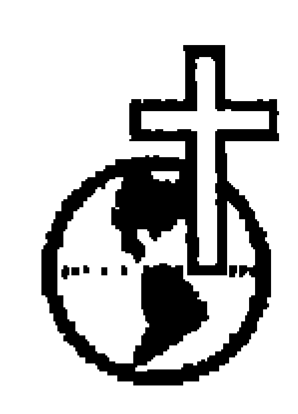


٣) وقال القديس كيرلس الأسكندرى فى مقالة له عن اللاهوت: «أما الثلاثة أقانيم فقد تعرف ويؤمن بها فى الآب الذى لا إبتداء له والإبن الوحيد والروح القدس المنبثق من الآب وحده، فهو ليس مولوداً من الإبن لكنه **منبثق من الآب** وحده. وكما أن الإبن من الآب من جهة الولادة، هكذا الروح من الآب من جهة الإنبثاق...» .

٤) وذكر القديس باسيليوس الكبير فى رده على أنوميوس مانصه: «كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما، هكذا الإبن ليس له الإنبثاق، وكما أن الإبن ليس من الروح القدس، هكذا الروح ليس هو من الإبن. وكما أن الإبن مولود من الآب وحده هكذا الروح القدس منبثق من الآب وحده».

٥) وقال القديس يوحنا ذهبى الفم: «إن المشايعين لمكدونيوس لم يؤمنوا أن الروح القدس منبثق من الآب بطريق لا يُدرَك.»

٦) وقال القديس غريغوريوس أسقف نصيص: « إن خاصية الإنبثاق هى فى الآب فقط».



٧) وقال القديس يوحنا الدمشقى: «إن الإبن يولد من الآب أما الروح القدس فهو أيضاً من الآب، ولكن ليس بالمولودية بل بالإنبثاق».

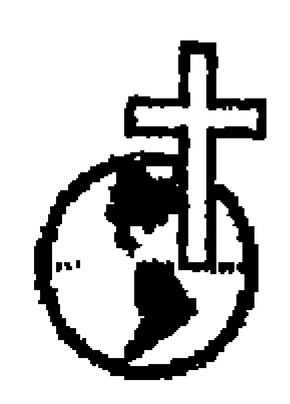
شهادة الكنيسة الغربية:

لازالت كتابات آباء الكنيسة الغربية - التى قبلت هذه الزيادة أخيراً، وغيرت عقيدتها فى إنبثاق الروح القدس - تشهد معنا بصحة عقيدتنا الأرثوذكسية، التى هى عقيدة الكنيسة جمعاء منذ فجر المسيحية:

١) فلقد قال القديس أغسطينوس فى رده على هرطقة أريوس (فصل ٢٣) مانصه: «لا يظنن أن الروح القدس بواسطة الترتيب هو منه {أى من الإبن} كما أنه هو ذاته {أى الإبن} من الآب. بل كلاهما من الآب والإبن، الإبن يولد والروح ينبثق» .

٢) وقال القديس إيرونيموس فى إحدى رسائله مخاطباً داماسوس بابا رومية: «إننا لمؤمنون بالروح القدس أيضاً الذى من الآب ينبثق».

٣) وكتب البابا داماسوس فى رسالته إلى باقلينوس أسقف

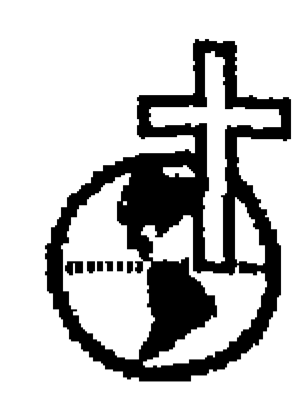


تسالونيك يقول: «إن كل من لا يقول أن الروح القدس هو من الآب حقيقة... أو يقول إنه بواسطة الإبن فليكن مفروزاً».

٤- وجد أحد أعضاء مجلس شورى فرنسا المدعو بولس بتابيوس في القرن السادس عشر (سنة ١٥٦٢م) كتاباً يدعى «كوديكس» أي «قانون الأسرار» كان قد ألفه جيلاسيوس بابا رومية {٤٩٢ - ٤٩٦}، وقد قام «يوسف مرياتوماس» بطبعه للمرة الأولى سنة ١٦٨٠م في مدينة روما. أما الكتاب الأصلي فلا زال إلي الآن في المكتبة الملوكية بسويسرا.

في هذا الكتاب ما يثُبت إنبثاق الروح القدس من الآب فقط، كما أن فيه قانون الإيمان بدون تغيير أو إضافة. حتي أن «غوليلموس كافه» {أحد علماء الكنيسة الأسقفية اللاهوتيين} وصفه في تاريخه الكنسي (المجلد الأول صفحة ٣٧٥) بقوله: «إن هذا الكوديكس قديم وصادق لأن فيه قانون الإيمان بدون زيادة {والإبن} التي حدثت في الجليل السابع وقبلتها البيعة الرومانية في الجيل التاسع».

وفي الكتب الطقسية الكاثوليكية، مايثُبت صحة العقيدة الأرثوذكسية كما يلي:-

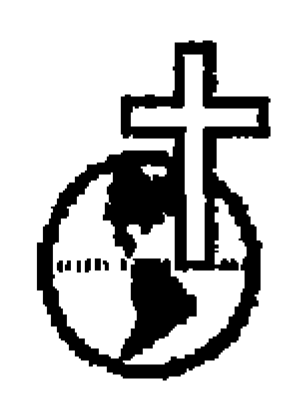


١) ففى كتاب الخولاجى المطبوع فى رومية عام ١٤٥٢ ش ١٧٣٦م صفحة ٢٥٧ مانصه: «روح الحق أتى من الآب وإستراح على رؤوس التلاميذ الأطهار وحل فى أفواههم... الروح القدس غير المستحيل المتسلط المحيى المنبثق من الآب الذى نطق فى الأنبياء، حل على آبائنا كوعد المسيح وتكلموا بكل لغة».

٢) وفى كتاب اللقان والسجدة المطبوع برومية عام ١٤٧٨ش – ١٧٦٢م (صفحة ٣٦٤) مانصه: «الروح المعزى روح الحق المنبثق من الآب حل على الرسل فكانوا يصنعون آيات عظيمة وقوات فى الشعوب».

٣) وفي نفس الكتاب السابق (صفحة ٣٩٩) قيل: «روح الحق المنبثق مْن الآب، حل على الرسل الأطهار وظهر فى ألسنة النار، من أجل هذا نتضرع نحن ونصرخ قائلين: أيها الروح البارقليط الذى حل على الرسل إلقِ ناراً فى عقولنا وقلوبنا بقوة عظمتك واهدِ أنفسنا لمعرفة حقك».

+.+.+



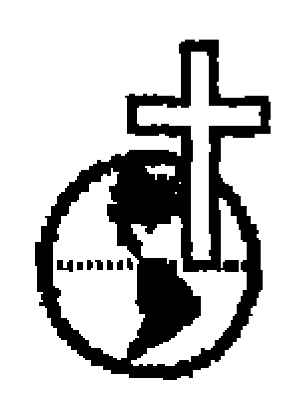
القسم الثالث

المجمع المسكونى الثالث
أفسس - سنة ٤٣١م

«باتفـــاق الجميع وبانسجامهم تتم سلامة الكنيسة، وتستقر أمورها... وللحصول على ذلك - بنعمة الله - فكرنا كثيراً فيما حدث قريباً (بدعة نسطور) ورأينا حسما لهذا النزاع أن ندعو الأساقفة القديسين من جميع الجهات لعقد مجمع»

الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير

(من رسالته التى بعث بها إلى القديس كيرلس الكبير)



الفصل الأول

أسباب أنعقاد المجمع

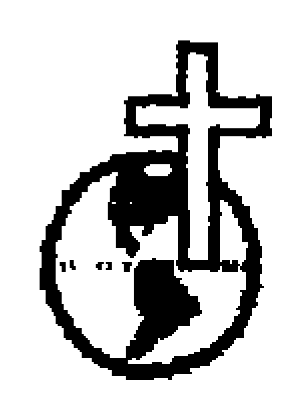
«نحن الذين نحب الحقيقة ومعتقدات الحقيقة، لا يمكن أن نتبع الهراطقة - بل نقتفى آثار آبائنا القديسين ونحافظ على وديعة الوحى الإلهى ضد كل الأضاليل»

(البابا كيرلس الكبير)

لم يمضِ أكثر من نصف قرن من الزمان على أنتهاء المجمع المسكونى الثانى، حتى ظهرت من البدع والضلالات، ما استدعت عقد المجمع المسكونى الثالث، لتطهير الكنيسة منها، وتنحصر أسباب أنعقاد هذا المجمع فيما يلى:

١- بدعة بيلاجيوس:

وُلِد ببريطانيا سنة ٤٠٥م، ورُسِم راهباً فقساً، ثم نادى بتعاليم غريبة مضمونها أن خطيئة آدم قاصرة عليه دون بقية الجنس البشرى، وأن كل إنسان - عند ولادته - يكون كآدم قبل سقوطه!. ثم قال إن الإنسان بقوته الطبيعية يستطيع الوصول إلى أسمى درجات القداسة، بدون حاجة إلى مساعدة النعمة الإلهية!!.



وبديهى أن فى هذه التعاليم الفاسدة مايهدم سر الفداء المجيد ويُضعِف من قيمة دم المسيح، ويُناقض قول الكتاب: «هاأنذا بالآثام حبل بى وبالخطية ولدتنى أمى» {مز٥١:٥}، «بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت» {رو٥:١٢}، «كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح يحيا الجميع» {١كو١٥:٢٢}.

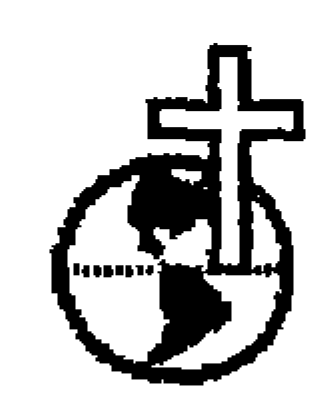
ولقد بقى هذا المبتدع زماناً ينتقل من بلدة إلى أخرى وينشر تعاليمه المضلة هذه إلى أن حكم مجمع أفسس المسكونى بحرمه وبدعته.

٢- بدعة نسطور:

البطريرك المبتدع:

تعتبر بدعة نسطور السبب المباشر لعقد المجمع الذى نحن بصدده، ومن المؤلم حقاً أن يكون صاحب هذه البدعة التى أزعجت الكنيسة، وكادت تقصم وحدتها هو بطريرك القسطنطينية.

وُلِدَ هذا المُبتدع فى مدينة تسمى مرعش. ثم تعلم لدى ثيوذورس المبسوستى حتى نبغ فى علوم كثيرة وترهب فى دير مار ابروبيوس بالقرب من أنطاكية (بسوريا).



ولقد أظهر قبيل رسامته بطريركا للقسطنطينة، غيرة في الدفاع عن الإيمان ضد المبتدعين، حتى قال يوم رسامته مخاطباً الأمبراطور ثيودسيوس الصغير:

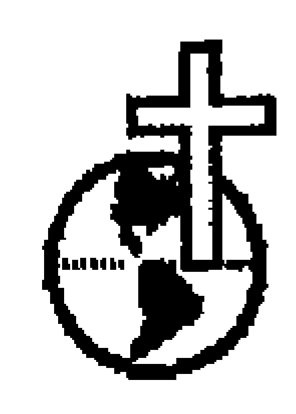
« إستأصل معي أيها الملك جماعة الهراطقة وأنا أرد عنك هجوم الفُرس الأردياء، وبعد أن تقضي على الأرض حياتك السعيدة أضمن لك أخيراً جنة الُخلد في السماء!!»(١)

على أن هذه الغيرة قد تبخرت سريعاً ! فلم تمضِ فترة طويلة حتى سقط نسطور في بدعته الشنيعة، وفي ذلك يقول بعض المؤرخين: «إن نسطور حارب جميع الهرطقات. ليمهد السبيل إلى هرطقته !».

تعاليمه الغريبة:

نادى نسطور بأن في السيد المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، وأستنتج من ذلك أنه لا ينبغي أن نسمي السيدة العذراء «بوالدة الإله»، كما عاب على المجوس لسجودهم للطفل يسوع! (مت٢:١١) واستقطع الجزء الأخير من كل من الثلاث تقدسات التي ترتلها الكنيسة في صلواتها...

١) راجع الباب السابع من تاريخ الكنيسة فصل ٢٩، لسقراط المؤرخ .



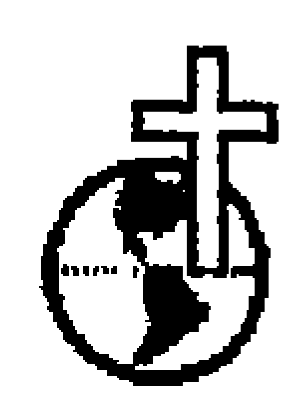
ويحكم منصبه، وبما له من سيطرة وسطوة بدأ ينشر تعاليمه في كل مكان مستخدماً في ذلك بعض الكهنة والأساقفة أيضاً!

ولما سمع مسيحيو القسطنطينية أقواله هذه رفضوها لعدم أستقامتها. وبدأوا يثورون ضده، ولكنه أمعن في عناده، وإذ حضر جمع من الرهبان أمامه وأوضحوا له خطأ تعاليمه وأنحرافه عن الإيمان القويم غضب عليهم وأمر بسجنهم في الكنيسة. كما أمر خدمه بضربهم وإهانتهم!!

وحالما سمع القديس البابا كيرلس الإسكندرى بهذه البدعة كتب يفندها ويثبت التعليم الصحيح، وأرسل رسائل كثيرة لنسطور {كما سيجئ في الفصل القادم} ولكنه رغم كل هذا لم يرتدع ولم يتنازل عن وخيم تعليمه.

نهايته الشنيعة:

وأخيراً، عُقِد المجمع المسكوني الثالث وحكم بحرمه وتعاليمه معه، ثم تقرر نفيه إلى ديره الأول، ولكنه رغم كل هذا لم يتب ولم يستكن بل بدأ ينفث سموم أضاليله بين الرهبان وغيرهم، الأمر



الذى أغضب الأمبراطور. وحدا به إلى إصدار الأمر بنفيه إلي أخميم بصعيد مصر، حيث أدركته المنية هناك.

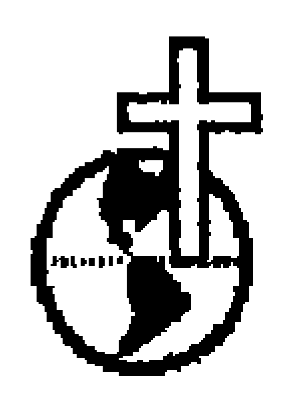
وقد اختلف المؤرخون فى سبب موته، فقال البعض أنه لما تملك عليه اليأس لعدم تمكنه من الرجوع إلى بلاده دفعة ثانية، شدخ رأسه بحجر ومات منتحراً، وقال البعض الآخر أن الرب قد ضربه بالدود الذى أكل لسانه وأماته شر ميتة!

النسطورية بعد نسطور:

على أن البدعة النسطورية لم تمت تماماً بموت نسطور – وإن كانت قد ضعفت كثيراً – ذلك لأن معلمي مدرسة الرها وتلاميذها من السريان تمسكوا بتعاليم نسطور الخاطئة. وبدأوا ينشطون فى نشرها، ولما طردهم أسقف المدينة، هربوا إلي نصيبين ومعهم بعض الكهنة، وهناك شيدوا مقراً لهم ورسموا رئيساً عليهم دعوه، «جاثليقاً» (رئيساً عاماً) وعملوا على نشر بدعتهم فى بلاد فارس وآشور والهند وغيرها...

ولا زال بعض النساطرة حتى الآن فى جبل سنجار على حدود بلاد فارس، وفى ملبار بالهند.

✠ ✠ ✠



الفصل الثانى

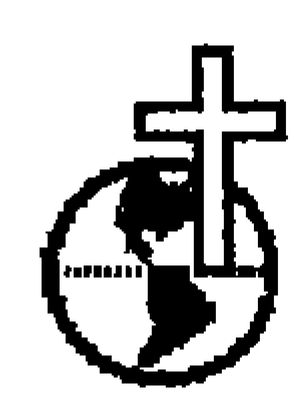
الشخصيات الهامة فى المجمع

«إن القديس كيرلس الكبير هو المناضل عن الحقيقة والمبشر الخالد بالإيمان الأرثوذكسى القويم!!»

(البابا أغاثون)

ليس من شك فى أن القديس كيرلس الكبير، قد أقترن أسمه بحق مع إسم المجمع المسكونى الثالث، تلك حقيقة لا يختلف فيها إثنان. **ولا شك**، فهو ذلك البطل الأمين الذى أفنى حياته فى مناضلة المبتدعين، حتى أستحق أن تطلق عليه الكنيسة لقب: **«عمود الدين»**!

إن حياته كحياة سابقيه من بابوات الأسكندرية، ليس فيها سوى الجهاد والكفاح، لا لطلب مادى، ولا لمجد أرضي، إنما لخدمة الكنيسة جمعاء، كى نعيش في سلام وأمن وهناء وكأنىَ به يحترق ليضيئ للآخرين، ويتفانى ليُسعد كافة المؤمنين، وإذ تحدق به الأخطار والآلام. تراه في سرور كامل يقول: «إننى قد وطدت نفسى على أن أقبل – لأجل المسيح – كل أنواع التضحية

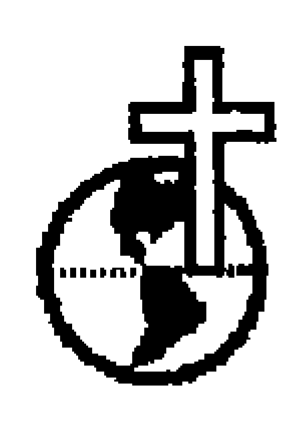


والعـذاب إلى أن ألاقى الموت الذى أقـبله بفـرح من أجل غـاية كهذه... فلا شئ يخيفني، لا الشتائم ولا الإحتقار ولا التعذيبات أيا كانت، ولكن يكفينى أن يكون الإيمان كاملاً ومحفوظاً !!».

نشأته:

لم يُجِد علينا التاريخ بمعلومات وافية عن حياة القديس كيرلس الكبير فى سنواته الأولى. ولكن من الثابت أنه إبن أخت البابا ثاؤفيلس البطريرك الأسكندرى الـ ٢٣، ولذلك فقد اعتنى خاله بتعليمه وتهذيبه عناية فائقة، فألحقه منذ صغره بالمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، حيث تمكّن من العلوم الدينية والفلسفية، وما أن تخرّج منها حتى بعث به إلي وادى النطرون. فتتلمذ للحكيم سيرابيون. وبقى معه خمس سنين درس فيها كتب البيعة، وأتقن علوم الكنيسة. ويقال إنه بعد عودته من البرية ذهب إلى أثينا حيث تتلمذ للأستاذ ليبانوس - أعظم أساتذة عصره - والذي أُعجِب به غاية الإعجاب لنضوج عقله، وسمو أخلاقه وإتساع مداركه.

ولما أنتهى من تلقى علومه، عكف على الإطلاع علي كتب آباء الكنيسة، وكم سُرّ به خاله البابا ثاؤفيلس عندما أحضره إليه،



واستمع مرات كثيرة لشرحه وتفسيره لآيات الكتب المقدسة، ولهذا رسمه شماساً وكلفه بالوعظ فى الكنيسة - رغم صغر سنّه - فأدهش الأكليروس والشعب بغزارة علمه وحُسن بيانه وقوة حُجته، وكان إذا وقف ليعظ يشتهى الجميع أن لا يسكت لعظيم أقواله !!.

تنصيبه بطريركاً:

وما أن تنيّح البابا ثاؤفيلس حتى أجمع الإكليروس والشعب على انتخابه بطريركاً، وتم ذلك عام ٤١٢م بعد وفاة خاله بثلاثة أيام فقط ! فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الصغير.

على أن فريقاً بسيطاً من الشعب، قام عند أنتخاب القديس كيرلس، يطالب برسامة تيموثاوس رئيس الشمامسة بدله، ولكن مساعى هذا النفر القليل قد باءت بالفشل، وتمت رسامة القديس كيرلس خليفة لمرقس الرسول. ومن ثم بدأ جهاده الروحي العظيم من أجل الإيمان السليم.

كفاحه فى بداية عهده:

وقد صادفته منذ بداية عهده، بعض المشاكل الهامة، ولكنه استطاع بنعمة الله أن ينتصر عليها الواحدة تلو الأخرى:

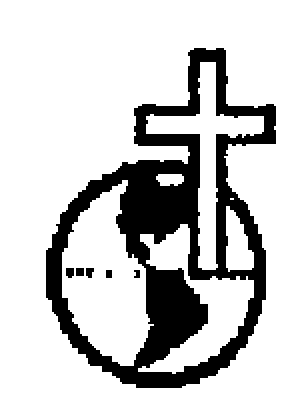


أولاً: كان أمامه كتابات الإمبراطور الفيلسوف يوليانوس الجاحد التى دونها فى عشرة كتب، شحنها بالقذف فى الديانة المسيحية، وملأها بالطعن فى ألوهية السيد المسيح وأقواله وتعاليمه، وكان الوثنيون يعتبرون هذه الكتب مفخرة لهم، فكتب البابا كيرلس خطاباً للإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير أبان له فيه خطورة مافى كتب يوليانوس من إلحاد وتضليل. وطلب منه أن يجمع نسخها ويحرقها. فنفذ الإمبراطور هذا الطلب، وأرسل إلي القديس كيرلس يطلب الصلاة من أجله.

على أن البابا لم يكتفِ بذلك، بل بدأ يُدَّون ردوداً قوية وميامر كثيرة يدحض بها مافى هذه الكتب من ضلال، ولم يهدأ حتى لمس زوال آثار هذه المؤلفات الفاسدة.

ثانياً: وطفق بعد ذلك يكافح اتباع نوفاتيانوس الهرطوقى الرومانى، الذى كان ينادى برفض قبول توبة جاحدى الإيمان ويرفض أن يحل الناس من خطاياهم،

فأوضح لهم القديس خطأ معتقدهم الذى ينسب لله تعالى عدم الرحمة، ولكنهم بقوا مُصرّين على رأيهم متمسكين بتعاليمهم {وكانوا قد نموا فى أيامه وكثروا ورسموا لهم أسقفاً يُدعىَ



ثيؤتميوس} فأضطر أخيراً لمطاردتهم حتي هربوا وأسقفهم من الإسكندرية. وبهذا تخلَّص منهم نهائياً.

ثالثا: ولقد واجه البابا كيرلس أيضاً ثورة جامحة بين اليهود والمسيحيين، إذ لما لمس اليهود انتشار المسيحية ونموها، سعوا لدى الولاة والحكام بالرشوة كي يحظوا بمساعدتهم ضد المسيحيين.

وفي ذات ليلة أشاع اليهود أن النار قد نشبت في كنيسة القديس إسكندر بالإسكندرية، فأسرع المسيحيون كباراً وصغاراً إلى الكنيسة المذكورة لإخماد الحريق، ولما امتلأت بهم الشوارع المحيطة بالكنيسة، هجم عليهم اليهود وفتكوا بهم. وأسالوا دماءهم في قسوة ووحشية.

وفي الصباح شعر المسيحيون بالأمر. وتجمهروا كي ينتقموا من اليهود، وعبثاً حاول البابا كيرلس أن يمنعهم من ذلك، وأخيراً سمح لهم بطردهم من المدينة دون أن يقتلوا أحداً منهم، فتم ذلك واستولى المسيحيون على معابدهم بكل مافيها.

ولما سمع أورستا حاكم المدينة بهذه الحادثة لام الأنبا



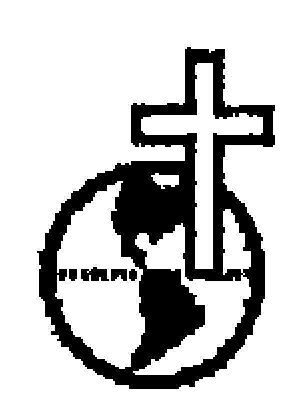
كيرلس على ما قامت به جماعة المسيحيين، ولكن البابا أوضح له مافعله اليهود أولاً. وأبان ما بذله من جهود في سبيل تهدئة خواطر المسيحيين، ولولا ذلك لحدثت فى المدينة مذبحة هائلة !.. وقد هدأ تواً بعد سماعه هذه الأقوال، وسُرَّ كثيراً عندما أهداه البابا كيرلس كتاباً مقدساً.

تكريمه للقديس يوحنا ذهبى الفم:

وكان البابا كيرلس الكبير – فى بداية عهده – متمسكاً برأى سلفه الأنبا ثاؤفيلس من جهة القديس يوحنا ذهبى الفم، ولكنه غيّر رأيه بعدئذ، عندما درس القضية بنفسه وظهرت أمامه قداسة ذهبى الفم وبراعته، فلم يسرَ بُداً من تكريمه والإعتراف بفضله أمام الجميع مع الإشادة بقيمة مؤلفاته الكثيرة، كما دوّن إسمه فى قائمة أسماء القديسين الذين يذكرون فى صلاة القداس.

بين القديس كيرلس ونسطور:

ولم يكد القديس كيرلس يستريح قليلاً من كفاحه السابق حتى ظهرت «بدعة نسطور» {وقد مر تفصيلها فى الفصل السابق} وعندئذ قام يستأنف جهاده، وانتهز فرصة عيد الفصح

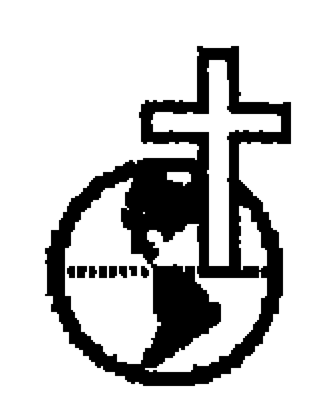


عام ٤٢٨م وكتب يفند هذه البدعة فى رسالة العيد التى يرسلها الكرسى المرقسى إلي جميع الكنائس فى كل مكان، كما جاهر بخطأ عقيدة نسطور فى عظته التى ألقاها ليلة العيد وقال: «إن مريم لم تلد إنساناً عادياً بل إبن الله المُتجسّد لذلك هى حقاً أم الرب وأم الله» (= Theotokos).

وسُر الجميع من رسالة القديس كيرلس ومن تفنيده لهذه التعاليم الغريبة التى يُنادي بها نسطور البطريرك المبتدع، ووقفوا فى جانبه يشاطرونه جهاده في سبيل تثبيت الإيمان القويم.

ووصلت رسالة القديس إلي نسطور، ولكنه بدلاً من أن يدرسها ويقتنع بها، سلمها إلى أحد كهنته ليرد عليها، مبرراً وجهة نظره !..

ثم أرسل إليه القديس رسالة جاء فيها ما يلى: «... أعود إلى معالجة مايجب على من الأمور. وأخاطبكم كأخ لى فى المسيح. إذ أذكركم بكلام التعليم وحكمة الإيمان حتى تقدموها للشعب، على أن لا يفوتكم إن كل من يعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين يرتكب ذنباً كبيراً، فكم يكون الحرم هائلاً وشنيعاً إذا أصاب الشك عدداً عظيماً من الناس؟ وكم ينبغي لنا أن نبذل من



العناية لنبعد الشك بكل لطف ورفق وأن نجتهد فى نشر وتثبيت كلمة الإيمان عند الذين ينتشدون الحقيقة فنصل إلي ذلك رأساً بأتباعنا أقوال آبائنا القديسين مرددين لها دائماً لنسير فى طريق الإيمان حسب ما هو مكتوب.

وعلينا أن نخفض قلوبنا (نتضع) بإتباع الرأى المستقيم، وقد قال المجمع النيقى المقدس العظيم: "إن الوحيد إبن الله الآب حسب الطبيعة، الإله الحق، النور المنبعث من النور، الذى به خلق الآب جميع الأشياء، نزل وصار جسداً ليكون إنساناً ومات وقام في اليوم الثالث، وصعد إلي السموات» .

«ويجب علينا أيضاً أن نتتبَّع هذه التعاليم متأملين فى المراد من قوله: **إن كلمة الله صار جسداً وصار إنساناً**... فهكذا صار تعريف الإبن المولود من الآب، الذى بحسب الجسد وُلِد من إمرأة، لا لأن لاهوته أخذ بدايته من أحشاء العذراء... لكن لأجلنا ولأجل خلاصنا أتحد بالبشرية حسب الطبيعة ووُلِد من إمرأة، ولذلك نقول: إنه وُلِد حسب الجسد...».

«لقد كتبتُ لكم ذلك بدافع المحبة التى فى المسيح، وأتوسَّل إليك كأخ لى مستشهداً بالله والملائكة المختارين أن تعتقد هكذا



معى لأنه بذلك يتحقق السلام فى الكنيسة وتثبت محبة الله فى قلوبنا، ويستمر الإتفاق بين كهنة الله»(١)

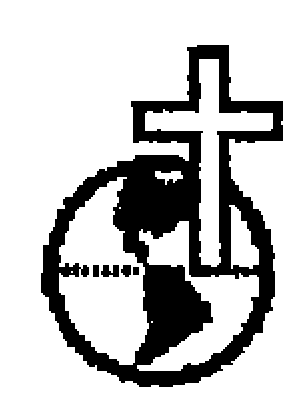
وكتب القديس جملة رسائل أخرى إلى نسطور ملأها بالحجج الواضحة والبراهين الكثيرة التى تظهر فساد معتقده، وماكان القديس ليرجو من وراء هذه الرسائل المتعددة شيئاً سوى أن يقتنع نسطور ويرجع عن ضلاله.

وضمن رسائل القديس هذه، رسالة بعثها مع جمع من الأخوة كى يسلموها لنسطور يداً بيد، علهم يتمكنون من إقناعه بالآراء الصحيحة، جاء فيها ما نصه:

«إلى أخى وزميلى فى خدمة الرب العزيز نسطور بطريرك القسطنطينية».

«لو لم تكن أسقفاً ما أهتم بك أحد، ولكنك جالس على كرسى إبن الله، فهل يليق بك أن تستغل مركزك هذا في التهجم عليه بذلك التجديف الذى تعجز عن إثباته؟ كيف هداك البحث إلى

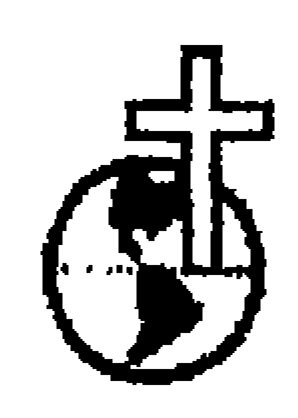
١) راجع ص ٥٠ من العدد السابع من مجلة نهضة الكنائس السنة الحادية عشرة.



أن المسيح إنسان؟ ومن أى المراجع أستخرجت هذه البدعة، أمن العهد القديم أم الجديد؟!».

«لقد سماه العهد القديم الله الإبن: وإبن الله الآب، وسماه إنجيل يوحنا الإبن الوحيد الذى فى حضن أبيه، وقال عنه متى، إنه عمانوئيل، الذى تفسيره الله معنا. وشهد عنه مرقس فى إنجيله، إنه لما سأله رئيس الكهنة قائلاً: هل أنت إبن الله، قال نعم، أنا هو، ومن الآن ترون إبن الله جالساً عن يمين العظمة ومُقبلاً على السُحب، ليدين الأحياء والأموات، ألم يقل الملاك للعذراء: إن الذى تلدينه هو من الروح القدس وإنه إبن العلى يدعى؟! ومن الذى حمل خطايا العالم؟ أليس هو المسيح إبن مريم، الله الكلمة المتجسد؟ إن كنت معتقداً أنه نبى كموسى، فهل حمل موسى أو غيره من الأنبياء خطايا العالم كما حملها السيد له المجد؟ لقد قال عنه بولس: ليس هو إنسان، بل هو الله صار إنساناً، فهل رأيت الآن كيف اعترف الجميع بألوهيته؟ فكيف تُنكرها أنت؟!».

«إنى أبعث إليك بهذه الرسالة مع جمع من الإخوة الذين رجوتهم أن يسافروا إليك ويقيموا لديك شهراً عساهم يستطيعون



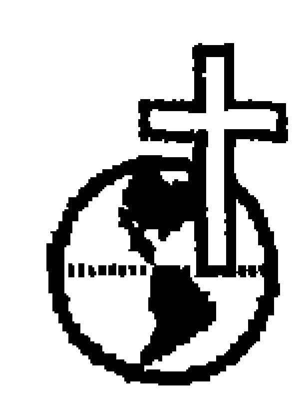
بقـوة الرب أن يقنعـوك بالعـقــيــدة الأصـيلة ثم تكتب إلينا بالنتيجة»(١).

وتسلم نسطور هذه الرسالة كما تسلم سابقيها ورفض قبول الإخوة الذين حملوها.

وهؤلاء إذ بقـوا شـهراً كـامـلاً يأملون المثول بين يديه، دون جدوى، عادوا إلى الكنيسة الأم في الإسكندرية.

وكتب المبتدع إلى كلستينوس أسقف روما بخصوص تعليمه الجديد، وهذا أرسل إلى القديس كيرلس يستوضحه الأمر، إذ كان يدرك ماهو عليه من علم ومعرفة، فبعث القديس لأسقف روما خطاباً مستفيضاً أوضح فيه حقيقة نسطور وتعليمه، وعندئذ عقد كلستينوس مجمعاً من أساقفته، أقر بأقوال القديس كيرلس وحكم على نسطور بالضلال، وبعث إليه بكتاب يقول فيه: «لقد وافقنا على رأى أسقف الإسكندرية، ولقد نصحك، فإن شئت أن تبقى معنا لأبد أن تُنكر ماناديت به، وأن تُنادى بما ينُادى به هو، فإن أصررت على رأيك ولم ترَ ما يراه أخونا كيرلس فأنت مقطوع

(١) صور من تاريخ القبط ص ٩٩.



من عداد زملائنا، ولا يمكن أن تكون لك شركة معنا، فإذا كنت بعد عشرة أيام من وصول تنبيهنا هذا إليك لا تؤمن بما تؤمن به كنيسة الإسكندرية، ومعها كنيسة روما والكنيسة الجامعة، فستُقطع من الشركة كلها».

أما القديس كيرلس فقد عقد مجمعاً مكانياً بالأسكندرية، عُرضت فيه هرطقة نسطور، كما تُليت رسائل القديس له وللأساقفة، فوافق المجمع على رأى البابا كيرلس وأثبت خطأ تعاليم نسطور.

ثم كتب كيرلس إثنى عشر بنداً فصّل فيها العقيدة المسيحية الصحيحة، وختم كل منها بحرم من لا يؤمن بها كالآتي:

١) من لا يعترف أن عمانوئيل هو إله حقيقى وأن البتول القديسة مريم هى والدة الإله حيث ولدت جسدياً الكلمة المتجسد الذى هو من الله كما هو مكتوب:"إن الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً."

٢) من لم يعترف بأن كلمة الله متحد مع الجسد كالأقنوم، وأن المسيح عينه - هو لا ريب - إله وإنسان معاً متحداً مع جسده، فليكن محروماً.



٣) من فَصَل بعد الإتحاد المسيح الواحد إلى أقنومين، وقال بأن إتحادهما من قبيل المصاحبة فقط أو بالقدرة أو بالسلطان، وليس اتحادهما بوحدانية طبيعية فليكن محروماً.

٤) من فرق بين أقوال المسيح المذكورة، فى الأناجيل، فى رسائل الرسل، أو نطق بها الآباء القديسون، أم قالها المسيح عن ذاته ونسبها إلي أقنومين أو إلى إثنين كلٍ قائم بذاته ويُفهم أن البعض منها لائق بالإنسان وحده كأنه غريب عن كلمة الله وأن البعض الآخر ملائم لله، فيخصه وينسبه إلي كلمة الآب وحده فليكن محروماً.

٥) من تجاسر وقال إن المسيح الذى يستعمل سلطانه الإلهى هو إنسان ساذج، ولم يقل إنه إله حقيقى وإبن واحد طبيعى – الذى كالاتحاد الأقنومى – أشترك معنا فى اللحم والدم لكون الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.

٦) من قال إن كلمة الآب هو إله أو رب للمسيح ولم يعترف بأن المسيح ذاته إله وإنسان معاً كقول الكتاب المقدس: الكلمة صار جسداً، فليكن محروماً.

٧) من قال إن الله الكلمة لم يتأنس فى الإنسان يسوع، وأن عظمة إبن الله الوحيد قائمة في آخر دونه، فليكن محروماً.



٨) من تجاسر وقال إنه ينبغى السجود لإنسان ساذج الذى معه الله الكلمة، لكونه متخذاً منه ومعه تعظَّم، ويدعوه إلهاً بحسب واحد فى غيره، ولم يعترف بأنه ينبغى لعمانوئيل سجود واحد، كما ينبغى، لكونه الكلمة صار جسداً فليكن محروماً.

٩) من قال إن ربنا يسوع المسيح الواحد كان ممجداً من الروح القدس، بقدرة غريبة عنه، وإنه بنعمة هذه الروح كان يستعمل تلك القدرة والسلطان على إخراج الأرواح. وبه امتلأ من النعمة الإلهية، ولم يقل إنه كان ممتلئاً من روح خاصة التى كان يعمل بها تلك الآيات فليكن محروماً.

١٠) لقد نص الكتاب المقدس على أن المسيح صار رسولاً وعظيم أحبار إيماننا، وأنه قرب نفسه لله من أجلنا ومن أجل خلاصنا. فمن قال إن كلمة الله الذى تجسد وصار إنساناً كاعترافنا لم يصر رسولاً ولا حبراً، بل قال إن المسيح كان إنساناً ساذجاً من إمرأة، وإنه آخر دون الكلمة، ومن قال أيضاً إن المسيح قرب نفسه لله الآب لأجل نفسه، ولم يقل إنه قرّب نفسه (للموت) لأجل خلاصنا نحن البشر فقط لأنه لم يعرف خطيئة وليس بحاجة إلي ذلك القربان، فليكن محروماً.



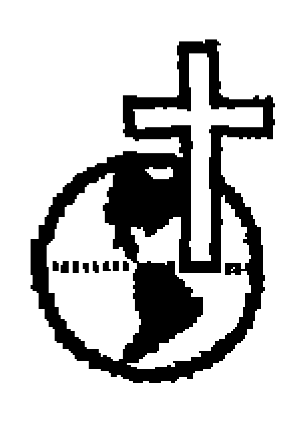
١١) من لم يعترف بأن جسد الرب هو مُعطيِ الحياة لأنه هو كلمة الله، وقال إنه آخر دونه اجتمع معه، أو قال إنه كان يعطى الحياة لأن الله الكلمة كان ساكناً فيه غير متحد معه بإتحاد أقنومى ولم يقل كما سبق إنه هو مُعطيِ الحياة لكونه صار الكلمة الله خاصة الذى هو قادر أن يُحيِّي الكل، فليكن محروماً.

١٢) من لم يعترف بأن الله الكلمة تألَّم فى الجسد وصُلب فى الجسد، وإنه ذاق الموت فى الجسد أعنى إن جسده تألم وصلب وذاق الموت ولم يعترف إنه صار بكر الأموات وأنه إله، فهو حياة ومعطى الحياة، فليكن محروماً.

ولقد بعث القديس كيرلس هذه البنود إلى نسطور طالباً منه التوقيع عليها، غير أنه أبى، وقابل ذلك بكتابة بنود ضدها تؤيد بدعته! وساعده على ذلك بعض أساقفة أنطاكية من معتنقى تعاليمه.

وهكذا أنقسمت الكنيسة إلي قسمين، فكنائس روما وأورشليم وآسيا الصغرى وقفت فى جانب القديس كيرلس الأسكندرى، أما كنيسة أنطاكية فإنحازت لنسطور!.

وأخيراً، أنعقد المجمع المسكونى الثالث، وقرر حرم هذه البدعة، كما سيجئ فى الفصل القادم.



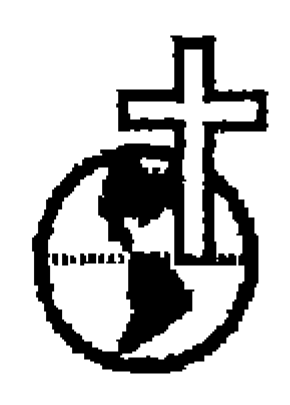
نياحته:

عندما عاد القديس كيرلس من مجمع أفسس المسكونى أستقبله الشعب بالحفاوة والتكريم، ثم عكف على كتابة مؤلفاته العديدة، كما ظل فى كفاحه ضد النساطرة إلى أن أتم جهاده وانتقل عام ٤٤٤م.

آثـــــاره:

دوّن قداس القديس مرقس ورتبه ولذلك سمي بإسمه، وكتب تفسيراً لأسفار موسى الخمسة وسفر إشعياء وأسفار الأنبياء الصغار، كما دون رسائل عديدة في شرح التثليث والتوحيد، وسر التجسد المجيد، ووضع كتاباً فى تفنيد أقوال يوليانوس الجاحد، وآخر فى العبادة الروحية، وغير هذه جميعها كثير من العظات القيمة والمقالات المفيدة.

وما أحسن ماوصفه به أحد المؤرخين حين قال: «إنه رجل العمل الرسولى، لم يألُ جهداً ولم يدخر وسعاً، فقد برز للجهاد فى حقبة لها أهميتها القاطعة فى نمو التعليم المتعلق بالوحى الإلهى، بل بأسس الدين المسيحى، ذلك التعليم الـذى كان يدور حول سر الثالوث الأقدس وسر التجسد وطبيعة المسيح الإله المتأنس».



الفصل الثالث

جلسات المجمع وقراراته

« نظراً لخطورة الحالة علي كيان الكنيسة والحكومة، رأينا ضرورة عقد المجمع خوفاً من استفحال الأمر وتشويه العبادة في عصرنا »

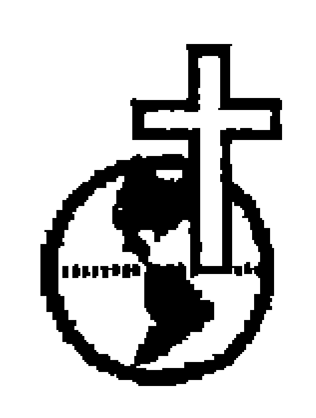
(الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير)

إنعقد المجمع المسكونى الثالث في مدينة أفسس، بأمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير، وقد حضره مائتا أسقف. وتحدد لإفتتاحه يوم عيد العنصرة عام ٤٣٤م.

مدينة أفسس Ephesus:

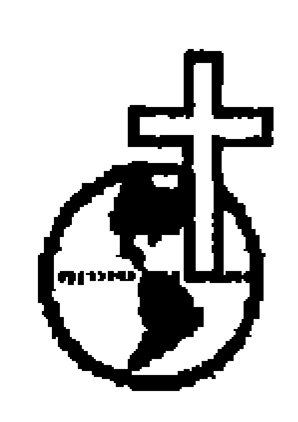
ومدينة أفسس التى تقرر أن يجتمع فيها هذا المجمع، كانت واقعة على ضفاف نهر كايستر الذى يجرى فى الشمال الغربى من آسيا الصُغرَى.

وكانت قديماً من أعظم المدن وأبهجها، كانت ميناءً تجارياً هاماً، وفى بدء عهد الإمبراطورية الرومانية تبوأت أفسس



مكانتها بين العالم المسيحى ككرسى رسولى. ثم بدأت تضعف شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشت تماماً !. ولم يبق منها سوى بعض آثار هيكل أرطاميس الذى اشتهرت به فى العصور الوثنية.

ولقد جاء عنها فى «قاموس الكتاب المقدس» (الجزء الأول ص ١١٩) مانصه: أفسس مدينة صغيرة فى آسيا الصغرى قرب مصب نهر كايستر، على بعد ٣٠ ميلاً" من أزمير، إلى الجنوب منها. وقد كانت قديماً عاصمة آسيا وأجمل مدينة فيها. إشتهرت بهيكل أرطاميس العظيم المبنى فيها، ولما قدم بولس من سهول فريجية العالية إلى أفسس سنة ٥٤م شرع يكرز فى مجمع اليهود، ورافقت بركة الله كرازته، فإن كثيرين آمنوا واعتمدوا بإسم الرب يسوع. ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم وطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون، وبعد ذلك أخذ يعلم فى مدرسة تيرانُس واستمر هناك سنتين يحاج الافسسيين الشديدى التعصب والغير المؤمنين، فكان فى تعليمه وبما أجراه الرب على يديه من العجائب أن امتدت تعاليمه فى المدينة وما جاورها، حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود ويونانيين. وكان كثيرون ممن يستعملون السحر يجمعون الكتب



ويحرقونها أمام الجميع وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة!. (أع ١٩:١٧-٢٠).

وقد اشتهرت أفسس بصناعتها وإقبال أهلها علي السحرة فكانت الأحرف الأفسسية فى السحر متعارفة عندهم، ومنهم امتدت إلي غيرهم من الأمم المجاورة، ولابُد من أن إظهار قوة الحق الإلهى كانت سبباً لإيقاد نار الحسد والمقاومة فى قلوب بعض الناس الأشرار لاسيما أولئك كانوا يخافون على الخزعبلات أن تسقط، فتسقط معها صناعتهم، وتنقطع أرباحهم ومكاسبهم، وكيفما كان الأمر فقد ثار على بولس الرسول فئة من الناس كانت سلعتهم متوقفة على عبادة أرطاميس...

«وفى رؤ٢:١-١١ يوجد أنتهار عنيف وإنذار مشدد لكنيسة أفسس من رأس الكنيسة العظيم (المسيح) بسبب فتورها وتقهقرها، والآن توجد بقرب المدينة القديمة، قرية صغيرة تسمى أيا سلوك، وأما مرفأها فأصبح أجمة لانحسار البحر عنها وتقهقره إلي الوراء، ولنا شاهد على عظم إتساع المدينة القديمة: المرفأ والآثار الباقية على إحدى الهضاب... وقد انكشفت فى السنين الأخيرة، آثار هيكل أرطاميس، غير أنه لا يمكن للعقل أن يتصور تغييراً جرى على مدينة أعظم مما جرى على أفسس!



فإنها كانت قديماً مركزاً لتجارة رائجة متسعة النطاق، فانحسر البحر الآن عن شواطئها وأصبحت ميناؤها خراباً!... زد على ذلك أنها كانت مدة من الزمان حصناً منيعاً للديانة المسيحية، فلم يبقَ فيها الآن أحد من المسيحيين أصلاً».

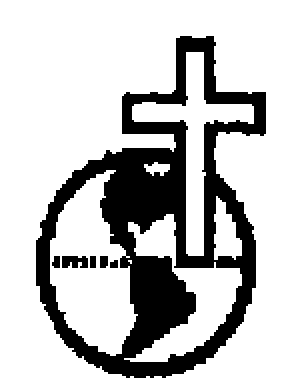
الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير:

نُصِّبَ ملكاً بعد وفاة والده أركاديوس عام ٤٠٨م، وكان مواظباً على العبادة ميالاً للصوم، شغوفاً بدراسة الكتاب المقدس حتى حفظ أكثر أجزائه!!.

ويبدو أنه كان مُسالماً طيِّب القلب، حتى أن البعض سألوه مرة قائلين: «لماذا لم تقتل أحداً؟» فأجابهم قائلاً: «ليتنى أستطيع أن أُحييّ الموتى!».

وفي يوم ما ذهب إليه أحد الرهبان وطلب منه هبة فرفض، فحرمه الراهب! وعندئذ خاف الملك وانزعج، ولم يتمكن البطريرك نفسه من تهدئته إلا بعد أن أحضر الراهب وحلّه من حرمه!.

ومن مآثره الحسنة أنه أصدر أمراً بإبطال الأغاني المبتذلة، وإغلاق أماكن اللهو، خاصة فى أيام الآحاد والأعياد السيدية، كما أحضر رفات القديس أغسطينوس من رومية إلى أنطاكية،



ورفات القديس يوحنا ذهبى الفم [الذى نفته والدته افدوكسيا الملكة بعد أن اضطهدته كثيراً] حيث استقبلها بإحترام وإجلال عظيمين، وبكى عند رؤيته جسد هذا القديس الطاهر طالباً من الرب أن يغفر لوالديه اللذين اضطهداه!!

ولما ظهرت ضلالة نسطور فى أيامه، ولمس القديس كيرلس الكبير عناد هذا المبتدع أرسل إلى الإمبراطور يقول: «إن آباءك كانوا غيورين على الكنيسة مؤيدين لها مدافعين عن عقائدها، وقد عاونوا رجالها فى تثبيت الإيمان الأرثوذكسى الصحيح، فنالوا منهم البركة، وها إنه في عهدكم الزاهر قد ظهر نسطور هذا الذى يريد أن يشتت البيعة بضلاله.. لهذا نسأل جلالتكم أن تأمروا بعقد مجمع عام للنظر فى موضوع هذا الرجل، فندعو لك ونبارك مُلكك».

دعوة الإمبراطور لعقد المجمع:

ووافق الإمبراطور، وحدد موعد المجمع. ثم أمر بإرسال الدعوة لجميع الأساقفة ليكونوا على إستعداد للحضور إلى أفسس فى الموعد المحدد.

ولقد كتب فى دعوته التى بعث بها إلى القديس كيرلس مانصه:

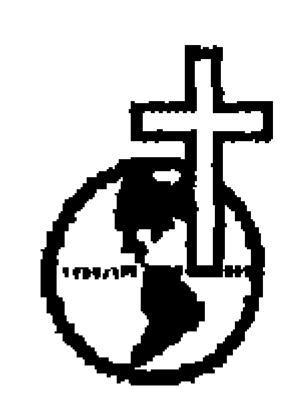


«الملكان القيصران ثيؤدوسيوس وفالنتيانوس المنتصران والقاهران العظيمان يكتبان إلي كيرلس أسقف الإسكندرية:

«إن الأمن الكامل يتوقف دائماً على أنتشار تقوَّى الله، إذ يوجد أرتباط وثيق بين الأمرين، فالأمن يسود بإنتشار التقوى، وهذه تسود بتوافر الأمن العام. والديانة الحقة تضئ بالعدالة وتظهرها، وتستمد الحكومة عظمتها من هاتين الفضيلتين. ولقد أقامنا الله ملوكاً دعامة للتقَّوى والنظام لنسهر دائماً على سلامتهما وتقويتهما، وأصبحنا وسطاء بين الله والناس».

«فلكى نعمل على توطيد دعائم الحكومة ونهتم بالعناية التامة برعايانا، يجب علينا أن ندعوهم لطاعة الله وطاعتنا كمواطنين أتقياء. ويستحيل على المرء الذى يهمل إحدى هاتين الفضيلتين أن يعنى بالأخرى».

«وكل إهتمامنا هو أن تكون الكنيسة على أفضل حال ترضى الله، وتلائم الزمان، فباتفاق الجميع وبإنسجامهم تتم سلامة الكنيسة وتستقر أمورها ويزول النزاع بسبب الديانة وتظهر عظمة رجال الكنيسة بسلوكهم الخالى من كل شائبة».



«وللحصـول على ذلك بنعمـة الله وإخـلاص الناس الأتقيـاء فكرنا كثيراً فيما حدث قريباً، ورأينا حسماً لهذا النزاع أن ندعو الأساقفة القديسين من جميع الجهات إلي عقد مجمـع "».

«وقد ترددنا في إرسـال الدعوة خشية إزعاج قداستكم ولكن لخطورة الحالة علي كيان الكنيسة والحكومـة رأينا ضرورة عقد المجمع خوفاً من استفحال الأمر وتشويه العبادة في عصرنا».

«فنرجو من قداستكم أن تهتـموا - بمعونة الله - بالتوجه إلي أفسس بآسيا في يوم عيد حلول الروح القدس، وبصحبتكم بعض أساقفة الكرسي لحضور المجمع».

«وقد أرسلنا صورة من هذه الرسالة الخاصة بعقد المجمع إلى أساقفة العواصم المحبوبين لله، أينما كانوا. وبهذا يمكن تهدئة ثورة القلق علي ضوء قوانين الكنيسة. وتقويم الأخطاء والقضاء عليها. فتترتب عبادة الله بكل إنصاف. ويتوطد الحكم الصالح في الدولة. مع العلم بأنه قبل المناقشة فى المجمع وصدور حكمه فى كل شئ بإشتراك الجميع يلزم أن لا ترفع إليه أية شكوى جديدة من أى إنسان. ونعتقد أن الأساقفة الأتقياء يعرفون إننا نريد أن يهتم الجميع بالقضايا الكنسية العليا دون



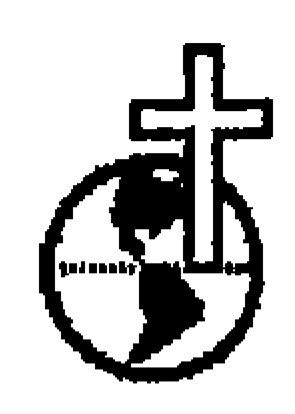
سواها ويعالجها فى أضيق حيز، بما يرضى الله، ويبذل في ذلك كل جهده»٠

«ولن نسمح لأحد من الأساقفة أن يمتنع عن حضور المجمع٠ وكل من لا يسرع إلي الحضور فوراً إلي المكان المعين وفي الوقت المحدد فلا عذر له أمام الله ولا أمامنا، وكذلك كل من دُعَي للإشتراك فى هذا المجمع ويتخلف يثبت عدم أستقامة ضميره»(١)

وفود الأساقفة:

بعد أن احتفل الأساقفة – كل فى مقره – بعيد القيامة المجيد – بدأوا يعدون العدة للذهاب إلي مقر المجمع فى أفسس، وقبيل الموعد المحدد، وصلت وفود الأساقفة، فجاء القديس كيرلس البابا الإسكندرى يصحبه خمسون أسقفاً مصرياً.كما حضر

١) عن رقوق قبطية أخذت من دير الأنبا شنودة بسوهاج، وقام العلامة المستشرق بوريان بنشرها بالقبطية مع ترجمتها الفرنسية، ثم طبعها أرنست لروا فى باريس Ernest Le Roix عام ١٨٩٢م – راجع مجلة نهضة الكنائس العام ١١٠



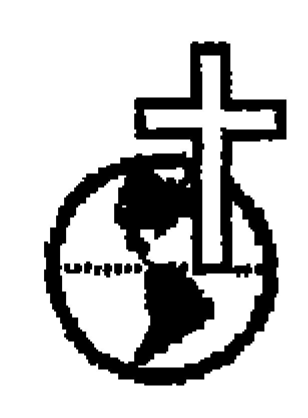
المجـمع مـعـه: الأنبـا شنودة رئيس المتـوحـدين والأنبـا بقطر السـوهـاجي رئيس دير فـاو(٢) الراهبين كمـا جـاء يوبيناليـوس أسقف أورشليم. فإستقبلهم ممنون أسقف أفسس {الذى ينحدر إلى أصل مصرى} مع مجموعة من الأساقفة القويمى الرأى، استقبالا عظيماً دل على مالهم من مكانة في نفوس الجميع.

كما حضر إلى مقر المجمع نسطور المبتدع ومعه أربعون أسقفاً من التابعين له. وتأخر عن الموعد المحدد يوحنا بطريرك أنطاكية وأساقفته، وكذا نواب أسقف روما. ولهذا اضطر الآباء إلى تأخير عقد المجمع عن موعده أنتظاراً لمجئ بقية الأعضاء.

ولكن بعد مضى مايقرُب من ستة عشر يوماً، أرسل كل الأساقفة المتأخرين اعتذاراً، ذاكرين أنهم سيحضرون قريباً.كما أنفذ يوحنا بطريرك أنطاكية أسقفين حَمَلا موافقته على عقد

---

٢) ذكر فى الرقوق القبطية سالفة الذكر أن القديس كيرلس الإسكندرى قد أوفد الأنبا بقطر هذا ليكون مندوباً عنه فى القسطنطينية لدى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير، وقد لعب هذا الراهب دوراً هاماً فى سبيل توصيل آراء البابا كيرلس وقرارات المجمع الأفسسى إلى الإمبراطور.



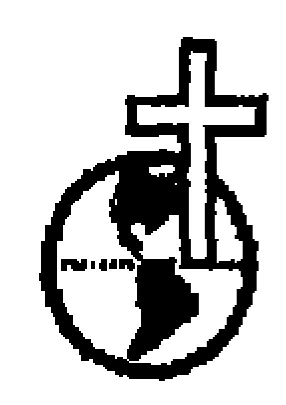
المجمع قبل حضوره، وفي الوقت عينه كان القديس كيرلس قد تسلم أمراً ملكياً بوجوب عقد المجمع حالاً دون تأخير أو إبطاء.

عندئذ أستقر رأى الآباء جميعاً على عقد المجمع فى اليوم التالى.

وفى هذه المدة التى تأخرت فيها جلسات المجمع قابل كثير من الأساقفة، نسطور وحاولوا إقناعه كى يعود إلى العقيدة السليمة ويقدم توبة عن خطئه، ولكن أتعابهم ذهبت أدراج الرياح، ولم يجدوا من هذا المبتدع إلا كل إصرار مع تمسكه بآرائه الفاسدة.

ولأن الإمبراطور لم يحضر المجمع رغبة منه فى توفير الحرية التامة للأساقفة أوفد من قبله الكونت كنديديان لينوب فى حضور المجمع دون التدخل فى شئون الأساقفة.

ويذكر الأنبا ساويرس إبن المقفع فى كتابه «تاريخ البطاركة» أن هذا المندوب الملكي كنديديان كان نسطورياً، ورغب فى إدخال الرعب فى قلوب الأساقفة المستقيمى الرأى قبيل عقد الجلسات حتى يحكموا ببراءة المبتدع نسطور، ولهذا قبض على القديس



كيرلس ومن معه من الأساقفة وسجنهم في أحد مخازن الحبوب بالمدينة، وتأمل القديس فيما حوله، فإذا بها كميات كبيره من القمح، عندئذ نظر إلى من معه وقال: «شكراً لله الذى نصرنا ووضعنا في بيت الحياة!!.»(١)

ثم بدأ يصلى إلى الله طالباً منه المساعدة والمعونة والهداية للضالين، حتى تبقي وحدة الكنيسة.

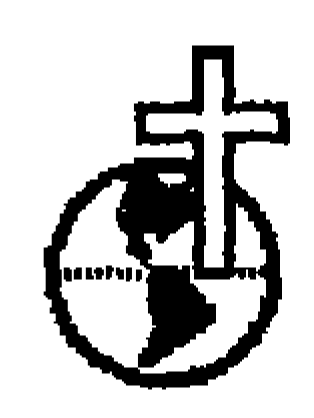
وإذ وجد كنديديان أن القديس كيرلس وأساقفته لم يتأثروا قط من هذا العمل، أسرع في إطلاق سراحهم خشية أشتهار الأمر، ووصوله إلى مسامع الإمبراطور.

الجلسة الأولى:

عقد المجمع أولى جلساته في شهر يونيو عام ٤٣١م، متخذين الكنيسة الكبرى بأفسس {كنيسة السيدة العذراء} مقراً لهم، وكان عدد الحاضرين مائتى أسقف.

ثم طرحت رئاسة المجمع على الآباء فأجمع الكل على

(١) راجع كتاب تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس.



أنتخاب القديس كيرلس بابا الاسكندرية رئيساً. لما اشتهر به من غزارة العلم وقوة الحجة وشدة التمسك بالإيمان القديم، فضلاً عن متابعته لبدعة نسطور منذ بدايتها.

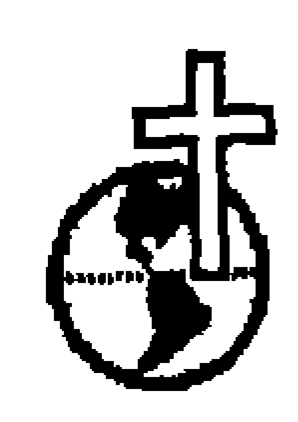
وعندما كان المجمع يمهد لجلسته الأولى بالصلاة، أرسل ثلاثة أساقفة لإستدعاء نسطور، ولكن مندوب القيصر لم يمكنهم من مقابلته، فأرسل إليه الآباء دفعة ثانية فثالثة فأجاب: «بأنه لا يرى فى حضوره إلى المجمع لزوماً».

وأخيراً أرسل إلي المجمع رسالة موقعاً عليها منه ومن بعض أساقفته قال فيها إنه لا يمكنه حضور المجمع قبل وصول يوحنا الأنطاكى وأساقفته!

ولم يأخذ المجمع بهذه الإدعاءات الواهية لعلمه بسوء نية نسطور كاتبها ولإضطراره - كما أسلفنا - إلي عدم تأخير أنعقاد المجمع أكثر من ذلك، واستمر فى عقد جلسته.

أفتُتِحت الجلسة الأولى بتلاوة رسالة الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير للمجمع التى جاء فيها ما يلى:

«الملكان القيصران ثيؤدوسيوس وفالنتيانوس الغالبان

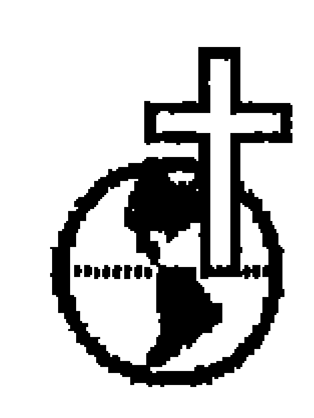


القاهران.. يكتبان إلى المجمع المقدس المجتمع فى مطرانية أفسس:

«إن إهتمامنا بكل ما يختص بالمصلحة العامة عظيم، وأعظم منه اهتمامنا بكل ما يمس قداسة العبادة والتقوى، الأمران اللذان يحويان كنوز الخير للبشرية، ومن عهد قريب كتبنا إلى قداستكم بما هو لازم، ليعقد المجمع المقدس جلساته فى جو من السلام والهدوء المرغوبين، وهذا ما نبذل جهدنا دائماً لتحقيقه».

«ونعتقد أن قداستكم لستم في حاجة إلي تأييد آخر لتوطيد دعائم السلام بإبعاد كل الذين يسببون القلاقل، وفى مقدوركم أن تمدوا يد المساعدة للعظيم الكونت كنديديان الذى خولناه حق حضور جلسات المجمع المقدس دون أن يتدخل فى شئ مما يمس فحص دستور الإيمان لأنه غير مسموح شرعياً لأيٍ كان، من غير هيئة الأساقفة المقدسين المجتمعين فى المجمع المقدس أن يتدخل فى الشئون الكنسية».

«فاصغوا بكل أناة إلي كل كلمة من كلماتنا، ولا تهتموا إلا بكل مايعود بالنفع على اجتماعكم، وبهذا تتمكنون من البت فى أموركم بدقة ووضوح، وتصلون إلي نهاية البحث الهام للدستور



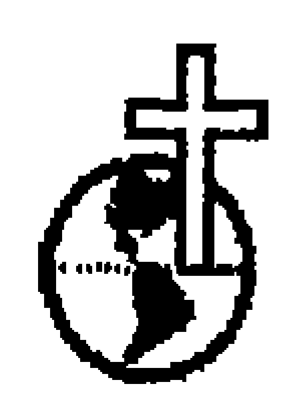
(للإيمان) وتضعون قداستكم الصيغة التى ترضى أتقياء الناس دون أن يبقى أى شك فى أية قاعدة من قواعد الإيمان».

«وقد استلم الكونت منا أمراً بأن يمنع بكل الوسائل أيا كان من أعضاء المجمع من العودة إلى بلده ومن الحضور إلى عاصمتنا العظمى أو غيرها، ومن ترك مكان الإجتماع».

«وعلاوة على ماتقدم، أمرناه أن يعارض فى تقديم قضايا كنسية أخرى للمجمع بعيدة عن موضوع الإجتماع... قبلما يقضى بصفة قاطعة على إزالة القلق الذى أثاره الشك فى صحة الإيمان المقدس، كما سلف ذكره، وذلك بفحص دستور الإيمان فحصاً كاملاً شاملاً دقيقاً، لنصل إلى حل سعيد وطيد للإيمان المستقيم».

«أما فيما يختص بالكونت إيريناوس فإنه يصحب نسطور الأسقف، لداعى الصداقة فقط، دون أن تكون له أية مصلحة، وليس للكونت أن يُدلِي بأقوالٍ فى المجمع. كما أنه لا صلة له بمهمة الكونت كنديديان مبعوثنا».

ثم تُليت رسائل القديس كيرلس التى بعث بها إلى نسطور،



كما قرئت بنوده الإثنى عشر وردود المبتدع عليها، ثم عُرِض قرار مجمعّى الإسكندرية وروما المكانيين {اللذين أنعقدا ضد نسطور، كما أوضحنا فى الفصل السابق} فوافق المجمع عليها.

وبدأ الأعضاء فى مناقشة تعاليم نسطور على ضوء كتاباته ورسائله وأقواله المدونة. فإذا بها تعاليم خاطئة وأقوال بعيدة عن الإيمان المستقيم.

واستمر المجمع فى جلسته الأولى هذه حتى المساء!. بينما كان الشعب متجمهراً فى الخارج، ينتظر القرارات العادلة.

الحكــم:

وقبيل أنتهاء الجلسة أصدر المجمع حكمه ضد نسطور ونصه: «حيث أن نسطور كلى النفاق، قد رفض أن يخضع لصوت دعوتنا إياه. ولم يقبل الأساقفة الذين أرسلناهم إليه من قبلنا، لم يمكننا أن نتأخر عن أن نفحص تعاليمه الآثمة. وبما أننا قد تحققنا من رسائله وأقواله قبل افتتاح المجمع مايبرهن على معتقده الأثيم. لهذا رأينا بناء على القوانين المقدسة، أن نبرز ضده هذا الحكم بكل حزن ودموع، سائلين المولى بواسطة هذا



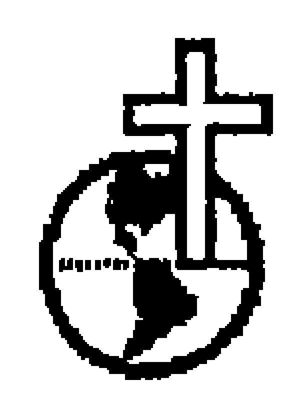
المجمع المقدس أن يعدمه درجة الأسقفية، وليكن مفرزاً من أية شركة كهنوتية».

وبعد أن وقّع الجميع على الحُكم السابق، أرسلوا إلى نسطور كتاباً قائلين:

«من المجمع المقدس الملتئم بمدينة أفسس برحمة الله تعالى وبموجب تعاليم مخلصنا الفادى وبإسم جلالة الإمبراطور المُحب للعبادة، والحسن الديانة، إلى نسطور يهوذا الثانى:

«إعلم إنه لأجل تعاليمك وعصيانك على القوانين قد عُزِلت وقُطِعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة وحُكِمَ عليك بأنك عديم الدرجة ومسلوب الوظيفة، وغريب (محروم) من كل خدمة كنسية!!..».

ثم قرر المجمع بحسب التعليم المحفوظ فى الكنيسة منذ عصر الرسل، أن سر التجسد المجيد قائم فى إتحاد اللاهوت والناسوت فى أقنوم الكلمة الأزلى **بدون انفصال ولا إمتزاج ولا تغيير، وأن السيدة العذراء هى والدة الإله.**



ووضع الآباء مقدمة قانون الإيمان كالآتي:

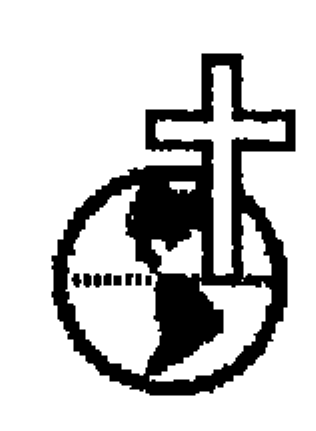
«**نُعظمكِ يا أم النور الحقيقي ونمجدكِ أيتها العذراء القديسة والدة الإله**، لأنك ولدتِ لنا مخلص العالم، أتى وخلّص نفوسنا، المجد لك يا سيدنا وملكنا المسيح، فخر الرسل إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غافر الخطايا، **نكرز ونبشر بالثالوث المقدس**، لاهوت واحد، نسجد له ونمجده، يا رب إرحم يا رب إرحم. يا رب بارك آمين».

+ **وحَكم المجمع أيضاً بحرم بيلاجيوس المبتدع مع تعاليمه.**

وهنا رُفعت الجلسة الأولى، وأُعلنت الأحكام للشعب، الذى فرح كثيراً عندما وقف على حرم نسطور، وبدأ يهتف للقديس كيرلس بابا الاسكندرية ورئيس المجمع، وللآباء جميعاً الذين ثبتوا الإيمان القويم، وحرموا التعليم الأثيم.

وصول يوحنا الأنطاكي وأساقفته:

لم يقبل نسطور حُكم المجمع بل ذهب إلى القسطنطينية، يحمل معه تقارير خاطئة، دونها مندوب الملك «كنديديان» [المالئ



لنسطور} وملأها بالطعن فى رئيس المجمع وأعضائه دون أن يثبت فيها شيئاً مما قرره الآباء!.

وبعد خمسة أيام وصل يوحنا بطريرك أنطاكية ومعه ٣٢ أسقفاً، ولما وقف على حُكم المجمع غضب كثيراً {لأنه كان من أعوان نسطور} ثم كون مجمعاً من أساقفته قرر فيه عزل كيرلس الاسكندرى وممنون أسقف أفسس!. ورفض قبول أساقفة المجمع الأفسسى فى شركته، إن لم ينزلوا عن قرارهم!!.

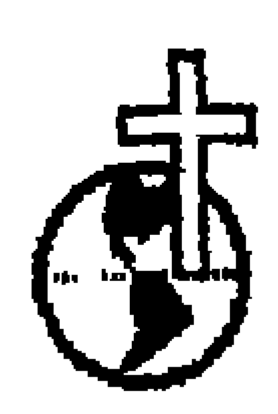
وبمعاونة مندوب الملك تمكن يوحنا من إرسال قراراته إلى الإمبراطور طالباً التصريح بإعادة إنعقاد المجمع من جديد!.

ولم تمضِ أيام حتى وصل نواب أسقف روما وهم الأسقفان أركاديوس وبروجاكتومس والقس فيلبس.

الجلسة الثانية:

وعندئذ عقد القديس كيرلس الجلسة الثانية للمجمع الأفسسى المسكونى فى ١٠ يولية سنة ٤٣١م، فحضرها مندوبو روما مع الأساقفة.

وبعد أن تُليت أعمال الجلسة الأولى، قرئت رسالة أسقف روما، ثم تكلم مندوبو روما مؤيدين القديس كيرلس.



إستمرار الجلسات:

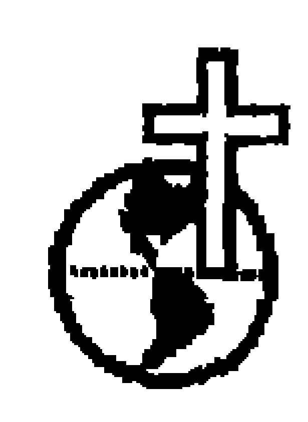
وفى اليوم التالى عُقدت الجلسة الثالثة، وفيها وقَّع نواب روما على حُكم المجمع وقراراته. ثم عُقدت الجلسة الرابعة فى يوم ٢٦ يوليه للنظر فيما عمله يوحنا الأنطاكى وأساقفته. ولقد أرسل الآباء لإستدعاء يوحنا دفعتين متتاليتين، غير أنه رفض الإشتراك معهم.

وفى جلسة تالية أرسل المجمع مرة ثالثة ليوحنا بطريرك أنطاكية، ولكنه أصر على عدم الحضور وقال: «إنه ينتظر أوامر من الإمبراطور!». فبحث الأعضاء موقفه من جميع نواحيه، وأصدروا قراراً بتبرئة القديس كيرلس الإسكندرى وممنون أسقف أفسس، كما حرموا يوحنا الأنطاكى.

الجلسة الأخيرة:

ثم عقد المجمع جلسته الأخيرة، وفيها كتب تقريراً مفصلاً عن كل أعماله، لإرساله إلى الإمبراطور - مع قرارات المجمع - جاء فيه ما يلى:

«المجمع المقدس المنعقد فى مطرانية أفسس، بنعمة المسيح



إلهنا وأوامر جلالتكم يكتب إلى الملكين البارين المحبين لله ثيؤدوسيوس وفالينتانوس...

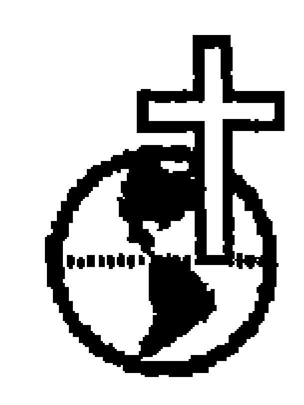
«إن عظمتكم رغبة فى تثبيت الإيمان، أصدرتم أمركم الكريم إلى المجمع بالشروع فى فحص دستور الإيمان، ونحن بدافع الغيرة الكاملة، قد بذلنا الجهد فى إتباع التقاليد القديمة التى للآباء الرسل واللإنجليين وكذا التفسير الذى وضعه الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً المجتمعون في نيقية للأمانة المقدسة، وبإتفاق تام وأقتناع ثابت أصدرنا قراراتنا التى عرضناها على جلالتكم فى التقارير التى حررناها، والتى بمقتضاها خلعنا نسطوريوس، الذى رغم وجود المجمع فى أفسس، لم يكتم إيمانه الفاسد، بل أخذ يذيع تعاليمه المخالفة للإيمان القويم. وينشر إيمانه المشئوم، وكل ذلك قد عرضناه بالتفصيل على جلالتكم فى التقارير المحررة منا».

«ولكن منذ أن ظهر الكونت كنديديان، حتى أخذ يُشجّع نسطوريوس، ولم يراعِ مرضّاة الله وبرّه. وبذل كل إهتمامه فى أن يجتذب سمع جلالتكم لجانبه، قبل أن تقفوا على فحوى التقارير، وقبل أن تعرفوا حقيقة ماجرى. كما اجتهد أن يبلغ



تقواكم مايتفق مع صداقته لنسطوريوس، وما يحقق رغباته، قبل أن تعرف عظمتكم الحقيقة بالإطلاع على التقارير التى حررناها، والتى أظهرنا فيها سلامة تصرفاتنا، التى لم تصدر بسبب عدائنا لنسطوريوس، بل لتثبيت دستور الإيمان الذى حرّفه المبتدع فى عظاته وكتاباته. وكذلك حكمنا عليه بالعزل. وكان الإنجيل المقدس موضوعاً فى وسطنا يُذكّرنا بوجود السيد المسيح رب الكون بيننا».

«لذلك نتوسل إلى جلالتكم أن تعتبروا أولئك الذين مجدوا الاخلاص لله، جديرين بكل شكره، ولقد رأينا أيضاً الوقور يوحنا أسقف أنطاكية، يقدم داعى الصداقة على أستقامة الإيمان، دون الالتفات إلى تحذيرات عظمتكم، وقد استحال علينا جذبه إلى جانب الإيمان الصحيح الذى . وُضِع منذ البدء، فضلاً عن أنه قد مكث ٢١ يوماً بعد الموعد المحدد لعقد المجمع دون أن يحضر، بينما احترم جميع الأساقفة الأيام التى حددتموها، وتقدمنا نحن الأرثوذكسيين إلى الإشتراك فى المجمع المقدس مُتقدين غيرةً نحو الإيمان، وراغبين فى البحث عن حقيقة البِّر، ورغم علمنا السابق بعداء الأسقف يوحنا، وتأكدنا من مجاملة الكونت كنديديان



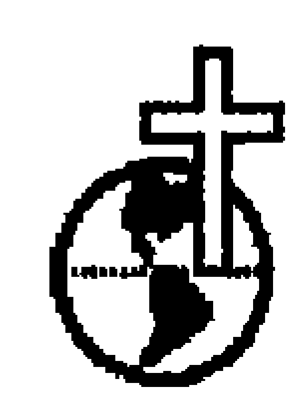
لنسطور، كنا نشك فى وجود من يضع محبة الناس فوق محبة الله!. ولكن يوحنا الأسقف قد إنحاز منذ إبتداء حضوره إلى المجمع إلى آراء نسطوريوس. ولا ندرى أكان الباعث له على ذلك صداقته لنسطوريوس أو اشتراكه معه فى أعتقاده الفاسد؟!».

«ولما أكملنا أعمالنا وحررنا تقارير صادقة لتقديمها لعظمتكم، قد مُنعنا – كما أسلفنا – وذلك بمساعى الكونت كنديديان... ».

«وبناء على ذلك نبلغ عظمتكم كل نقطة.. لأن كل الأساقفة المجتمعين قد اصدروا حُكماً بإدانة وخلع نسطوريوس،طبقاً للقوانين الكنسية، وعدتنا مائتا أسقف حضرنا من جميع أنحاء المسكونة، وقد اتحد معنا أساقفة الغرب فى هذا القرار....».

وصول قرارات المجمع إلى الإمبراطور:

لما رأى الآباء أن مندوب الإمبراطور فى المجمع، يعمل بكل الطرق الممكنة لعدم وصول القرارات والأحكام إلى القسطنطينية، فكر الآباء فى طريقة يوصلون بها قراراتهم، فأحضروا شخصاً لبس ملابس شحاذ، وأمسك فى يده عكازاً مُفرّغاً.ووُضعت بداخله



القرارات!!.. واستطاع بهذه الحيلة أن يفلت من الحصار الشديد الذى ضربه كنديديان على المدينة كلها، وأن يصل إلى دلماتيوس العابد الذى كان يجله الإمبراطور كثيراً لقداسته وتقواه .

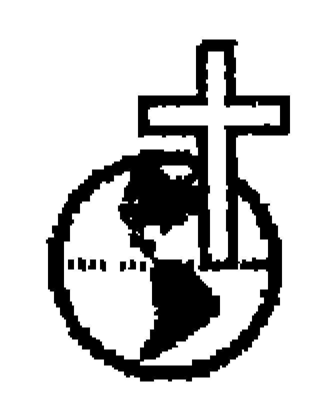
وأسرع دلماتيوس - عندما وصلته القرارات - فى مقابلة الإمبراطور حيث أطلعه على أعمال المجمع وأحكامه. فوافق عليها واعتمدها.

ولقد طفق البعض، يحرضون القيصر ضد المجمع وقراراته، وأخيراً، انتدب المجمع ثمانية من أساقفته، كما انتدب يوحنا الأنطاكي والنساطرة ثمانية منهم، وتقابل الوفدان مع الإمبراطور فى مدينة خلكيدون.

وبعد مباحثات طويلة أقتنع الإمبراطور بصحة أحكام المجمع فثبّتها، وأمر بنفى نسطور بعيداً عن القسطنطينية.

القوانين التى وضعها المجمع:

فى الجلسات الأخيرة، وضع المجمع ثمانية قوانين لسياسة الكنيسة، قرر فى الستة الأولى منها إيقاع الحرم على كل من ينحرف عن الإيمان القويم ويشارك نسطور فى معتقده الوخيم.



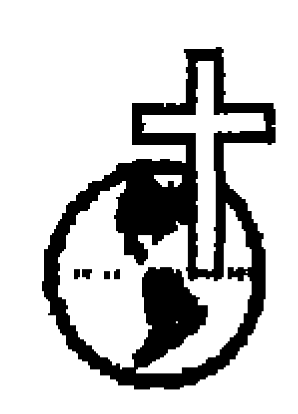
كما وافق على قبول كل من يرذل هذه التعاليم النفاقية. وأعلن أن ما يجريه الأساقفة المنحرفى الإيمان من رسامات تعتبر باطلة ولا قيمة لها.

وفى القانون السابع تحذير وحرم لكل من تسول له نفسه أن يعبث بقانون الإيمان الذى وضعه الآباء - كأن يزيد عليه أو يُنقص منه - أو أن يرفض التمسك به.

وأما القانون الثامن فقد حدد سلطة كل من الأساقفة.كما حرَّم على الأسقف أن يتعدى على حقوق غيره.

وها هى نصوص القوانين كما وضعها المجمع:

١) من حيث أنه قد وجب على الذين تخلفوا عن المجمع المقدس لأجل علة ما، سواء كانت كنسيَّة أو جسدانية، ألا يجلهوا المراسيم الموضوعة فيه، لهذا نعلم قداستكم ومودتكم أنه إن كان ميتروبوليت (مطران) الأبروشية قد عصى على المجمع المقدس المسكونى وانحاز إلي مجمع العصيان {أى المجمع الذى عقده يوحنا الأنطاكى مع النساطرة} أو أنه بعد ذلك ينحاز إليه، أو إن كان قد وافق على رأى كالاستينوس {أحد أتباع نسطور} فهذا لا

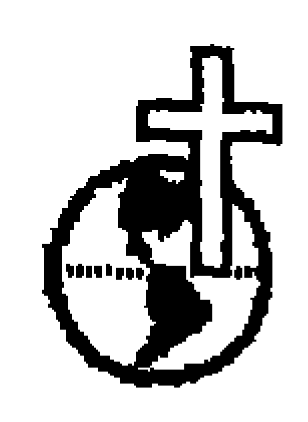


يمكنه أن يضع شيئاً ضد أساقفة الأبروشية البتة، لكونه منذ الآن قد طُرح ونُفي من كل شركة كنسية من قبل المجتمع وهو معدوم العمل عاطلاً (موقوفاً)، والمجمع يفوض لأساقفة الأبروشية وللمطارنة الذين حولهم، المستقيمي الرأى، أمر طرحه بالكلية من درجة الأسقفية أيضاً.

٢) وأما إن كان البعض من أساقفة الابروشية قد تأخر عن المجمع المقدس وأنحاز إلى ذوى العصيان. أو أنه عزم على أن ينحاز إليهم، أو أنه بعد أن وقع على قطع نسطوريوس وحرمه رجع أيضاً إلي جماعة المبتدعين، فعلى ما لاح للمجمع المقدس، أن مثل هؤلاء يسقطون من درجاتهم الكهنوتية.

٣) إذا كان بعض الإكليريكيين (الإكليروس) الذين فى كل مدينة أو قرية قد منعوا من الكهنوت من قبل نسطوريوس ومشايعيه بسبب استقامة رأيهم، فقد قضينا لهم عدلاً أن يتمتعوا برتبهم الخاصة، وإننا نأمر الإكليريكيين عموماً الذين يعتقدون أعتقاد المجمع المسكونى الأرثوذكسى المقدس ألا يخضعوا البتة للأساقفة العصاة المقطوعين.

٤) إن كان قوماً من الأكليروس يعصون ويتجاسرون على أن



يقبلوا بمذهب نسطوريوس وكالاستيئوس أو أن يستميلوا الشعب لاعتناق هذه التعاليم الفاسدة فهؤلاء يعتبرون مقطوعين بحسب حُكم المجمع المقدس العادل.

٥) إن الذين حُكم عليهم من المجمع المقدس أو من أساقفتهم لأعمال ممنوعة، وقد حاول نسطوريوس ومشايعوه أن يمنحوهم الشركة فى الدرجة الكهنوتية، بناء على عدم اكتراثهم بشئ، فهؤلاء قضينا عليهم عدلاً ألا يستفيدوا من ذلك، بل فليلبثوا مقطوعين.

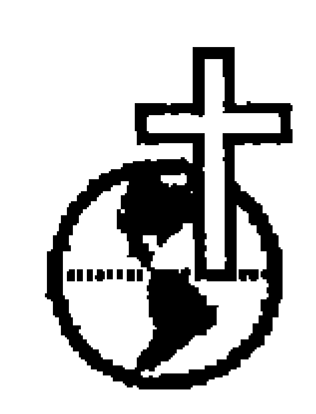
٦) ونظير ذلك إذا وُجِد قوم يريدون أن يعملوا بخلاف ما دوّنه المجمع المقدس الملتئم فى أفسس فى أمر من الأمور، فقد حدد المجمع المقدس بأنه إن كان مثل هذا أسقفاً أو إكليريكياً فليُخلَع من الكهنوت بالكلية، وإن كان عامياً فليُفرَز.

٧) بعد تلاوة: «**قانون الإيمان**» قد حدد المجمع المقدس أنه لا يسوغ لأحد أن يتلو أو يكتب أو أن يؤلف إيماناً آخر غير الإيمان الذى حدده الآباء القديسون المجتمعون فى نيقية بالروح القدس، وإن الذين يتجاسرون على أن يؤلفوا إيماناً آخر أو يتلوه أو يقدموه للراغبين فى العودة إلى معرفة الحق من الوثنيين أو من اليهود أو من المنضمين إلى أية هرطقة كانت، فليُفصَلوا من



أسقفيتهم إذا كانوا أساقفة، وليُجرَّدوا من درجاتهم إن كانوا إكليريكيين وليفرزوا إن كانوا عاميين، لأنهم يعتقدون أو يُعلِّمون عن تجسد إبن‌الله الوحيد طبقاً للتأليف الذى وضعه القس خاريستوس، والذى يحتوى على معتقدات نسطوريوس الملتوية والضالة، فليكونوا تحت حُكم هذا المجمع المقدس المسكونى وذلك بأن يُفصل الأسقف من أسقفيته ويكون مقطوعاً (محروماً) ويُجرّد الأكليريكى من درجته، ويُفرز (يُطرَد) العامانى، كما سلف.

٨) إن أوريجانوس المشارك لنا فى الأسقفية، الواد لله وزينون وأيواغروس الوادين لله أسقفى ابروشية قبرص اللذين معه، أخبرونا بأمرٍ مُحدّث بخلاف الشرائع الكنسية وقوانين الرسل القديسين، فلذلك من حيث أن الأسقام العومية قد تحتاج إلى علاج أعظم لكونها مؤدية إلي ضرر أعظم، فإن كان لم يسبق أن عمل أسقف مدينة أنطاكية الشرطونيات (الرسامات) الكائنة فى قبرص – كما أعلم بذلك الرجال الكلى القداسة القادمون إلى المجمع المقدس كتابةً وشفاهاً – فليكن لرؤساء وكنائس قبرص المقدسة عدم التشويش والإغتصاب حسب قوانين الآباء الأبرار والعادة القديمة. وهم يشرطنون الأساقفة الكلى ورعهم بذاتهم،

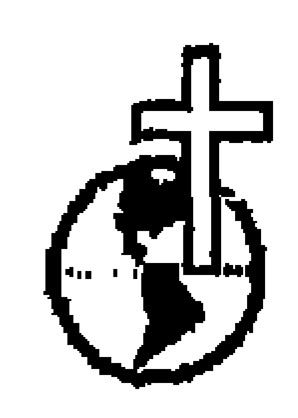


وهذا الأمر نفسه فليُحفظ فى بقية الأبروشيات الأخرى، وفى كل مكان، فلا يستولى أحد الأساقفة الوادين لله على أبروشية أخرى لم تكن من الأصل تابعة له أو لأسلافه، بل إذا كان قد تجرأ أحد واستولى على أبروشية ما، وجعلها تحت طاعته بإغتصاب فليردها لكى لا يكون هناك تعدٍ على قوانين الآباء...

وقد لاح للمجمع المقدس المسكونى أن تسلم لكل أبروشية حقوقها التى لها منذ زمان خالصة من الإغتصاب بحسب السُّنّة الجارية منذ القديم، وليكن مأذوناً لكل متروبوليت (مطران) بأن يتخذ صورة الأعمال التى صارت سنداً له فى وثائقه ليحصن ذاته بها. ومن يورد أمراً مخالفاً لما حدده هذا المجمع المقدس فلا يُعمل به ولا يُقبل كُليةً.

إنتهاء المجمع وعودة الأساقفة إلى كراسيهم:

طلب الإمبراطور من المجمع أن يُعيّن خلفاً لنسطور على كرسى القسطنطينية، فقام الآباء برسامة مكسيميانوس بطريركاً عليها، وهو من أتباع القديس كيرلس الأسكندرى ومن مرافقيه إلى المجمع.



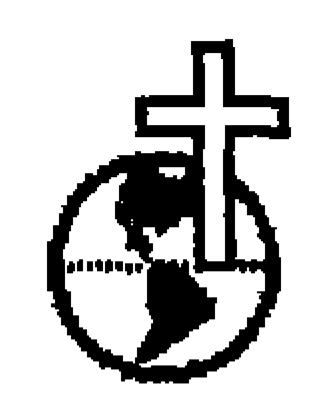
وبعدئذ قرر الإمبراطور فض المجمع وسمح للأساقفة بالرجوع إلى مقر ابروشياتهم. فعاد القديس كيرلس إلى الإسكندرية وهناك استقبله الشعب بالإبتهاج والتهليل، مهنئينه بما أحرزه من نصر عظيم فى مجمعه القويم.

بين بابا الإسكندرية وبطريرك أنطاكية:

إستمر الشقاق بين القديس كيرلس الإسكندرى ويوحنا الأنطاكى فترة من الزمن بعد أنتهاء مجمع أفسس، غير أن الإمبراطور بعث إليهما برسالة يأمرهما بالإتحاد والوفاق.فأخذا يتبادلان الرسائل حتى وافق يوحنا على قرارات مجمع أفسس، كما وافق على رسالة القديس كيرلس التى أرسلها إليه على يد شماسين ووقع عليها بعد تغيير بعض فقرات بسيطة منها،التبس عليه فهمها.

وأرسل يوحنا رسالة للقديس كيرلس مع بولس مطران حمص، الذى ألقى خطاباً بليغاً فى الإسكندرية بين يدى البابا كيرلس أبان فيه محاسن الإتحاد.

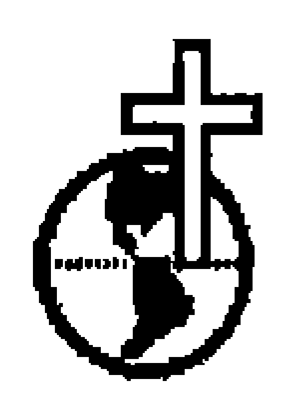
وأخيراً، تم عقد الصلح بينهما عام ٤٣٣م. على أن بعض



الأساقفة الأرثوذكسيين قد عابوا على القديس كيرلس قبوله الصلح مع يوحنا الأنطاكى. رغم وجود بعض عبارات – فى رسالته – غير واضحة وقد تساهل كيرلس فى قبولها لإتمام الصلح والاتحاد.

ومن تلك العبارات قول يوحنا فى رسالته: «لأنه صار اتحاد الطبيعتين، فلذلك نعترف بمسيح واحد وبحسب معنى هذا الاتحاد الخالي من الإختلاط نعترف بأن القديسة مريم هى والدة الإله، وقوله أيضاً: «أما الأقوال الإنجيلية والرسولية المقولة عن الرب فنعلم أن علماء اللاهوت يجعلون بعضها عامة كأنها ينبغى لأقنوم واحد ويفضلون بعضها، لاختلاف الطبيعتين، وينسبون تلك الواجبة لله للاهوت المسيح وينسبون الوضيعة لناسوته»».

ولقد رأى المعترضون على صلح القديس كيرلس مع البطريرك الأنطاكي فى هذه الأقوال ما يميز بين طبيعتى المسيح، أما القديس كيرلس فقد أجابهم بقوله: «إن تمييز الطبيعتين لا يقتضى فصلهما بعد إتحادهما كما لا يقتضى اعتبار كل منهما على حدة، وكما لا يقتضى التفريق بينهما ولو بمجرد الفكر» {راجع مجموعة مؤلفات بوسويه مجلد ٧ص ٢٣٧}:

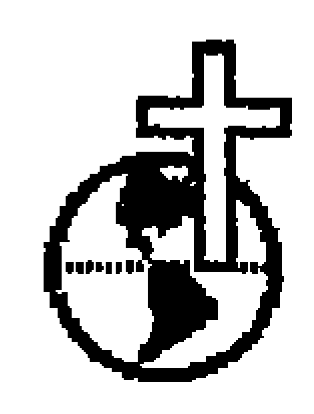


"En distinguant les deux natures, il ne faut pas les diviser aprés l'union, ni les reconnaître comme agissantes separement, ni les séparer autrement que par la pensé." {Bossuet,T.7,p.237}.

ولقد خرج بعض أساقفة الشرق عن طاعة يوحنا بطريرك أنطاكية عندما وافق على قرارات مجمع أفسس واتحد مع القديس كيرلس الكبير (عمود الدين).

ويبدو أن القديس كيرلس قد إستراح لعقد هذا الصلح الذى أعاد إلى الكنيسة شيئاً من سلامها واتحادها، ولذلك كتب يقول: «لتفرح السموات ولتبتهج الأرض، فإن حائط الإختلاف قد هُدِم وأسباب الحزن قد زالت. والمسيح فادينا قد منح السلام لكنائسه!!.».





القسم الرابع

مجمع أفسس الثانى

عام ٤٤٩م

« إن مجمع أفسس قد فحص كل شئ بمقتضى رسوم العدل والإيمان؛ فقُضِى عمن غير المُستحقين من الكهنوت وأُعيد المستحقون إلى درجاتهم(!) » .

الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير

[(تاريخ الهرطقات) رأس ٥ ج ٤ ف ١ ص ٢٥٦.ع ٦١] .





الفصل الأول

أسباب أنعقاد المجمع

«كل من اعترف أن جسد مولانا نزل من السماء، ولم يقل إنه من مريم العذراء، وقال إن الناسوت استحال إلى اللاهوت، واختلط وتغير، فإن الكنيسة تحرمه (...)»

(أثناسيوس الرسولي)

كانت بدعة نسطور سبباً فى بلبلة أفكار الكثيرين، وبرغم هذا الحكم الرادع الذى قرره مجمع أفسس المسكونى بخصوص هذا التعليم الغريب، إلا أن الكنيسة بقيت سنيناً طويلة تقاسى آلاماً ممن شايعوا نسطور واعتنقوا مذهبه الفاسد.

وقام الآباء القويمى الرأى يدافعون بشدة عن الإيمان الصحيح ويوضحونه للملأ، مدعمين أقوالهم بما أثبته الآباء الأطهار أثناسيوس وكيرلس وغيرهم فى رسائلهم وكتاباتهم العديدة.

وكان بين هؤلاء المدافعين عن الإيمان والرافضين لعقيدة



نسطور. رجل يدعى أوطاخى، اشتهر بغيرته ويقوة حُجته، ولكنه سرعان ماتطرّف فى التعبير عن عقيدته فسقط فى بدعة شنيعة وهرطقة مُريعة كانت سبباً فى عقد مجمع أفسس الثانى.

من هو أوطاخى؟!

كان رئيس دير بجوار القسطنطينية، وكان معروفاً بعلمه وفضله، ولما شط فى أقواله نادى بأن طبيعة الناسوت تلاشت فى الطبيعة الإلهية فصار السيد المسيح بطبيعة واحدة ممتزجة!

وإذ سمع أوسابيوس أسقف دوريلاوس بذلك ذهب إلى أوطاخى {وكان صديقاً حميماً له} وأراد أن يقنعه بخطأ تعليمه ويرجعه عن بدعة الطبيعة الواحدة الممتزجة غيرأنه زل هو الآخر فقال بفصل طبيعتى المسيح بعد الإتحاد! ويعد فترة ليست بقصيرة قضياها فى النقاش والبحث أنصرفا دون أن يقتنع أحدهما برأى الآخر، وذهب أوسابيوس الأسقف إلى فلابيانوس بطريرك القسطنطينية وأخبره بالمعتقد الجديد الذى ابتدعه الأرشمندريت (رئيس الدير) أوطاخى.وطالب بعقد مجمع مكانى فى العاصمة للقضاء على هذا التعليم الغريب فى مهده.

وإذ كان فلابيانوس البطريرك يُجل أوطاخي ويحترمه لكثرة علمه وشدة نسكه وتقدير جميع الرهبان له وتمسك الملك وعظمائه به، بعث أوسابيوس إليه دفعة ثانية عله يتخلى عن بدعته، ولكنه أبىَ إلا أن يتمسك بآرائه ويبقى على معتقده الخاطئ!

مجمع فلابيانوس المكانى:

عقد فلابيانوس بطريرك القسطنطينية مجمعاً برئاسته في مقر بطريركيته حضره ٢٩ أسقفاً، ٢٣ أرشمندريتاً، فى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير.

وأُفتتحت الجلسة الأولى فى صبيحة اليوم الثامن من شهر نوفمبر سنة ٤٤٨م، وفيما وقف أوسابيوس الأسقف وألقى خطاباً مطولاً شرح فيه عقيدة أوطاخي وطالب حسما لهذه الضلالة أن يستدعى المبتدع لمناقشته فى أقواله وتعاليمه، وهنا بعث المجمع لأوطاخى ولكنه لم يحضر.

وتوالت الجلسات وفيها قرأ الأعضاء بعض رسائل القديس كيرلس الأسكندرى وأثناسيوس الرسولى،غير أنهم لم يقووا على تفهم معانيها لأن كل الحاضرين كانوا من النساطرة، وأرسلوا مرات أخرى لأوطاخى فلم يحضر أيضاً...

وفى الجلسة السابعة التى أنعقدت فى يوم ٢٢ نوفمبر حضر



أوطاخى ومعه بعض رهبانه، يتقدمهم كبير الحرس الملكى فلورنسيوس وبيده رسالة من القيصر للمجمع جاء فيها مايلى:

«إن كل مقصودنا أن نحفظ الصلح والسلام في الكنائس فيما يخص الأمانة الجامعة، وأن يُصان الإعتقاد المستقيم الذى - بالهام الله - نادى به آباؤنا القديسون الثلثمائة وثمانية عشر المجتمعون فى نيقية، والآباء الذين حضروا فى مدينة أفسس فى القضية الموجبة على نسطور... فقد وجهنا إلي مجمعكم فلورنسيوس العظيم ليحضر فيه لأنه رجل مؤمن ومعروف، ولأن هذه القضية تخص الأمانة» (الإيمان).

وبعد قراءة خطاب الإمبراطور هذا بدأ أوسابيوس مع أعضاء المجمع يناقشون أوطاخى في عقيدته، وأخيراً حكموا بحرمه وعزله من رئاسة ديره.

وأقر المجمع برئاسة فلابيانوس بطريرك القسطنطينية القول بطبيعتين ومشيئتين بعد الإتحاد، وبهذا جددوا بدعة نسطور دفعة ثانية!.. ووضعوا بذار هذا التعليم الخاطئ الذى نضج واكتمل فى مجمع خلكيدون!.

أوطاخى يستغيث بالإمبراطور:

وما أن سمع أوطاخى بحُكم مجمع فلابيانوس عليه حتى قدم



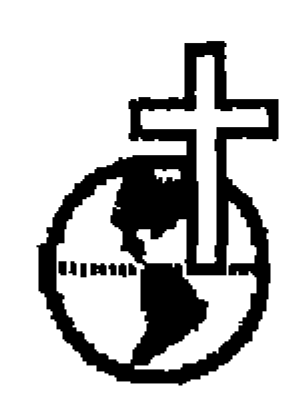
مظلمته للإمبراطور، مستغيثاً من ظلم وقسوة بطريرك القسطنطينية، ومدعياً بأنه لم يفعل شيئاً سوى الدفاع عن الإيمان المستقيم!.. فأمر الإمبراطور بتشكيل هيئة من الأساقفة لفحص أعمال المجمع السابق وبحث مظلمة أوطاخى. وهكذا اجتمع الأساقفة فى يوم ٨ أبريل عام ٤٤٩م بمدينة القسطنطينية برئاسة فلابيانوس بطريرك العاصمة ومعه فلورنسيوس معتمد الملك ومقدونيوس قائد الجيوش القيصرية.

وبدأ الآباء فى استعراض أعمال المجمع السابق ليتأكدوا من صحتها، ورغم أن أغلب أعضاء هذه الهيئة هم بعينهم أعضاء المجمع المكانى المطعون فيه، إلا أنهم بدأوا يتراجعون ويتنصلون من أقوالهم ملقين التبعة بعضهم على بعض!..

وعندئذ أظهر فلابيانوس البطريرك صورة جديدة لعقائد الإيمان ولكنها جاءت بعيدة عن الحق والصواب!.[١]

وأخيراً رُفعت الجلسة كما بُدِئت دون التمكن من أصدار قرار

١) كتاب تاريخ المجمع الخلكيدوني باب ١٤:٣٣و٣٤ - وكتاب تاريخ الهرطقات رأس ٥ ج ٤ ف ١، ص ٢٤٧.



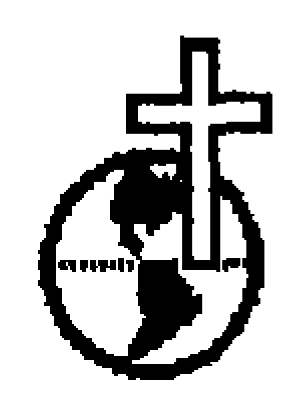
أو تحديد قانون! اللهم إلا ذلك القول الخاطئ الذى نادى به فلابيانوس!.

بين أوطاخى المبتدع ولاون أسقف روما:

وانتهز أوطاخى فرصة تألب الرأى العام ضد فلابيانوس لمناداته بوجود طبيعتين في السيد المسيح بعد الإتحاد ورفع شكواه مرة ثانية إلي الإمبراطور، كما كتب لأسقف روما عن آراء بطريرك القسطنطينية، فأرسل إليه لاون يقول:

«إلى الإبن العزيز أوطيخا القس.من لاون الأسقف: «لقد بلغنا من رسالتك أن بعض أناس بأغراضهم القبيحة قد أنشأوا ثانيةً بدعة نسطور، فنعرّفك أننا سُررّنا بإهتمامك وعنايتك بهذه القضية، ومن رسالتك يتحقق عندنا ما فى نيتك، ولذلك لم نشك فى أن الرب الذى كون الأمانة الجامعة سيسعفك فى كل شئ، فأما نحن متى بلغنا كل أمر أولئك الذين بنفاقهم يفعلون ذلك، فيلزم أننا بتوفيق الله نعتني بقطع هذا الرأى القبيح الذى لُمضى زمان يسير قد نُفِي، فليصُنك الله،عزّت قدرته، أيها الإبن العزيز»(١) {فى أول يونية عام ٤٤٩م}.

(١) كتاب تاريخ مجمع خلكيدون باب ٤١: ٣٤، تاريخ سوريا مجلد ٤.

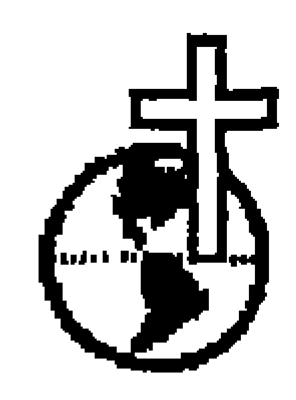


أرأيت كيف كتب أسقف روما لأوطاخى؟!.. إنه يكتب هذا ليضمه إليه، ولكننا نراه بعد قليل ينقلب عليه! عندما يجد الفرصة مؤاتية لأشباع رغباته كما سيجئ.

تبرئة أوطاخى فى مجمع أفسس الثانى:

وعندما أنعقد مجمع أفسس الثانى - كما سنرى فى الفصل الثالث من هذا القسم - رأى الأعضاء ضرورة استدعاء أوطاخى لمعرفة صحة اعتقاده. وعندما حضر اعترف أمام المجمع بالعقيدة السليمة الصحيحة، وأيد قوله بكتابتها والتوقيع عليها، فوافق المجمع على تبرئته بعد أن أصدر قراراً بحرم من ينادى بالتعاليم التى نُسبت إليه.

والحق أن أوطاخى كان مبتدعاً، والتعاليم التى نادى بها تختلف وتناقض التعاليم الأرثوذكسية الصحيحة ولكننا نرى أن هذا المجمع كان مضطراً لإثبات براءته بعدما قدم صورة اعترافه السليمة أمام الآباء، ولو أن المجمع حكم عليه بعكس ماحكم، لاعتبرنا حكمه قسوة وظلماً!.. ولأخذنا عليه عدم قبوله بعد ماعاد إلى التمسك بالعقيدة السليمة.



الفصل الثانى

الشخصيات الهامة في المجمع

«أما أنا فلا أتزعزع قيد أنملة عن إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية. إن أفكارى كلها متجهة نحو خالقى فلا أُبالي بمخلوق ولا أهتم إلا بخلاص نفسى، وبالمحافظة على العقيدة والإيمان المستقيم.»

(القديس البابا ديوسقورس)

لمع فى سماء هذا المجمع البطريرك البطل الأرثوذكسى العظيم الأنبا ديوسقورس البابا الأسكندرى الذى ظل طيلة حياته يجاهد فى سبيل الإحتفاظ بإيمانه سليماً نقياً..

والحق أن ثمة نظرة بسيطة لحياة هذا البطل المجاهد كافية لأن تُرينا شيئاً من ثباته وجرأته فى الحق!.. ثباته النادر فى الوقت الذى كان يعلم فيه تمام العلم أنه سوف لا يجنى من وراء ذلك سوى النفى والتشريد والآلام.. لذا تعتبره كنيستنا القبطية: «مفخرة الأرثوذكسية»!!

لقد قضى كل أوقاته فى أحزان!! وصرف الكثير من سنى



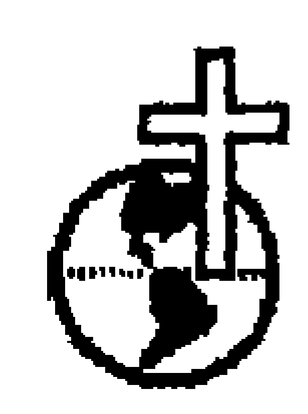
حياته فى النفى والإمتهان! وتساءله لماذا كل هذا؟ يقول: «لا لشئ سوى التمسك بصحيح الإيمان!» .

حياته الأولى:

لم يُثبت التاريخ من حياة البابا ديوسقورس قبل تنصيبه بطريركاً سوى القليل.. غير أنه من الثابت أنه وُلد بالإسكندرية وتعلم بمدرستها اللاهوتية.وأظهر نبوغاً عظيماً فى دراسته، فأُعجب به القديس كيرلس الأسكندرى الرابع والعشرون من بابوات الإسكندرية وعينه سكرتيراً خاصاً له.

لم يكن هذا المنصب العظيم ليشغل ديوسقورس عن الدرس والإطلاع بل ظل يبحث فى مؤلفات الآباء حتى ألمَّ بكل مافيها . وكم كان شغوفاً بها لها حتى كان يحسبها ذخيرة روحية قيّمة لا تنتهي. ولقد استفاد من دراسته هذه كثيراً عندما أمسك زمام رعاية الكنيسة ورأى نفسه مضطراً للوقوف أمام الهراطقة المبتدعين، وشجب كل تعليم غريب عن الدين.

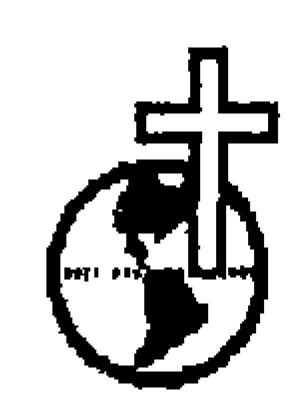
ويبدو أن البابا ديوسقوروس قد تلقن كافة علومه ومعارفه باللغة اليونانية التى كانت تعتبر لغة العلوم والمعارف فى عصره، أضف إلى ذلك كونها اللغة الرسمية لمدينة الإسكندرية التى نشأ



فيها، ولهذا كانت لغة ديوسقوروس هى اللغة اليونانية {وإن كان قد تضلع في القبطية البحرية أيضاً} وفى ذلك مايفسر لنا احتياجه إلى مترجم عندما اصطحب معه القديس مكاريوس أسقف ادكو فى رحلته إلي القسطنطينية إذ لم يكن هذا القديس يعرف إلا اللغة القبطية الصعيدية، وهذه لا يستطيع ديوسقوروس أن يتفاهم معه بهذه اللهجة.

وَيدّعِى البعض أن البابا ديوسقورس مع بعض آباء الكنيسة القبطية الأولين {أمثال أثناسيوس الرسولى} كانوا يونانىِّ الجنس! ويستندون فى ادعائهم هذا إلى تثقفهم وتضلعهم فى اللغة اليونانية دون غيرها:.. على أن هذا لا يمكن أن يقوم دليلاً لإثبات الجنسية. فها نحن نرى من المستشرقين الآن من يتقن لغة بلد أكثر من أهلها، ومع ذلك لا يمكننا أن نقول عنه بأنه شرقى!!

أضف إلى ذلك أن الآباء القدماء كانوا مضطرين لدراسة اليونانية وإجادتها لإعتبارها اللغة العالمية فى ذلك الوقت، فالرسائل العامة تُكتب باليونانية، وأوامر الملوك تصدر باليونانية، وحتى المجامع المسكونية تُكتَب محاضر جلساتها كما تصدر قراراتها باللغة اليونانية.إذن فكيف لا يتقن آباء الكنيسة القبطية



اللغة اليونانية إذا وهم المتصدرون والمترئسون على المجامع المسكونية؟ (التي جرت مناقشاتها باليونانية).

جاء فى كتاب برهان الكنيسة الشرقية الذى قام بطبعه تلاميذ مدرسة اليونان بروما (عام ١٧٠٢م ص ٢٥) مانصه: «إنما دُعَي الآباء الشرقيون يونانيين لأنهم كتبوا تآليفهم باللغة اليونانية!. ونحن متأكدون من أن أغناطيوس وباسيليوس وأوريجانوس وغريغوريوس أسقف نيصص والنزينزي وصانع العجائب والذهبى الفم وغيرهم لم يكونوا من جنس يونانى بل بعضهم سريانى وبعضهم نبطى وبعضهم قبطى، ولذلك نرى القديس ايرونيموس لا يدعوهم يونانيين بل كتبة باللغة اليونانية!!.»

تنصيبه بطريركاً:

ذاع صيت ديسقورس وعلمه عندما كان سكرتيراً لسلفه البابا كيرلس الكبير. فأحبه الجميع أكليروساً وشعباً، وأنزلوه فى قلوبهم منزلة رفيعة إذ رأوا فيه وفرة العلم وكثرة التقوى وشدة الغيرة على سلامة الإيمان. وما أن أنتقل القديس كيرلس حتى أجمع الكل على تنصيبه بطريركاً بدله وتم ذلك عام ٤٤٤م فى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير.

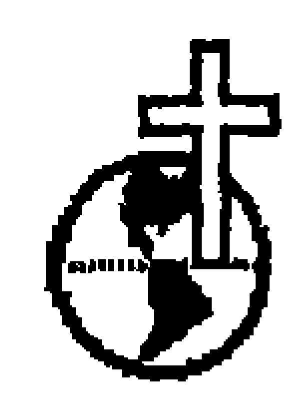


ولقد قضى هذا الآب سنى رياسته فى جهاد مُضنيء كما صرف أكثر أوقاته بعيداً عن كرسيه، فلم يذق طعم الراحة قط، وفى أيامه انقسمت الكنيسة المسيحية إلى شطرين كبيرين كما سيجيء، ولكن الفضل كل الفضل للآب ديوسقورس الذى تحمّل كل الحوادث الخطيرة التى صادفته دون أن يتحول قيد أُنملة عن إيمانه القويم المستقيم الذى تسلمه من آبائه، وأوصله إلينا صحيحاً سليماً.

ولم يكن ثمة سبب لهذا الإنقسام المريع سوى تكبُّر أساقفة روما ومُناوأتهم للكرسى الإسكندرى، ورغبتهم في النيل منه ومن الجالس عليه، عندما رأوا أن بطاركة القبط هم وحدهم المُعتمد عليهم فى تثبيت الإيمان ورئاسة المجامع وفض المشاكل ومقاومة الهراطقة، ولهذا كان الحقد يأكل قلوبهم والغيظ يغلى فى نفوسهم، وظلوا يتحينون الفرصة السانحة ويترقبون الوقت المناسب ليُضعفوا من مركز آباء كنيسة الإسكندرية ولو كان ذلك على حساب الإيمان! بل ولو أدى ذلك إلى أنقسام الكنيسة، وهكذا قد كان!

فى سبيل الإيمان:

رأس البابا ديسقورس مجمع أفسس الثانى الذى انعقد

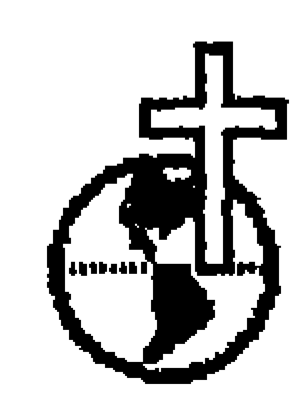


لبـحث هـرطقــة أوطاخي. وكــان ذلك في أيام الإمــبـراطور ثيـؤدوسـيـوس الصـغير، وبعد أن أنتـهت جلسـات المجمع عـاد ديوسقوروس إلي مقر كرسيه، فقوبل بحفاوة وحماس عظيمين لمواقفه المشرفة في الدفاع عن الإيمان المستقيم.

ولكن عندما توفى الإمبراطور ثيـؤدوسـيـوس وتنصّب بدله مركيان زوج بوليكاريا أشار عليه بعض الأساقفة المقطوعين ممن ينادون ببدعة انفصال طبيعتي المسيح بعد الإتحاد، كي يحضر ديوسقوروس ويحاول التأثير عليه لعله يقبل التعليم الجديد، ويصفح عن الأساقفة المبتدعين.

فـدعـا الإمـبـراطور الأب ديوسقورس إلى القـصـر الملكى بالقسطنطينية، كما دُعِي معه أناطوليوس بطريرك القسطنطينية ومكسـيمـوس بطريرك أنطاكيـة ويوبيناليـوس أسـقف أورشليم ومرقس أسقف أفسس، وثلاثة من الأساقفة المقطوعين.

ولما جلس الجـمـيع على كراسـيـهم التى أُعـدَّت لهم مـقـابل مقعدى الملك والملكة، بدأ أحد الأساقفة في مخاطبة ديوسقوروس بما مؤداه أن يذعن لرغبة الإمبراطور، ولا يخالفه كي يبقى في منصبه، وإذ أدرك هذا الأب أن الدعوة ليست إلا مؤامرة قُصِد



بها إغرائه للتخلص من مبادئه القديمة، وقف وقال: «إن القيصر لا يلزمه البحث فى هذه الأمور الدقيقة، بل ينبغى له أن يشتغل بأمور مملكته (السياسية) وتدبيرها, ويدَع الكهنة يبحثون عن الأمانة المستقيمة ويفحصون الكتب، وخير له أن لا يميل مع الهوى ولا يتبع غير الحق».

فدُهِش الجميع من جرأة ديوسقوروس النادرة. وهنا قالت بوليكاريا زوجة الإمبراطور «يا ديوسقورس، لقد كان فى زمان والدتى أفدوكسيا إنسان قوى الرأى مثلك {أى القديس يوحنا ذهبى الفم} وأنتَ تعلم أنه لم يرَ من جراء مخالفتها خيراً، وأري أن حالكِ سيكون مثله!!».فأجابها ديوسقوروس بكل شجاعة قائلاً:« وأنتِ أيضاً تعرفين كل ماجرى لأمِك، نتيجة اضطهادها لهذا القديس! وكيف ابتلاها الله بالمرض الشديد، الذى لم تجد له دواءً ولا علاجاً حتى مضيت إلى قبره وبكت عليه واستغفرت الرب فعوفيت!!..» وهاأنذا بين يديكِ فافعلى بي ماتريدين وستربحين ماربّحته أمكِ!»٠

فثارت بوليكاريا عندما سمعت هذه الأقوال، ومدت يدها ولطمت ديوسقورس لطمة شديدة اقتلعت ضرسين من فمه، لشيخوخته٠ وللحال انهال عليه بعض رجال القصر والحُراس



وضربوه ضرباً مُبّرحاً، ولكي يمْعنوا في الإستهزاء به نتفوا شعر لحيته! أما هـو فبقي صـامتاً يتحمل كل ذلك بصبر عجيب ويقول (للمسيح) : «من أجلك نُماتَ كـل النهار!» {رو ٨:٣٦}

ثم جمع الآب ديوسقورس الضرسين مع شعر لحيته وأرسلها إلى شعبه بالإسكندرية مع رسالة قال فيها: «هذه ثمرة جهادي لأجل الإيمان! إعلموا أنه قد نالتني آلام كثيرة في سبيل المحافظة على أمانة آبائي القديسين، أما أنتم الذين بنيتم إيمانكم على صخرة الإيمان القويم فلا تخافوا السيول الهرطقية ولا الزوابع الكُفّرية!.»(١)

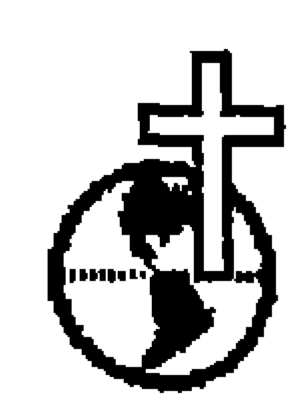
في جزيرة غاغرا:

بعد أنتهاء مجمع خلكيدون، أصدر الإمبراطور أمراً بنفي البابا ديوسقورس إلى جزيرة غاغرا بفلاغونيا {من أعمال آسيا الصغرى}(٢) فذهب إليها في حراسة بعض الجنود الذين كانوا

---

١) راجع تاريخ المجامع لإبن المقفع، وتاريخ المجامع للمنبجي.

٢) « « « « « ، النسخة المطبوعة في باريس ص ٦١



يعاملونه بقسوة شديدة، ورافقه في النفى القديس مكاريوس أسقف ادكو والقس بطرس والشماس تاويسطس.

ووجد ديوسقورس نفسه في وسط قوم من اليهود المتعصبين، الذين لا يؤمنون بالسيد المسيح، فبدأ ينشر نور الإنجيل في وسطهم، كما عمل مرافقيه على تعليمهم مبادئ المسيحية حتى آمن الكثيرون منهم.

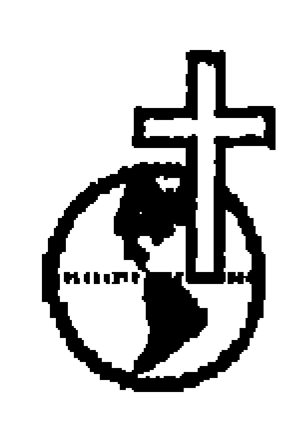
ولقد صنع الرب علي يد صاحب الترجمة معجزات كثيرة كانت سبباً في تقريب البعيدين إلى الإيمان، ففى يوم ما جاءه رجل أعسم وطلب منه بدموع أن يعطيه نقطة من دمائه فشرط البطريرك يده وأخذ الأعسم من دمه ودهن نفسه ثم صلى ديوسقورس عليه فشُفيّ لوقته!!

وقيل إنه كان بجزيرة غاغرا أسقفاً نسطورياً، بدأ يهزأ بديوسقورس عند مجيئه، في نفيه ولكنه سرعان ماذُهش عند رؤيته للمعجزات التى أجراها الرب على يديه، وندم على فعلته. ثم رجع عن آرائه النسطورية وتمسّك بالإيمان المستقيم(١).

وبينما كان البابا ديوسقورس في منفاه زاره أحد تجار

---

(١) راجع السنكسار القبطى تحت يوم ٧ توت.



الإسكندرية الذى تألم كثيراً عندما وقف على ماحدث لرئيسه الدينى من الإضطهاد والإهانات، غير أن ديوسقورس خاطبه موضحاً له كم احتمل السيد المسيح من الامتهان من أجلنا! وليس التلميذ أفضل من معلمه ولا العبد أفضل من سيده!

وعندما أستأذن التاجر من البابا ليعود إلى وطنه، قابل شماسه، وسلمه سبيكة ذهبية/الصرف منها على معلمه، ووعده بإرسال غيرها عند وصوله إلي الإسكندرية، ولكن ما أن سمع ديوسقورس بذلك حتى أمر شماسه بإحضار الذهب ثم قسمّه إلى أجزاء صغيرة، ووزعها على فقراء الجزيرة.

نياحته:

قضى ديوسقورس فى المنفى خمس سنين، صرفها فى هداية الضالين وشفاء المرضى وتخفيف آلام المتألمين. وأخيراً أنتقل إلى الراحة الدائمة فى أول توت سنة ١٩٥ ش، ٤٥٧م.

قال الأنبا ساويرس بن المقفع مانصه: «وقد استمر ديوسقورس بجزيرة غاغرا حتى أخذ إكليل الشهادة من مركيان الملك». ولعله يقصد أن ديوسقورس قد أنتقل نتيجة ما لحقه من الآلام والإضطهادات التى كالها له ذلك الملك.



الفصل الثالث

جلسات المجمع وقراراته

«تصرّفا في الأمور بأحسن نظام، وأحضرا فى مجلس الشرع، وأعلمانا بالأمر كله!..» (١)

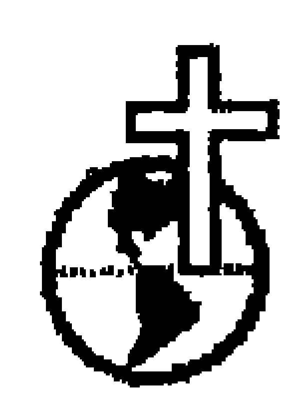
الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير

أنتشرت تعاليم أوطاخى فرذلها الجميع، وحاول فلابيانوس بطريرك القسطنطينية القضاء عليها بمجمعه المكانى، غير أنه طلع علي جماعة المؤمنين ببدعة جديدة إذ قرر الإعتراف بطبيعتين فى السيد المسيح بعد الإتحاد، القول الذى رفضه سائر المؤمنين لمخالفته لعقيدة وأقوال الآباء السالفين.

ولهذا، وجد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير نفسه مضطراً للدعوة لعقد مجمع عام فى مدينة أفسس لمعالجة هذا الوضع، ووضع الأمور فى نصابها السليم.

---

١) من رسالة الامبراطور لنائبيه في المجمع: «البيديوس وأولوجيوس»



ويهمنا أن نذكر أن كنيسة روما، سبق أن وضعت كتاباً سردت فيه ماحدث بهذا المجمع، والمجمع الخلكيدونى وأسمته: «تاريخ المجمع الخلكيدونى» ثم عادت فترجمت الكتاب من اللاتينية إلي العربية بواسطة الراهب فرنسيس اللاتينى ثم طبعته بمدينة روما عام ١٦٩٤م ونشرته في كافة ربوع الشرق، رغبة منها فى تدعيم آرائها بخصوص هذين المجمعين، ومن الغريب أن يشاء الله أن يكون هذا الكتاب سنداً عليهم لا معهم! إذ لمس فيه الجميع ما يؤيد وجهة نظر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية! ولهذا ندموا على فعلتهم وأرادوا جمع نسخ الكتاب من أيدى القراء لإعدامها، وقد بذلوا فى سبيل ذلك أموالاً كثيرة!(١).

وفى المكتبة البطريركية الآن، نسختين من هذا الكتاب، إحداهما مهداه من بابا روما على يد الراهب فرنسيس ماير الفرنسيسكانى، وقد كتب عليها: «إلى أنبا يوحنا العظيم، (يؤانس الثانى) البطريرك الأسكندرى خليفة مرقس الإنجيلى».

ونحن فى معرض الحديث عن هذا المجمع، وما يليه، سنعتمد

١) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة الجزء الأول ص ٤٩٧.



فى تدوين بعض الحقائق على هذا الكتاب الغربى الذى سطرته أيديهم...

المراسيم الملكية لعقد المجمع:

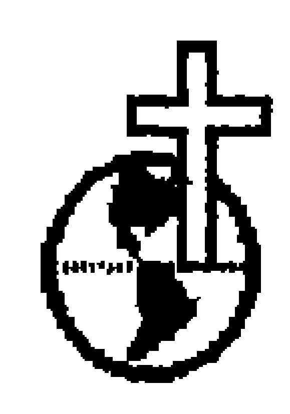
وجه الإمبراطور الدعوة لعقد المجمع إلى سائر الأساقفة، وكتب خطاباً للأب ديوسقورس فى ٣٠ مارس عام ٤٤٩م. أوصاه فيه أن يُحضِر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة ويذهب بهم إلى أفسس لتثبيت الأمانة المستقيمة(١).

ثم وجه إليه خطاباً ثانياً فى ١٥ مايو، يأمره بقبول الأرشمندريت برسوم ضمن آباء المجمع كنائب عن جميع من هم فى رتبته، لطهارة سيرته وحسن أمانته(٢).

وعاد فأصدر إليه مرسوماً ثالثاً خوَّله فيه حق رئاسة المجمع، إذ قال له: «إعلم أننا أمرنا سابقاً أنْ تاؤدريتوس أسقف قورش لا يحضر فى المجمع إلى أن يُظهِر ماينبغى بخصوص خصومه، لكونه تجاسر وتكلم فى الأمانة، بخلاف ما كتب كيرلس الصالح ذكره... ».

١) كتاب تاريخ مجمع خلكيدونية، باب ١٨: ٨٤ - ٨٥.

٢) الكتاب نفسه ١٨:٨٥.



«وإننا نوهب قداستك سلطاناً ونجعلك متقدماً، ليس فقط فيما يخص تاؤدريتوس بل ومايخص كل المجمع المقدس!»(١)

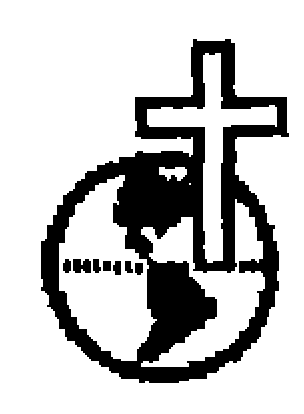
ثم أرسل مرسوماً ملكياً إلى البيديوس مُعتمداً قال له فيه:

«إن سبب عقد المجمع الذى التأم منذ زمن يسير فى أفسس، كان تجديف نسطور المنافق فى حقه سبحانه وتعالى، وعلى ذلك فقد قبل من الآباء الأطهار الذين التأموا هناك دينونة واجبة لقبيح أفعاله».

«ولقد وقع اختلاف ثان غير ذلك ضد الأمانة الإلهية، ولهذا فقد أمرنا بالتئام هذا المجمع الثانى فى أفسس مبادرين لقطع أصول الشر بسرعة، حتى إذا نفينا من كل جهة اضطراب الأمانة. نصون فى قلوبنا صلاة نقية مستقيمة، وننصب بذلك حصناً حصيناً، ونجلب للبشر نفعاً متوافراً، ولأجل ذلك قد اصطفيناك وأُولاج المعروف بقائد وكاتب الديوان فى خدمة الأمانة».

« تصرَّفَا فى الأمور بأحسن نظام، ولتحضرا فى مجلس الشرع وتُعلِمانا بالأمر كله. وأولئك الذين كانوا سابقاً قضاة فى

٢) الكتاب السابق باب ٨٩:١٨ .



أوطيخا رئيس الدير الناسك، يكونون حاضرين صامتين، ولا يجالسوا القضاة، بل ينتظروا مايشرع به جمهور الآباء الأطهار، لأنه الآن ستقضى الأمور التى هم أوجبوها سابقاً... ومهما حدث بهذه القضية أعلمانا به» (١).

وكتب الإمبراطور أيضاً لأسقف روما يدعوه لحضور المجمع، فأرسل نيابة عنه الأسقف يوليانوس، والقس راناد، والشماس ايلاروس (٢).

وفود الأساقفة:

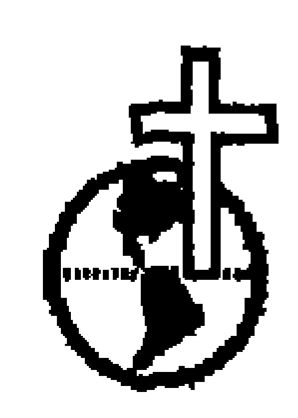
ولقد لبى جميع الأساقفة دعوة الإمبراطور، واجتمع فى وقت بسيط مائة وثلاثون أسقفاً من سائر أنحاء المسكونة، استعداداً لعقد المجمع.

الجلسة الأولي:

وفي اليوم الثامن من شهر أغسطس سنة ٤٤٩م، عقد المجمع جلسته الأولى فى كنيسة السيدة العذراء بأفسس، فجلس

١) تاريخ الانشقاق الجزء الأول ص ٢٢٣، تاريخ مجمع خلكيدونية باب ١٨ : ٨٧ ـ ٨٨.

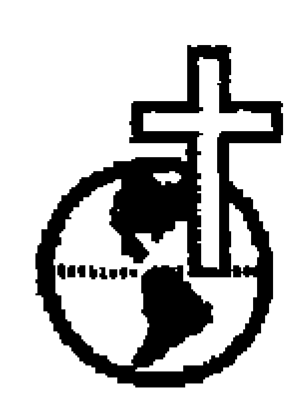
٢) تاريخ مجمع خليكدونية باب ١٤: ٤٢ و ٤٣



الأساقفة فى أماكنهم، يتقدمهم البابا ديوسقورس رئيس المجمع. ثم جلس بجانبه يوليانوس نائب أسقف روما، ويوبيناليوس الاورشليمى، ودمنوس الأنطاكى، وفلابيانوس القسطنطينى وأستفانوس الأفسسى وتلاسيوس القيصرى. ثم بقية الآباء.

وبعد أن أُفتتحت الجلسة وقف القس يوحنا كبير الكتبة، وقرأ المراسيم الملكية المرسلة للأب ديوسقورس. ثم وقف نواب أسقف روما، وأعلنوا حضورهم نيابة عنه، وقالوا إنهم يحملون رسالة إلي المجمع. فقال الآب ديوسقورس «يقبل ما كتبه قداسة أخينا لاون ورفيقنا فى درجة الأسقفية» غير أن كبير الكتبة أشار إلى وجود مراسيم ملكية أخرى لم تقرأ بعد. ثم أخذ فى تلاوتها.

وسأل الآب ديوسقورس نائبّى الإمبراطور فى المجمع {البيديوس وأولوجيوس} عما إذا كان لديهما رسائل ملكية أخرى لقراءتها وإثباتها، فقال البيديوس: إن الملك قد فوض للمجمع أن يفعل مايراه حسناً لحفظ عقيدة الآباء الأوائل. الذين أحتفظوا بجوهر الأرثوذكسية، ثم قدم المرسوم الملكى الصادر للمجمع، فقُرِئ وإذا به يحض الآباء على التمسك بتحديدات المجامع السابقة، والعمل على أستئصال المبتدعين.

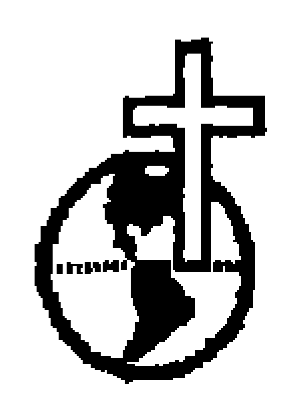


وإذ بدأ الآباء يبحثون أمر أوطاخى، أقترح يوبيناليوس أسقف أورشليم استدعاءه ليجيب عن نفسه.

حضور أوطاخى:

ولما مَثُل أوطاخى أمام المجمع، طلب منه الآباء أن يوضح عقيدته، ويشرح تعاليمه فقال: «إنى أستودع نفسى للآب والإبن والروح القدس ولقول عدلكم الصادق.. فمعى كتاب اعتقادى فمُروا بقراءته وقراءة اعتراف الأمانة المرفق به».

وتسلم كبير الكتاب إعتراف أوطاخى، وقرأه أمام الآباء جميعاً، فإذا به صورة صحيحة صادقة لقانون الإيمان الموضوع بمعرفة الآباء فى مجمع نيقية. وقد ختمه بقوله: «هذا هو الإعتقاد الذى قبلته منذ البدء من آبائى، وأنا أعتقد به سابقاً وفى هذا الحين. فى هذا الإيمان وُلِدت، ومن الحين قَدِمت لله وبرحمته قبلنى، وبه التصقت ورُسِمتُ وعشت إلى هذا اليوم، وأريد أن أموت فيه... وهذا الإعتقاد كتبه المجمع المقدس العام الذي كان



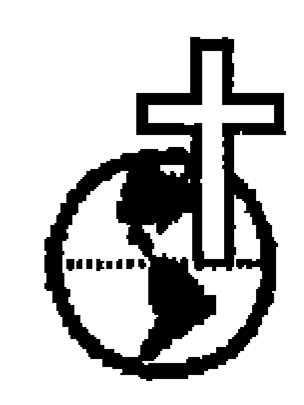
سابقاً والذى تولى عليه أبونا كيرلس.الأسقف ذو الذكر السعيد الصالح، وحدد أن من خالفه أو زاد عليه شيئاً أو أنقص منه شيئاً أو علّم بخلافه يكون تحت القوانين التى تحررت فى ذلك الحين!..» .

ولم يكتفِ المجمع بهذا الإعتراف الكتابى، بل طلب من أوطاخى أن يوضح أبحاثه (رأيه) شفاهاً، فلم يحد فى أقواله قط عن العقيدة السليمة.

ثم استمع الآباء لبعض رسائل القديس كيرلس فى شرح سر التجسد المجيد، وبعد أن انتهوا منها، بدأوا يراجعون أعمال مجمع فلابيانوس المكانى.

تبرئة أوطاخى:

سأل البابا ديوسقورس - رئيس المجمع - الآباء عن رأيهم فى أمانة أوطاخى واعترافه، فقال يوبيناليوس أسقف أورشليم: «لأنه قد اعترف واقتدى بإعتقاد مجمع نيقية، وبما ثبتّه الآباء فى المجمع العظيم، الذى اجتمع سابقاً فى هذه المدينة (أفسس) فقد



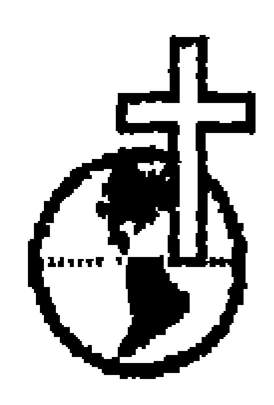
ظهرت أرثوذكسيته، ومن أجل ذلك حكمت بأن يثبت فى درجته وفى ديره» ووافق الأساقفة جميعاً على هذا القرار بقولهم: «حق وعدل هذا الكلام!».

وبعد أن أعلن جميع الأعضاء رأيهم واحداً فواحداً، قال الأب ديوسقورس: «لقد ثبَّتُ أنا أيضاً حُكم هذا المجمع المقدس، وحكمت أن أوطاخى يُحصىَ فى عداد الكهنة ويتولى ديره كما كان سابقاً» .

تبرئة رهبانه أيضا:

وقدم كبير الكتبة رسالة للمجمع بعث بها رهبان أوطاخى، يطلبون النظر فى الحُكم الذى أصدره عليهم فلابيانوس بطريرك القسطنطينية فى مجمعه المكانى إذ قرر حرمهم تبعاً لرئيسهم أوطاخى.

وتقدم الراهب لوسين - نيابة عن إخوته - ليجيب على أسئلة المجمع، وبعد أن إستوضح الآباء اعتقادهم وظهر لهم صحة إيمانهم، طرح الأب ديوسقوروس أمر تبرئتهم على المجمع، فأقره



ووافق عليه.

قرارات المجمع:

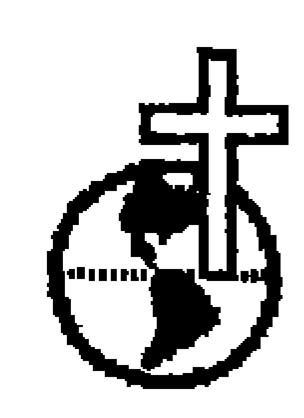
وطلب الآباء قراءة أعمال مجمع أفسس المسكونى، كما تلى قانون إيمان المجمع النيقاوى وتعاليم الآباء القديسين فى سر التجسُّد المجيد. وبعد البحث الكثير خَلُص المجمع إلى القرار الآتى:

«للمرة الثانية نُجدد القول بطبيعة واحدة بعد الإتحاد للكلمة المتجسد، بدون اختلاط أو امتزاج أو استحالة».

الحكم على فلابيانوس:

وسأل الآباء فلابيانوس بطريرك القسطنطينية، عما إذا كان يوافق على عقيدة المجمع ويرى رأيه، فقال إنه متمسك بعقيدته التى أعلنها فى مجمعه المكانى، وأصر على القول **بطبيعتين فى السيد المسيح بعد الإتحاد** !!.

وبدأ الأساقفة فى مناقشته لاقناعه بالآراء السليمة والعقيدة



القويمة، لعله يتخلّى عن تعليمه الغريب، ولكنه أبى أن ينصت إلى أقوال الأساقفة، كما رفض الخضوع لرأى المجمع.

وأخيراً، لم يجد المجمع بُداً من حرمّه وستة أساقفة معه، بقيوا مُصرّين على تمسكهم بأقوال الهراطقة والمبتدعين.

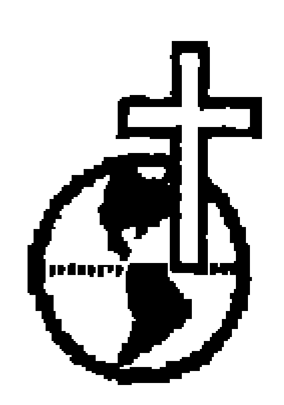
فض المجمع:

بقى الآباء أياماً كثيرة، حيث عقدوا عدة جلسات متوالية، لبحث ما لديهم من أعمال فى شئ من التريث والهدوء، وبعد أن أنتهوا من جدول أعمالهم، وأصدروا أحكامهم وقراراتهم، ووقع الجميع عليها، بعثوا بها إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير فوافق عليها واعتمدها. وأصدر أمراً بنفى فلابيانوس(١).

ثم أعلن الرئيس، انتهاء جلسات المجمع، فعاد الأساقفة كلٍ إلى إبروشيته، فرحين بما وصلوا إليه من تثبيت الإيمان القويم، ودحض كل تعليم غريب أثيم .

---

(١) راجع كتاب تاريخ مجمع خلكيدونية باب ٤٥:١٥ – باب ٦٢:١٦



الفصل الرابع

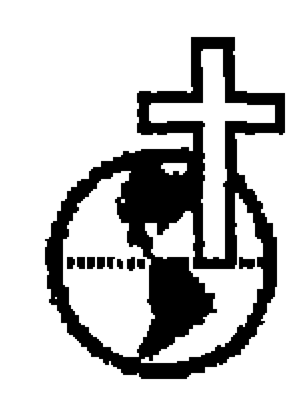
عقيدة الطبيعة الواحدة!!

«إننا لانعزي الناسوت من اللاهوت، ولا نعرف الكلمة من الناسوت، بعد ذلك الإتحاد الغامض الذي لايمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين اجتمعا إلي واحد مؤلف من كليهما، لا بهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما، بل بإتحاد شريف في الغاية» (١)

(القديس كيرلس الكبير)

رأينا في الفصل السابق، كيف أن فلابيانوس بطريرك القسطنطينية إذ أراد أن يحارب أوطاخي المبتدع، نادى بوجوب الإعتقاد بطبيعتين في السيد المسيح بعد الإتحاد! وإذ لمس جماعة المؤمنين في هذا القول ماينافي عقيدتهم القويمة التي تسلموها من الآباء، رفضوا قبول ماأعلنه فلابيانوس، واعتبروه منحرفاً عن العقيدة السليمة.

١) من رسالة بعث بها إلي الامبراطور ثيؤدوسيوس الكبير.



وحالما انعقد مجمع أفسس الثاني، سارع بوضع الأمور فى نصابها، إذ أعلن العودة إلى عقيدة الكنيسة القديمة التى نادت: «بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد».

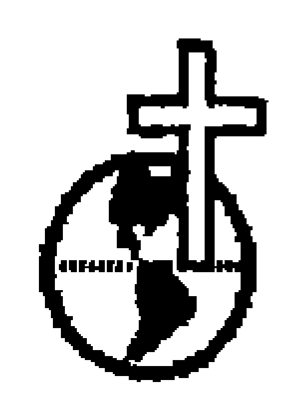
ثم أُسقِط فلابيانوس من درجته عندما وجد منه إصراراً وعناداً وتمسكاً بأقواله الجديدة المغايرة لتعاليم البيعة منذ نشأتها.

ولكن – عندما انعقد مجمع خلكيدونية {كما سنرى} – وكان كل أعضائه من النسطوريين والغربيين – انحرف دفعة ثانية وعاد ينادى بالطبيعتين فى السيد المسيح بعد الإتحاد!!

ولأن هذه القضية. كانت سبباً مباشراً، من أسباب أنقسام الكنيسة المسيحية بعد مجمع خلكيدونية، لهذا رأينا أن نفرد هذا الفصل لنبسط فيه العقيدة الصحيحة التى تمسكت بها كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

عقيدة كنسيتنا هى عقيدة الكنيسة الجامعة الرسولية:

لعلنا قد أدركنا الآن، إننا عندما ننادى «بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد» لا ننادى بعقيدة حديثة أو تعليم جديد، بل نقول

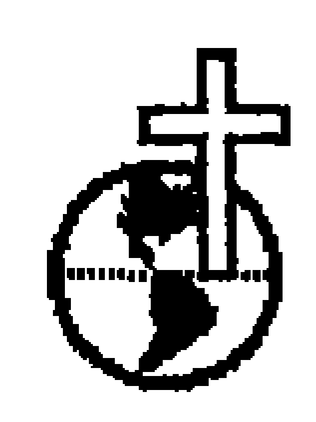


بقول آباء الكنيسة الأولين أمثال أثناسيوس وكيرلس وباسيليوس وغيرهم ممن عاشوا قبل مجمع خلكيدونية، بزمن طويل!

قال القديس أثناسيوس الرسولي في مقالة له علي التجسُّد الإلهي: «ولا نقول عن هذا الإبن الواحد أنه طبيعتان واحدة نسجد لها والآخرى لا نسجد لها، **بل طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد**».

وقال القديس كيرلس الكبير، في كتابه عن تجسّد الكلمة: «متى أتفق شيئان متحالفان واتحدا بتركيب، **وقيل إن أحدهما حال في الآخر، فلا يجب أن يُقسمَا إلى إثنين ولا ينبغي أن يُنزع الإتحاد من بينهما**».

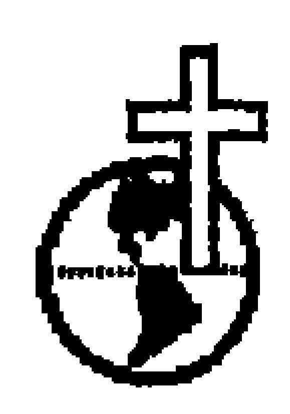
وذكر القديس باسيليوس في تفسيره الآية القائلة: {الرب قناني: أم ٨:٢٢} قوله: «لسنا نقول عن الإبن الوحيد إنه إثنان، ولا نقول إن اللاهوت منفرد بذاته، ولا الناسوت بذاته. بل **نقول طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً**، لأن بطرس السليح (الرسول) لم يذكر طبيعتين، لكنه اعترف وقال إن المسيح تألم من أجلنا بالجسد (١بط ٢:٢١)، وأيضاً من جهة ولادته بالجسد، بشر الملائكة الرعاة قائلين: إنه قد وُلد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب» (لو٢:١١) .



وقال القديس غريغوريوس الثيؤلوغس: «هو أقنوم واحد طبيعة واحدة، سجد له المجوس، لأن وحدانية الله الكلمة ليست بعدد طبائع ولا أقانيم. فقد وُلِد من عذراء وحفظ أيضاً عذراويتها وبتوليتها بلا تغيير... هو إبن واحد، وليس للمسيح طبيعتان بعد الإتحاد، **ولا هو مفترقا ولا مختلطا فيما اجتمع من الجهتين، لأن طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا إلى وحدانية».**

وليس هذا فحسب، بل إن الكنيسة الكاثوليكية نفسها (التى تقول اليوم بطبيعتين في السيد بعد الإتحاد) كانت متمسكة بعقيدة الكنيسة القبطية، يثبت ذلك ما كتبه، الأب جراسيموس مسرة فى كتابه «تاريخ الإنشقاق» (الجزء الأول ص ١٩٢) إذ يقول: «وكان معلمو الغرب في الغالب متفقين مع الإسكندريين فى المنهج والتعبير، كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية إلى ديوناسيوس أسقف قبرص فى أواسط القرن الرابع، حيث ينكر الإعتراف بطبيعتين استناداً على قول الإنجيل: «والكلمة صار جسداً»،وقول بولس:"رب واحد يسوع المسيح"، **ويعترف بطبيعة واحدة للاهوت الغير المتألم والناسوت المتألم» .**

وجاء أيضاً فى كتاب «تاريخ الهرطقات» لألفونسيوس



ليكورى ص ١٥٨، أن الأسـقف الرومـانى أنوريوس قـال: «إننا نعتقد بمشيئة واحدة فى المسيح لأن اللاهوت لم يأخذ خطيئتنا بل طبيعتنا،كما خُلقت قبل فسادها بالخطية».

إنحراف الكنيسة الغربية:

يتضح إذن، أن كنيسـة روما هى التى انحرفت عن العقيدة القويمة عندما حددت في مجمع خلكيدونية، وجوب الإعتقاد بالطبيعتين بعد الإتحاد(١) مرتكنة على أقوال لاون بابا روما الذى كتب فى رسالته إلى فلابيانوس يقول: «حقاً يأتى المسيح الإثنان، الإله والإنسان، الأول يبهر بالمعجزات والآخر مُلقى للإهانات»!

ولأن هذه الأقوال لا تتفق والتعليم السليم، لهذا رفضت كنيستنا القبطية أن تأخذ بها، كما رفض بطل الأرثوذكسية العظيم الآب ديوسقورس، قبول ما حدده المجمع الخلكيدونى، وبقى متمسكاً بما تسلمه من آبائه القديسين دون زيادة أو نقص.

---

(١) راجع كتاب كنز النفائس فى إتحاد الكنائس تأليف الأستاذ نقولا امبرازى باثينا وترجمة الخورى يوحنا حزيون بطنطا عام ١٩٠٤ ص ٧٧.



نقطة الخلاف بين الكنيسة القبطية والكنائس الأخرى:

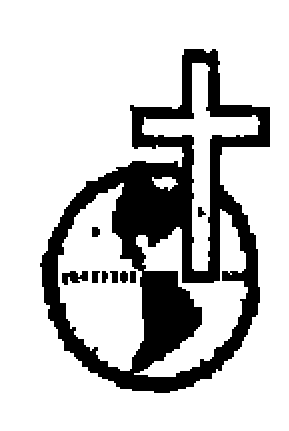
وتنحصر نقطة الخلاف بين كنيستنا القبطية وبين الكنائس الأخرى القائلة بالطبيعتين فى أنه بينما تعترف كنيستنا بإتحاد الطبيعتين لفظاً وفعلاً، تنادى الكنائس الأخرى بإنفصالهما فعلاً وإن عمدت إلى أتحادهما لفظاً!!. ولهذا نراها تفرق بين المسيح الإله، والمسيح الأنسان! فتنسب للاهوت أحداثاً وللناسوت غيرها! أما كنيستنا القبطية فإنها ترفض هذا التفريق، وتنادى بأن كل ما يتعلق باللاهوت وكل ما يتعلق بالناسوت ينسب على حد سواء إلي الكلمة المتجسد دون تفريق.

صحة العقيدة القبطية:

والواقع أن كافة الأدلة، كتابية ومنطقية وتاريخية، تثبت صحة عقيدة الكنيسة القبطية. كما أن في كتب الكنائس الأخرى ما يؤيد ذلك، ولكى يدرك الجميع هذا، ندون هنا بعض الأدلة التى نحسب إنها كافية لإثبات ما نقول: _

أولا: الأدلة الكتابية:

فى كلمة الله من الآيات التى نُسِب فيها ماللاهوت



ومـا للناسـوت للاهـوت بلا تفـريق ولا تميـيـز دلالة علي أتحـاد الطبيعتين في السيد المسيح:

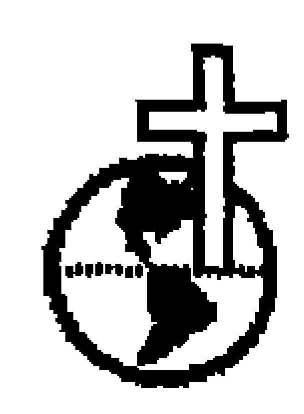
١) قال السيد: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» (يو ٨:٥٨) وهنا نرى أن المتـحـدث هو الناسـوت، ولكن الحـديث يدل على الأزلية التي هي من صفات اللاهوت! وفي قوله: «**أنا** كائن» دليل قاطع على وحدة الطبيعة في الكلمة المتجسد.

٢)وقال أيضـاً: «ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، إبن الإنسان الذى هو فى السماء» (يو ٣:١٣)، وفى ذلك يعلن أن إبن الإنسان نزل من السماء وفي السماء.

٣) قال بولس الرسول: «لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (يو ٣:١٦) فأبان أن المصلوب هو رب المجد نفسه..!

٤) وقال يوحنا الإنجيلى: «هكذا أحب الله العالم حتي بذل إبنه الوحـيـد» (يو٣:١٦) وفي ذلك ينسب البـذل الذي هو من خصائص الناسوت إلى إبن الله الوحيد! دليل وحدانيته الطبيعية.

٥) وجاء فى (أع٢٠:٢٨) قوله: «لتـرعـوا كنيسـة الله التى اقتناها بدمه» وهنا ينسب الدم لله، مع أن الدم هو دم الناسـوت، إذ أن الله روح وليس له دم ولحم.



٦) وقال يوحنا الرائى عن السيد: أنا هو الأول والآخر، الحى وكنت ميتاً، وها أنا حى إلى أبد الآبدين» (رؤ١:١٧)٠ والمتحدث هنا هو اللاهوت الأزلى الأبدى ولكنه يقول «كنت ميتاً» مع أن الموت لم يقع بالفعل على اللاهوت بل وقع على الناسوت. وفي بداية الآية واختتامها بلفظة «أنا» دليل على وجود طبيعة واحدة في الكلمة المتجسد.

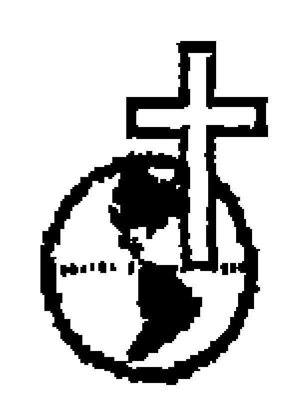
٧) وقال بولس الرسول: «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الآبد» (عب ١٣:٨) ونحن نعلم أن كلمة «يسوع» هى الإسم الذى تسمى به الكلمة بعد تجسده، ومع ذلك تنسب الآية له صفة الوجود الدائم التى هى من صفات اللاهوت..

ثانيا: الأدلة المنطقية:

أولاً: إننا لو فرقنا بين ما للاهوت وما للناسوت، لأنهارت نظرية (مبدأ) الكفَّارة والفداء التى تعتبر أساس المسيحية!.

ذلك لأننا نعتقد جميعاً أن كفارة السيد المسيح كانت كافية لوفاء العدل الإلهى، لأنها «كفارة إلهية»٠

ولهذا يقول الرسول: «الذى إذ كان في صورة الله لم يُحسَب



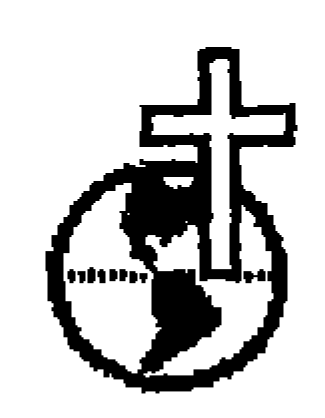
خلسةً أن يكون مُعادلاً لله، لكنه أخلىَ نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس، وإذ وُجِد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (فى ٢:٦-٨).

ونحن نعلم أن اللاهوت لم يمت ولم يسفك دماً، لأن الله كما ذكرنا سابقا ليس له لحم ودم - وهو حى لا يموت - أما الذى مات فهو الناسوت - وهو أيضاً الذى انحدر منه الدم.

ولكن، لأن الناسوت كان متحداً باللاهوت اتحاداً تاماً فعلياً، اعُتبر الموت موتاً إلهياً، والدم دماً إلهياً!. ومن ثم اعتُبرت الكفارة إلهية أيضاً (وفاعليتها أبدية).

هذا ما نصل إليه عندما نُسلّم بعقيدة الكنيسة القبطية، أى بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد، أما لو سرنا بحسب عقيدة الكنائس الغربية التى تنادى بالطبيعتين وتفرق وتميز بين خواص كا منهما، لاضطررنا إلى اعتبار ذبيحة الصليب: «**ذبيحة بشرية**»,وكلنا نعلم آن «الذبيحة البشرية» لا يمكن أن تكون «**ذبيحة كفارية**»!!

ثانياً: وتعتقد كنيستنا كما تعتقد الكنائس التقليدية الأخرى،

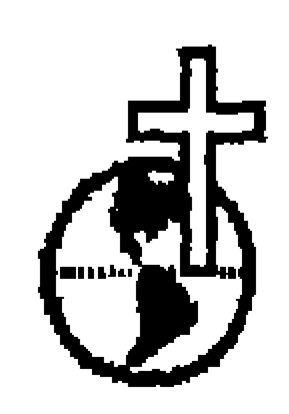


بأن السيدة العذراء هى والدة الإله، وهكذا أكـد الآباء القديسون – فى المجمع الأفسى المسكونى الثالث – على أن هذه التسمية لا تستقيم إطلاقاً إلا إذا أخذنا بوجهة نظر كنيستنا القبطية التى فيها تتحد الطبيعتان إتحاداً كاملاً!.

أما إذا أخذنا بمبدأ فصل الطبيعتين فى خواصهما وأعمالهما لقلنا أن العذراء هي أم ناسوت المسيح فقط، لأنه من المُسلّم به أن العذراء لم تلد اللاهوت.

ولكن على أساس الإتحاد الكامل بين طبيعتّى السيد، نقول إن العذراء تُدعى بحق «أم الله».كما سمتها أليصابات عندما قالت: «من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىَّ» [يو ١:٤٣]، بإعتبار أن مريم ولدت إلها متأنساً ذا طبيعة واحدة.

ثالثاً (القياس البشرى): نعلم جميعاً أن الإنسان مركب من عنصرين: روح وجسد، ولكن لاتحادهما الوثيق لا نفرق بينهما ولا بين الأفعال الخاصة بكليهما، فإذا جُرِح إنسان مثلاً، لا يقول: «إن جسدى جُرِح!» بل يقول «أنا جُرِحت»,وهكذا إذا تألم لا يقول: «روحى تألمت» بل «أنا تألمت» وهذا دليل على الإتحاد الطبيعى التام بين عنصرى الإنسان الواحد.



فإذا كنا نعرف أن ما نقوله هذا صحيح، فلماذا لا نستعمله مع السيد المسيح الذى اتحد فيه اللاهوت والناسوت اتحاداً سرياً عجيباً؟!

قال القديس كيرلس الكبير بابا الإسكندرية: «ليكن هذا برهاناً أعنى الإنسان الذى نفهم أن له طبيعتين: واحدة هى النفس (الروح) والأخرى هى الجسد، ونحن نعرف هذا بقلوبنا ولا نقسم الطبيعتين، بل هو واحد نعرفه، حتى أن هذين الإثنين لا يكونان بعد إثنين، بل يكون منهما حيوان (كائن حي) واحد وهو الإنسان، هكذا إذا قلنا عن عمانوئيل إنه من طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت، فإن الناسوت قد صار للكلمة وهو إبن واحد معه».

وقال القديس السدمنتى فى المقالة الثانية من كتابه «البرهان» ما نصه: «كما قد جعل الإتحاد الصائر بين النفس الملائكية الروحانية، وبين الجسد الترابى الحيواني إنساناً واحداً، طبيعة واحدة... هكذا في المسيح له المجد، لا يجوز أن يُقال فيه بعد الإتحاد إنه من طبيعتين مفترقين، وإن كان اللاهوت لم يستحل فيصير ناسوتاً ولا الناسوت انبسط فصار لاهوتاً بل كل



منهما حافظ مايخصه من غير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة».

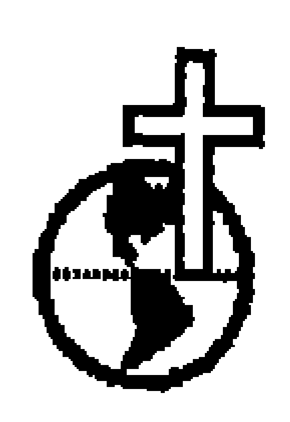
ثالثاً: الأدلة النقلية (أقوال الآباء):

نثبت هنا بعض أقوال آباء الكنيسة الأولين، كى تكون كبرهان ثالث على صحة عقيدة الكنيسة القبطية التى تقول «بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد» :-

١) وقال القديس غريغوريوس العجايبى، من كتاب له فى الأمانة: «الله الحقيقى الغير جسد ظهر فى الجسد وهو تام فى اللاهوت الحقيقى الكامل، ليس هو شخصين ولا هو طبيعتين.... ومن أجل هذا نَحرم المُنافقين».

٢) وقال القديس يوحنا ذهبى الفم فى المقالة الثالثة من تفسيره لرسالة أفسس: «ولكنى أبيِّن الأمر أن الله الكلمة أخذ الإنسان كله من طبيعتنا وهو كامل فى كل شئ، وله أقنومه فيه أعنى الكلمة، فلأجل هذا نقول عنه إنه طبيعة واحدة، الله الكلمة صار جسداً».

٣) قال القديس أثناسيوس الرسولى فى رسالته إلى الملك

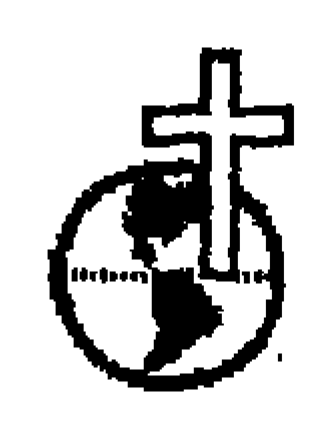


يوبيانوس: «ينبغى أن نعتقد بطبيعة واحدة وأقنوم واحد لله الكلمة المتجسد،المتأنس بالكمال. ومن لا يقول هكذا فإنه يخاصم الله ويحارب الآباء القديسين».

٤) وقال أيضاً :«إن غير الجسد والجسد، اشتركاً بالأجتماع إلى طبيعة واحدة، وهو الله والأنسان معاً، وهو لا يقبل تغييراً ولا استحالة، بل أقنوم واحد ووجه واحد، وفعل واحد، وطبيعة واحدة لله الكلمة الذى صار جسداً».

٥) وقال القديس كيرلس الكبير فى رسالته إلى القس أولوجيوس القسطنطينى:«أما أتباع نسطور فلا يعتقدون بالأتحاد كما نعتقد به نحن، لأننا نقرن الطبيعتين بالأتحاد، ونعترف بمسيح واحد وإبن واحد ورب واحد، ولذلك نقول طبيعة واحدة لابن اللّه المُتجسِّد..... فإذ قد ثبت الأتحاد فلا تفترق الأشياء المتحدة من بعضها، بل يكون المسيح واحداً، وطبيعة واحدة، بما أنها طبيعة الكلمة المتجسد».

٦) وقال القديس ساويرس الإنطاكى:«إننا إذا قلنا بطبيعة واحدة للسيد المسيح من طبيعتى اللاهوت والناسوت، نقول أيضاً إن ذلك يكون بغير أمتزاج ولا اختلاط ولا فساد بل مع بقائهما



على ما كانتا عليه، فطبيعة الأنسان من طبيعتّي النفس والبدن، وطبيعة الجسم من طبيعتى الهيولى والصورة، من غير أن تنقلب النفس بدناً ولا الهيولى صورة وبالعكس(١)».

٧) وقال القديس بطرس السدمنتى فى المقالة الثانية من كتابه المسمى بالبرهان:«إن الكلمة الأزلى نزل من السماء من غير انتقال ولا تغيير،وتجسّد من مريم بجسد كامل ذى نفس عاقلة ناطقة، فصار بالأتحاد واحداً، وطبيعة واحدة... إنه ما يُسمى مسيحاً إلا باتحاد اللاهوت والناسوت، وإن كان الأتحاد قد وحدّهما وجعلهما طبيعة واحدة فلايجوز فى الشرع أن يقال إن منهما طبيعتين،بل طبيعة موحدة!» .

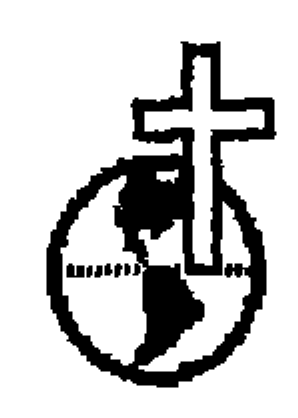
رابعاً: شهادة المعارضة:

وثمة شهادات قيمة ننقلها عن كتب الكنائس الأخرى، لتثبت بها أيضاً صحة عقيدة كنيستنا القبطية:

١) جاء فى كتاب الإيمان الصحيح فى السيد المسيح الذى

---

١) مختصر تاريخ الدول لابن العبرى ص١٤٧.



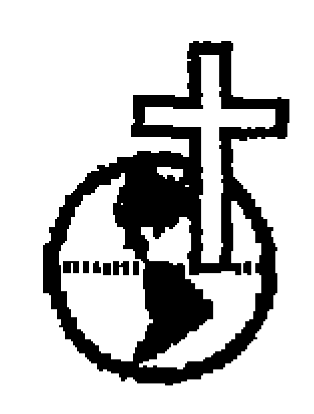
وضعه الأسقف الروماني[1] مانصه:«إن الكنيسة الكاثوليكية تطعن بالحرم في من لا يعتقد بأن **المسيح هو طبيعة واحدة**. كما تدون ذلك فى المجمع اللاتراني، المنعقد بأمر القديس مرتينوس البابا سنة ٦٤٩م فى القانون الخامس بهذه الألفاظ: «من لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين أنه توجد طبيعة واحدة للإله الكلمة فى المسيح خاصة وحقاً، دلالة على أن المسيح الإله أخذ جوهرنا كله كاملاً ماعدا الخطية.فليكن محروماً»[2] .

٢) وجاء فى كتاب مختصر المقالات اللاهوتية لبيروني اليسوعى، ترجمة الخورى يوسف الدبس (الجزء الثالث ص١٧١) في ملاحظته على قول الآباء«طبيعة واحدة للكلمة المتجسد» مانصه: «فإن أريد أنهم يُعلِّمون أن الطبيعة المتجسدة صارت واحدة بعد الأتحاد، فأنا أُسلِّم بذلك!.» .

٣) وقال يوليوس بابا روما فى رسالته إلى ديونيسيوس أسقف قبرص {فى أواسط القرن الرابع} مانصه: «وبالضرورة يلزم الذين يعتقدون بطبيعتين أن يسجدوا للواحدة ولا يسجدوا

١) لم يذكر الكاتب إسمه.

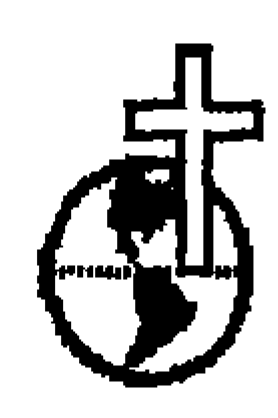
٢) صحيفتا ٩٢، ٩٣ من طبعه بيروت عام ١٨٦٤م



للأخري وأن يعتمدوا بالتى هى للاهوت ولا يعتمدوا بالتى للناسوت. ولكن إن كنا نعتمد بموت الرب، فهى طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت غير المتألم والجسد المتألم. لكى تكون صبغتنا هكذا فى اللّه وتكمْلُ بموت الرب»٠

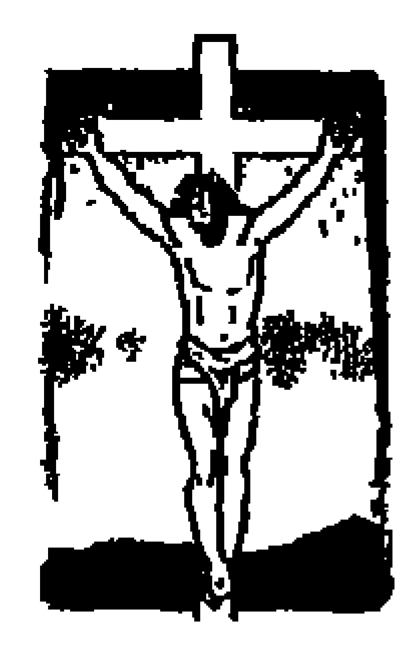
٤) وجاء فى كتاب نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم (مجلد ٢ص ١٩٩) مايتفق وعقيدة الكنيسة القبطية إذ قال:«إن أعمال المسيح بعضها إلهى محض كالعجائب، وبعضها بشرى محض، كالأكل والشرب والنوم، وبعضها إلهى وبشرى وهو مايشترك فى عمله الطبيعتان كعمل الفداء، ولا يخفى أن جميع تلك الأعمال هى أعمال المسيح أى أعمال شخص واحد، وأن أعمال المسيح هى أعمال شخص إلهى وإن اختصت بطبيعته البشرية»٠

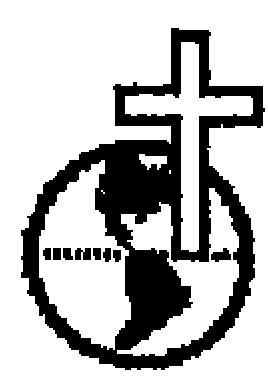
ولذلك يجوز أن تُعتبرَ طاعة المسيح وآلامه٠ وإن كانت ليست طاعة وآلام الطبيعة الإلهية – لكنها طاعة وآلام شخص إلهى، لأن نفس الإنسان لا يمكن أن تُجرَح ولا أن تُحرَق، ولكن متى أصاب الجسد شىء من ذلك نسبناه إلى الإنسان كله٠ وعلى هذا المبدأ نقول إن طاعة المسيح برّ الله، وإن دم المسيح دم إلهى، ومن ذلك



نتج الأستحقاق غير المحدود وفاعلية عمله.... وربما سُمِّي شخص المسيح بإحدى طبيعتيه ونُسبَ إليه من الأعمال ماهو خاص بالطبيعة الأخرى. فإنه في الكلام علي تسليمه نفسه للموت، سُمِّي الله وإبن الله ورب المجد، وسُمِّي أيضاً الإنسان وابن الإنسان ونُسِب إليه من الأعمال ماهو خاص بسلطانه الإلهى فقط، ومن ذلك القول: إن ابن الإنسان، ونُسب هو الذى يغفر الخطايا، ورب السبت ويقيم الموتى ويرسل ملائكته ليجمع جميع مختاريه».

ولعلنا قد أدركنا الآن، بعد كل هذه البراهين الواضحة،أن كنيستنا القبطية لم تحِد قيد أُنملَة عن إيمانها القويم، بل بقيت ثابتة على عقيدتها منادية «**بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد**» فاستحقت بذلك أن يسجل لها التاريخ وقفة مجد وصحيفة فخار!.





البحر الأسود

القسطنطينية

خلقيدونيا

نيقية

أنقرة

قيصرية

(آسيا الصغرى) أفسس

أنطاكية

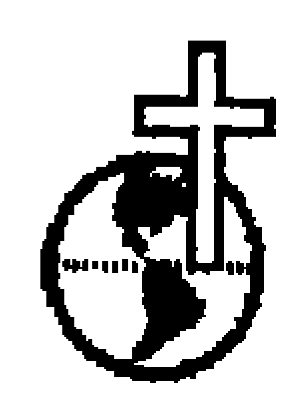
قبرص

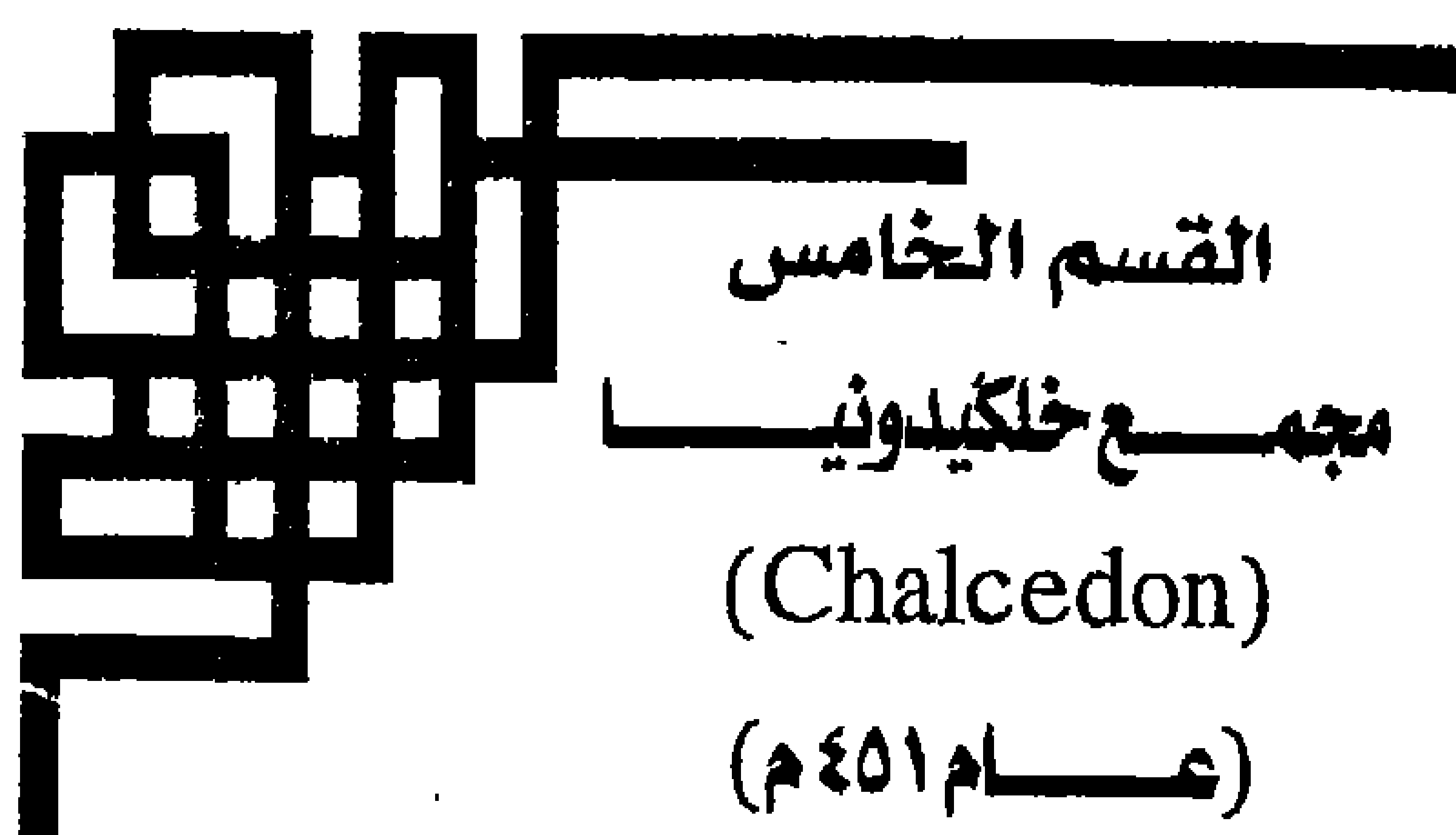
بحر الروم

(البحر المتوسط)

الإسكندرية

خريطة لمواقع مدن المجامع المسكونية





القسم الخامس

مجمـــع خلكيدونيـــا

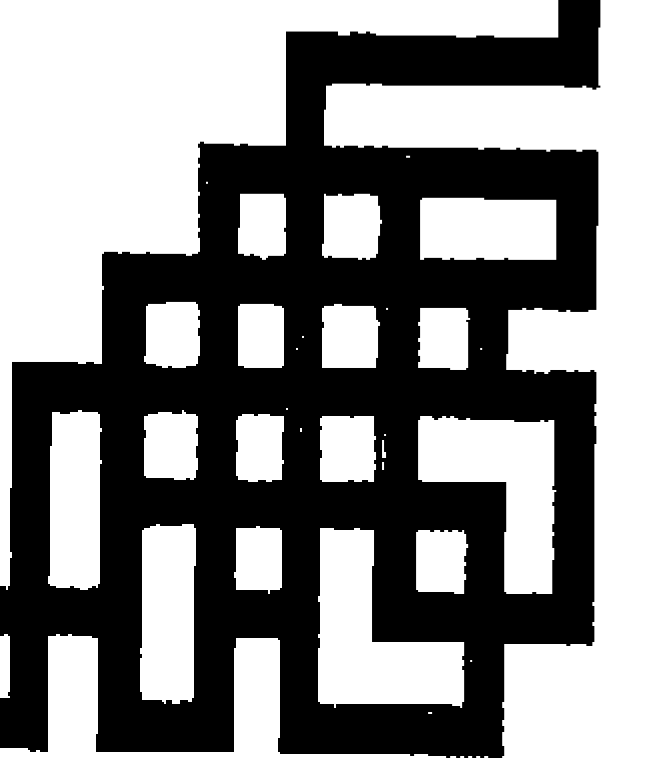
(Chalcedon)

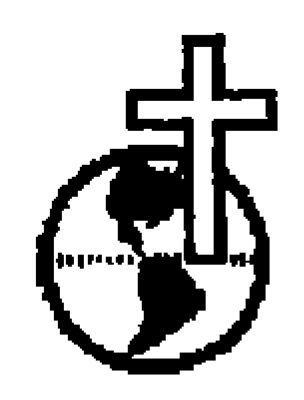
(عـــام ٤٥١م)

«إن الذى يشق كنيسة الله يعمل عملاً أفظع من عمل الذي يُنكر الإيمان، لأن الذى يُنكر الإيمان يُهلك نفسـاً واحدة فقط أعني نفسه، وأما الذى يشق الكنيسة فتُهلك نفوساً كثيرة، ولهذا السبب خطيئته أعظم من خطيئة الكافر!! » .

القديس يوحنا ذهبي الفم

(من مقالة ١١ على رسالة أفسس)





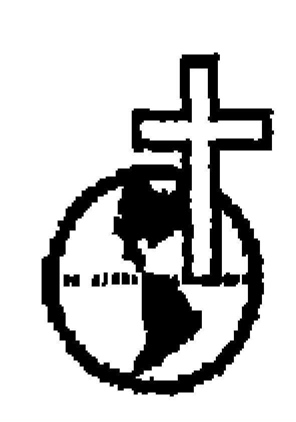
الفصل الأول

الحالة الدينية والمدنية قبل انعقاد المجمع

«صدقني يا أبني إن قلب الملك مركيان بخصوص الإيمان، أقذر من ثوبي هذا الذي تعترض عليه!.. واللباس الحقيقي، هو لباس المجد الذي يلبسنا إياه السيد يسوع المسيح!..»

(القديس مكاريوس أسقف ادكو)

عاد الأسقف يوليانوس والقس راناد والشماس إيلاروس نواب لاون أسقف روما في مجمع أفسس الثاني، حيث أطلعوه على مادار في المجمع. وقدموا له صورة من قراراته. ويبدو أن أسقف روما لاون، كان يأمل أن يأخذ المجمع برأيه الموافق لرأى فلابيانوس بطريرك القسطنطينية {الذى حرمه المجمع وأسقطة من رتبته مع ستة أساقفة، وعدهم مبتدعين لمناداتهم بطبيعتين في السيد المسيح بعد الأتحاد} والذى أوضحه في رسالته التي بعث

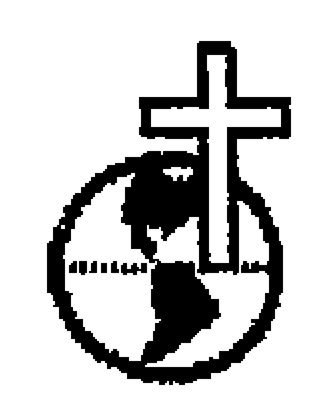


بهـا إلى البطريرك المذكـور. وتلك الرسـالة التى كـانت أقـوالهـا مـغايرة لأقوال آباء البيعة القديسين، كما كانت مخالفة لعقيدة الكنيسة لتفريقها بين طبيعتى السيد بعد الأتحاد.

إذ جاء فيها مانصه: «... ثم ولكي ما الطبيعة الغير قابلة التألم توفى دين جنسنا اتحدت مع الطبيعة القابلة الآلام حتي كحسب ما كان يطابق لمعالجة أسقامنا يسوع المسيح الإنسان الوسيط بين الله والناس يجعل له سبيلاً إلى الموت فى الطبيعة الواحدة، حيث كان منزهاً عن الموت فى الطبيعة الأخري،... ليس يوجد البتة فى هذا الحق كذب إذ هما موجودان بعضهما مع بعض، اتضاع الإنسان وعلو الألوهية.... كل واحدة من الصورتين تفعل مايختص بها بالإشتراك مع الأخرى، أعني الكلمة يفعل مايختص به الكلمة، واللحم يكمل مايختص باللحم (الجسد) فالواحد من المذكورين يُبهر بالمعجزات، والآخر ملّقي للإهانات!».

وإذ أدرك لاون أن المجمع لم يأخذ برسالته هذه بل لم تُقرأ فيه! غضب جداً وعدَّ ذلك إهانة كبيرة له!

ولم تمضِ فترة كبيرة حتي ذهب إليه بعض الأساقفة



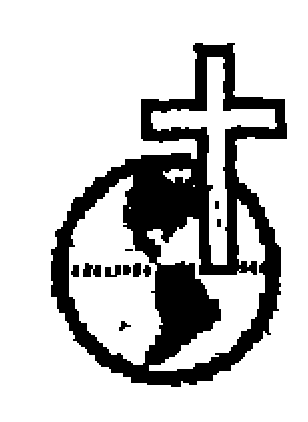
المقطوعين وبدأوا يحتجون أمامه على قرارات المجمع التى صدرت ضدهم، فوعدهم بالعمل على مساعدتهم وإرجاعهم إلى كراسيهم!..

أسقف روما يسعى لعقد مجمع فى كرسيه:

ويدأ أسقف روما يسعى ماأمكنه لعقد مجمع فى مقر كرسيه تُستأنف فيه الأحكام التى أصدرها مجمع أفسس الثانى، فكتب خطاباً للأمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير بهذا الخصوص، وإذ لم يجبه إلى طلبه، حرض فالنتيانوس أمبراطور الغرب لكى يكتب له لنفس الغرض، فبعث إليه برسالة قال فيها:

«إلى الأب المظفر الملك ثيؤدوسيوس من فالنتيانوس...» .

«لما وصلت إلى مدينة رومية وذهبت إلى كنيسة القديس بطرس الرسول وجاءني الحَبر الرومانى والأساقفة المجتمعون عنده من أقاليم مختلفة وقصدونى كى أكتب لحضرتكم عن الأمانة المسيحية التى تحفظ أنفس سائر المؤمنين، التى كما بلغني، ظهر بها اختلاف ونزاع شديد، وأن الواجب علينا أن نحرسها باجتهاد، كما سُلّمت الينا من آبائنا، ولأن أسقف القسطنطينية قد اشتكي من خصمه لدى صاحب الكرسى الرسولى (الروماني)

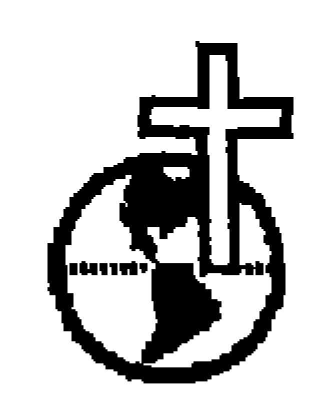


عن المنازعة التى صارت سابقاً، لذلك نرجو أن تأذنوا للأسقف المذكور (الرومانى) أن يجتمع فى بلاده مجمعاً عاماً من سائر أفاق المسكونة حتى يفحصوا من البدء عن هذه الدعوى، ويُشرّعُوا بالحق بغير منازعة وأختلاف، بما تقتضيه قواعد الأمانة الأرثوذكسية...».

وما أن تسلم الأمبراطور ثيؤدوسيوس هذه الرسالة حتى أرسل إليه قائلاً:

«من ثيؤدوسيوس إلى فالنتيانوس الغالب....».

«إعلم أننا قد تشكرنا للعظمة الإلهية على وصولكم رومية بالسلامة، وقد عرفنا من رسائل جلالتكم أنه بعد وصولكم لرومية تضرع إلى حضرتكم البطريرك لاون المكرم، أما من حيثية كلامه فانى أقول لكم إنه قد وصل إليه خبر كاف على التمام، ومنه صار يعلم أننا لا نبتعد البتة عن مواهب آبائنا وفرائض رؤسائنا، ثم من جهة أسرار البيعة التى قبلناها بالتبعية من آبائنا، فنحن لا نخالفها بل نحفظها بلا عيب، ولأننا قد علمنا أن بعض أناس قد أعثروا الكنائس المقدسة بأمر جديد ومهم للغاية، فلذلك أمرنا باجتماع مجمع أفسس مرة ثانية. أما من حيثية حُكم ذلك



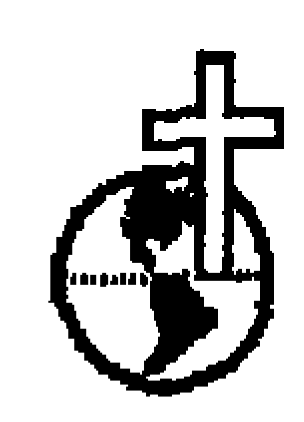
المجمع، فقد فُحِص الأمر بخبرة كافية وحق ثابت أمام الأساقفة المكرمين. إما الكهنة الغير مستحقين فقد طُردوا، والمتأهلون قُبلوا، ولم يبلغ إلى معرفتنا أنه حدث فى ذلك المجمع شيء البتة ضد اعتقاد الإيمان وقوانين العدل...».

«أما من جهة قضية فلابيانوس فنقول: لأنه من حكمه انكشف أمر جديد مهم ضد مذهب الأيمان، فهو قد نال ما استحقه ! وبعدما طُرد ذاك، أصبح فى البيعة صلحاً وسلاماً، وليس فيها إلا الحق المسيحى.».

ولم يهدأ لاون أسقف روما، بعد كل هذا، بل توسل إلى الملكة ابلاكيديا والدة فالنتيانوس لتقوم من جهتها بالكتابة لأمبراطور الشرق، عله يُنيله مطلبه. غير أن ثيؤدوسيوس قد بعث إليها برد مماثل لما كتبه لفالنتيانوس قيصر روما.

ودفعة ثالثة يحاول لاون أن ينال بُغيته، فيحمل الملكة ليسينية، فتكتب مرة أخرى للأمبراطور! ولكنه أدرك: أنه قد فشل في مسعاه، عندما وقف على رد الأمبراطور للملكة حيث جاء فيه:

«من ثيودسيوس إلى ليسينية الملكة المكرمة...»



«... أما من جهة فلابيانوس الذى كان أسقفاً، فنحن نعلمك أننا قد أرسلنا خبراً صحيحاً إلى لاون الأسقف المكرم، ونخبركِ أيضاً بهذه الرسالة أن فلابيانوس المذكور قد سقط من وظيفته بُحكم مقدس، وذلك لكى يُنزَع كل شك (عثرة) وخصومة عن البيعة المقدسة...»(١)

ويقول الفونسيوس ليكورى فى كتابه«تاريخ الهرطقات» إن ثيؤدْسيوس بعث برسالة إلى لاون أسقف روما ذاكراً: إن مجمع أفسس قد فحص كل شيء بمقتضى رسوم العدل والإيمان، فأُقصى فيه غير المستحقين من رجال الكهنوت، وأُعيدَ المستحقون إلى درجاتهم»(٢) .

وهكذا ضعفت كافة الوسائل التى حاول بها لاون أن يحمل امبراطور الشرق ثيؤدْسيوس على التصريح له بعقد مجمع فى كرسيه!. إذ كان الأمبراطور يُدرك تماماً أن مجمع أفسس الثانى قد أتم كل ماأوكل إليه من أمور بأمانةٍ ودقةٍ كاملتين.

---

١) راجع كتاب تاريخ مجمع خلكيدونية باب ١٧: ٦٢ -٦٧.

٢) راجع كتاب تاريخ الهرطقات رأس ٥ ج ٤ ف ١ ص ٢٥٦ عدد ٦١.



وقال المؤرخ ثيؤفانيس:«كان البابا يتوسل بدموع وعبرات إلى فالنتيانوس الثالث قيصر الغرب وزجته أفدوكسيا وأمه أبلاكيديا أن يكتبوا للقيصر ثيؤدوسيوس ويحملوه على إجابة طلبه، فكتبو له ، ولكن ثيؤدوسيوس أجابهم بقوله: «إن ماجرى يكفى، وهو حسن، ولا حاجة إلى عقد مجمع آخر!! »(١).

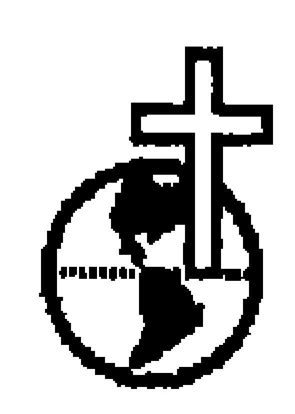
البابا ديوسقورس يحاكم لاون!

سمع ديوسقورس وهو فى مقر كرسبيه الإسكندرية بما بذله أسقف روما من محاولات لعقد مجمع لديه كما وصل إليه رفضه لقوانين مجمع أفسس الثانى وقراراته. وزاد الطين بلة، أن لاون قد أفسح صدره للمبتدعين من أتباع نسطور الذين جردتهم المجامع المسكونية من رتبهم الكهنوتية لانحرافهم عن القواعد الإيمانية.

وإذ أعلن لاون أنه متمسك كل التمسك بأقواله التى دونها فى رسائله التى بعث بها إلى فلابيانوس، تلك الرسائل التى تُثبت فى جلاء لا غموض فيه أنه (لاون) قد تردى فيما تردى فيه فلابيانوس، وحُرم من أجله، لهذا لم يرَ ديوسقورس بُداً من أن

---

٢) تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٢٣٥.



يعقد مجمعاً من أساقفته فى مدينة الإسكندرية. إنتهى إلى أصدار قراره بحرم لاون، عندما تأكد من ثبوت الأسباب السابقة مجتمعة.

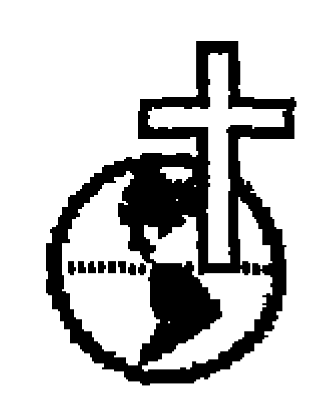
وهكذا سكنت العاصفة ولكن إلى حين! وهدأ الحال، ولكن إلى أمدٍ ليس ببعيد.

موت الأمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير:

تقدم الأمبراطور ثيؤدوسيوس فى أيامه. ولم يخلف نسلاً يتولى المُلك بعده. إذ لم يكن له سوى أخت نذرت الرهبنة. فضلاً عن أن تقاليد الدولة يومئذ لم تكن لتسمح للنساء باعتلاء العرش البيزنطي.

ويذكر التاريخ أنه بعث برسل من قِبلَه إلى برية شيهيت حيث قابلوا الآباء الرهبان القديسين وقالوا لهم إن الأمبراطور قد بعث بهم ليطلبوا من شيوخ البرية القديسين ليصلوا لله ليرزقه نسلاً، ولكن شيخاً قديساً ناسكاً يدعى أبيروه وقف أمام رسل الملك وقال لهم: «إن الله تعالى لم يُرِد أن يرزقه نسلاً لئلاً يشتركوا مع الهراطقة!»(١) .

١) عن ميمر التسعة والأربعين شهيداً شيوخ شيهيت - مخطوط.



وهكذا انتقل ثيؤدوسيوس الأمبراطور عام ٤٥٠م دون أن يترك وريثاً للعرش سوى أخته بوليكاريا، وبموته خسر الأب ديوسقورس سنداً عظيماً ومدافعاً أميناً عن الارثوذكسية ..

مركيان وبوليكاريا يقاومان ديوسقورس :

ومالت بوليكاريا إلى المُلْك، فنكثت عهد البتولية ونزعت مسوحها! وتزوجت بمركيان أحد قواد جيش أخيها!.

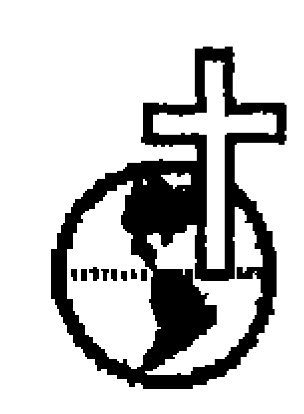
قال ابن العبري:«مركيانوس قيصر ملك سبع سنين وتزوج بوليكاريا أخت ثيؤدوسيوس الصغير التى كانت راهبة، لأن جماعة من الأساقفة المرائين أفتوها فى أمر الزواج[1]».

وأصبح مركيان بعد زواجه هذا يعتبر امبراطور الشرق، وكان يميل لمبدأ نسطور المبتدع، كما كانت زوجته بوليكاريا مشهورة بالمكر والدهاء، وميّالة للغطرسة والكبرياء!

وسُرّ لاون أسقف روما بهذا التغير المفاجىء فى الحالة السياسية فى إمبراطورية الشرق.

وأعاد مساعيه، بأن بعث بالبعض كنواب عنه حيث قابلوا

١) كتاب تاريخ مختصر الدول المطبوع بمطبعة اليسوعيين بمعرفة الأب أنطون طالحانى اليسوعى عام ١٨٩٠م ص١٤٥ .

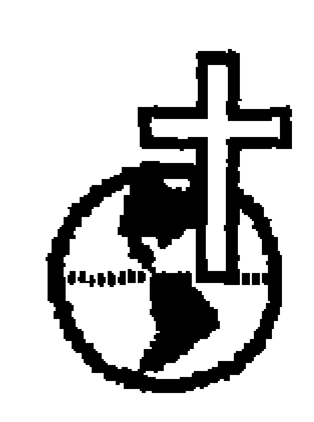


مركيان كما قابلوا زوجته، طالبين عقد مجمع جديد. وإذ كانت الملكة ترغب في إضعاف البابا ديوسقورس والحد من نفوذه وسطوته وعدتهم خيراً!

قالت مدام بوتشر في الجزء الثانى من كتابها:«تاريخ الأمة القبطية وكنيستها» (ص٥١) مانصه:«كانت هذه الأمبراطورة ميالة إلى فلابيانوس ومبدئه، ولكن ميلها هذا لم يكن يُذكَر شيئاً بالنسبة إلى الأحوال السياسية التى تجلت أمام عينيها وكانت مغمضة على أخيها ثيؤدوسيوس. ذلك أنها رأت الحد الذى وصل إليه بابا الإسكندرية من القوة ومنعة الجانب وأن اتساع سلطته هذه قد تضر بمملكتها ضرراً لا يجب السكوت عليه. إذ لا يبعد أن تضيع مصر من يدها وهى أخصب أراضى سلطنتها وأوفرها ثروة وأعظمها غنى وأكثرها رضوخاً».

فلذلك سلكت بوليكاريا مع زوجها مسلك دُهاة السياسة، فلم تسمح لأمبراطور رومية بالتدخل فى أمر بطاركتها ومجامعها. كما أنها اتخذت مسألة الأختلافات المذهبية والأنشقاقات الكنسية آلة حادة تقاتل بها خصومها!»

وكتب مركيان بإيعاز زوجته بوليكاريا إلى لاون أسقف رومية يقول: «إني مستعد لعقد المجمع في القسطنطينية، وإذا كانت



مشقة السفر تحول دون حضورك فأنا أقوم مقامك لرئاسة المجمع»(١).

في القسطنطينية:

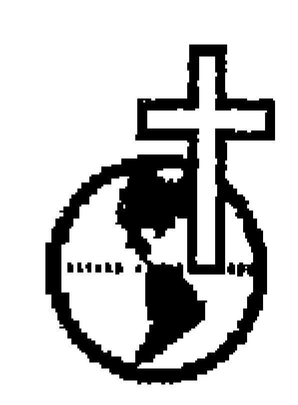
وعقد الأمبراطور مركيان مجمعاً في قصره في القسطنطينية، دعا إليه كثير من الأساقفة سيما النسطوريين! كما بعث برسالة للبابا ديوسقورس ليحضر هذا المجمع.

وحضر ديوسقورس، ودُهِش كثيراً عندما رأى هذا العدد الكبير من الأساقفة مجتمعين بلا سبب، ولامبرر!وإذ قيل له بأن الملك يهدف من وراء ذلك إلى توضيح الإيمان، قال في جرأته المعهودة:«إن الإيمان لفي غاية الكمال، لا يعوزه شيء من الإيضاح، وهو مقرر ومُثبت من الآباء، أمثال أثناسيوس وكيرلس وغيرهم!».

ولقد حاول البعض أن يستملوه ليوافق على رسالة لاون التى تُثبت الطبيعتين بعد الأتحاد، وعندئذ قال:«إن اعتقاد البيعة ينبغى ألاّ يُزاد عليه أو يُنقص منه. فالمسيح واحد بالطبع والجوهر والفعل والمشيئة كما كرز الآباء!».

---

(١) تاريخ المجامع للمنبجى.



ثم بدأ يشرح لهم صحة هذه العقيدة وخطأ تعليمهم الجديد الذى يهدفون إلى تثبيته، موضحاً كلماته بكثير من الأمثلة. وما أحسن ماقاله لهم :«إسمعوا ماذا قال القديس كيرلس: «إن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو كاتحاد النار بالحديد، فإذا ضُرِب الحديد بالمطرقة، فإن الحديد هو الذي يتأثر ولكن النار لا يلحقها شيء!».

وبعدما انتهى من خطابه، اقتنع أغلب الأساقفة برأيه، فلم يجد مركيان بُداً من أن يرفع الجلسة إلى موعد آخر...

المجمع فى خلكيدونية:

وعاد الأمبراطور مركيان فبحث مع الأساقفة المقطوعين وزجته بوليكاريا فى أمر ديوسقورس وكيفية التغلُب عليه، وأخيراً استقر رأيهم على عقد المجمع فى مكان بعيد عن العاصمة على أن لا يناقشوا ديوسقورس عندئذ فى أمر الإيمان إذ قد ثبت لهم أنه قوى الحُجة - بل يقتصروا على البحث فى أمر الأساقفة المقطوعين ورسالة لاون!

وهكذا صدرت الأوامر الملكية بعقد المجمع فى مدينة خلكيدونية.



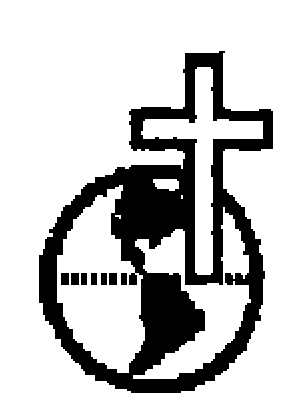
الفصل الثانى

جلسات المجمع وقراراته

> «لو أن جلالة مولاي الملك مركيان، أمرنى لسُقتُ هذه الجماعة (أى الذين حضروا المجمع الخلكيدونى) إلى عبادة الأوثان بهذه العصاة التي بيدي، قبل أن تصل إليهم، إلا ديوسقورس».
>
> **(الأسقف نيكتاس)**

رأينا فيما مضى، كيف كانت تنعقد المجامع المسكونية، التى لم تكن لتهدف إلا إلى تثبيت الإيمان وتدعيمه، مع مناقشة مايظهر من التعاليم الغريبة وإثبات بطلانها...

ولكننا نرى أنفسنا الآن، أمام مجمع عجيب غريب! نسى جُل أعضائه أو تناسوا أنهم رعاة المسيح، فانساقوا وراء أضاليل روما، ورغبوا فى تملُّق الملك والملكة، ولو كان ذلك على حساب الإيمان! **وهكذا انعقد مجمع خلكيدونية وانفض دون أن يورث الكنيسة شيئاً سوى الإنقسام والأحزان!**



مدينة خلكيدونية:

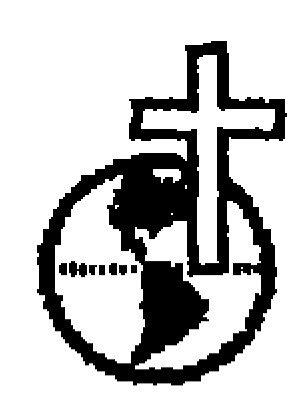
اختار الإمبراطور لهذا المجمع، مدينة تدعى خلكيدوني Chalcedon وهى إحدى مدن آسيا الصُغرى القديمة، بنيت فى نهاية الجيل السابع قبل الميلاد {حوالى عام ٦٨٥ ق.م} على ساحل بيثينية تجاه الموضع الذى بنيت فيه بعدئذ مدينة القسطنطينية.

ويبدو أنها قد تخربت فى القرن الثانى قبل الميلاد، فإنتقل سكانها إلى مدينة نيقوميدية، غير أن يوستينيانوس عمل على إعادة بنائها وتعميرها، وهكذا بدأت تنمو وتزدهر إلى أن تخرّبت ثانيةً أيام الفتح العثمانى.. ويقال إن فى موضعها الآن قرية صغيرة بإسم «قاضى قرة».

وفود الأساقفة:

اختلف المؤرخون فى عدد آباء هذا المجمع، فمن قائل أنهم كانوا ٣٣٠ أسقفاً، ومنهم من قائل أنهم بلغوا ٦٣٠ أسقفاً!

ومن الآباء المشهورين الذين حضروه الأنبا ديوسقورس البابا الإسكندرى مع بعض أساقفته، ويوبيناليوس أسقف



أورشليم ومكسيموس بطريرك أنطاكية، وأناطوليوس أسقف القسطنطينية، كما أوفد لاون أسقف روما ثلاثة نواب هم الأسقفان باسكاسينوس ولوشنسيوس والقس بونيفاسيوس.

مركيان وبوليكارية يحضران المجمع:

ولقد حرص الملك مركيان وزوجته بوليكارية على حضور المجمع ومعهما عدد كبير من أفراد حاشيتهما، وكثير من الضباط والجنود بملابسهم الرسمية.

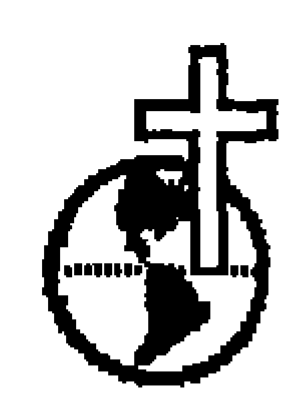
كما حضر القضاة الذين اختيروا لادارة جلسات المجمع.

الجلسة الأولى:

عُقِدت الجلسة الأولى في اليوم الثامن من تشرين الأول (أكتوبر) عام ٤٥١م(١) في كنيسة القديسة أوفيمية.

---

١) أثبت افتتاح المجمع في هذا التاريخ أغلب المؤرخين (راجع لومند اليسوعي ج١ ص ٢٥٨، تاريخ سوريا ج٤ ص١٠٤، تاريخ الإنشقاق ج١ ص٢٢٦) ولكن كتاب تاريخ مجمع خلكيونية يقول إن المجمع قد أفتتح في اليوم السادس لا الثامن!.



ثم وقف الملك مركيان وألقى خطابه التقليدى الذى أوضح فيه أن غايته من حضور المجمع هو حفظ النظام[1].

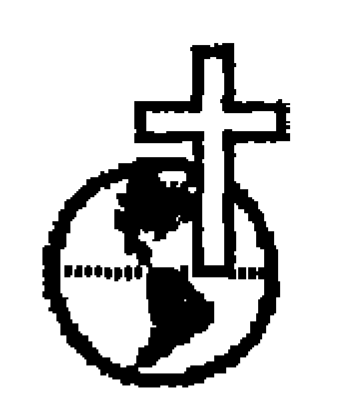
وجلس الأساقفة كلٍ فى مكانه. فكنت ترى فى الناحية اليُمنى، البابا ديوسقورس الأسكندرى، ثم أسقف أورشليم وأسقف كورنثية ثم بقية أساقفة مصر وفلسطين. وفى الناحية اليُسرى، جلس نواب أسقف روما وأسقفَّى أنطاكية والقسطنطينية ثم بقية أساقفة المشرق.

أما القضاة فقد وُضِعت كراسيهم فى الوسط...

ولم يكد يبدأ هؤلاء القضاة فى إخراج جدول أعمال المجمع من حقائبهم حتى وقف باسكاسينوس نائب أسقف روما فى الوسط، طالباً عدم جلوس البابا ديوسقورس الأسكندرى فى مقدمة الآباء بدعوى أنه قد جيء به إلى هذا المكان ليُدان!

فسأله القضاة عما فعله الأب ديوسقورس مخالفاً للقوانين، فقال: «لقد عقد مجمع أفسس الثانى بدون أذن كرسى روما!.» وإذ أدرك القضاة أن هذه الإدعاءات لا قيمة لها، رفضوا مطلب نائب

١) خلاصة تاريخ الكنيسة للأب لومند اليسوعى، ج١ ص٢٥٨.

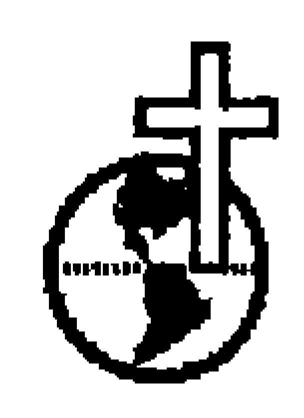


أسقف روما وزجروه بقولهم له :«إن كنت تُقام قاضٍ لا يصح لك أن تُدَعي كالمشتكى!» وعندئذ لاذ باسكاسينوس بالصمت!(١)

وقدم أوسابيوس أسقف دوريلاوس {الذى عزله مجمع أفسس الثانى مع فلابيانوس لتشبثهما بالقول بطبيعتين فى السيد بعد الأتحاد} شكوى مضمونها أن ديوسقورس قد حكم عليه وعلى زميله فلابيانوس أسقف القسطنطينية ظلماً، وهنا أوضح البابا ديوسقورس أن الحق سيبدو واضحاً عند قراءة أعمال مجمع أفسس الثانى، إذ دُوِّنت فيه كل الأمور بوضوح تام، فوافق القضاة على ذلك.

ولم تمضِ فترة حتى دخل تاودريتوس النسطورى المقطوع أسقف قورش إلى المجمع، طالباً الأنضمام إلى أعضائه بدعوى إعادته إلى كرسيه بأمر لاون أسقف روما! وقد أحدث هذا العمل شغباً كبيراً بين الآباء، إذ بينما رفضه الأساقفة المستقيمى الرأى أيده الباقون - وكانوا أكثرية فى المجمع - وقد علت الأصوات من الفريقين،المؤيد والمعارض، فوقف أحد القضاة وقال:«هذه

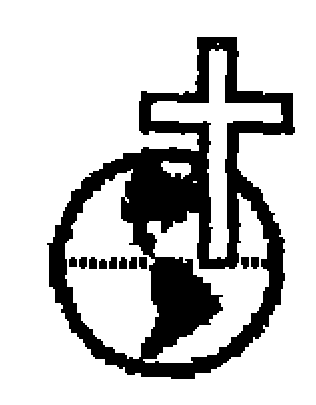
١) كتاب تاريخ مجمع خلكيدونية باب ١٨: ٨٠ - ٨٣،تاريخ الهرطقات، رأس ٥ جزء ٤، عدد ٦٣، ص ٢٥٦ .



الأصوات بسبب صراخ الشعب، ولا تفيد نفعاً لأحد الفريقين، فيجب عليكم أن تكونوا قدوة فى الهدوء والسكينة، ونحن نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل البهتان. والدليل عوضاً عن القول. وأميلوا آذانكم لسماع مايُتلى عليكم ».

وعاد الهدوء إلى المجمع ثانية* ، فاستأنف الكاتب قراءة بقية أعمال مجمع أفسس الثانى، وعندما انتهى من تلاوة رسائل الأمبراطور الآمرة بانعقاد المجمع قال البابا ديوسقورس:«يتضح مما تُلى على مسامعكم أن الملك ثيؤدوسيوس السعيد الذكر، الذى أمر بعقد مجمع أفسس الثانى، لم يوكل الأمر إلىَّ وحدى، بل أشرك معى فى القضاء الأسقفين التقيين يوبيناليوس وتلاسيوس، فلماذا يُنسب إلىَّ وحدى ماتم فى أفسس؟ علماً بأننا متساوون فى السلطان وأن ماأصدره مجمعنا من قرارات، قد وافق عليه جميع الأساقفة ووقعوه بأيديهم».

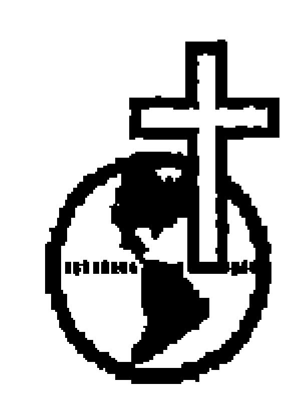
وهنا أدعى أسقف أفسس مع بعض أساقفة الشرق {ممن حضروا مجمع أفسس الثانى} قائلين :«إننا لم نوافق على قرارات المجمع السالف إلا مُرغمين! ولم نحكم على فلابيانوس من تلقاء أنفسنا... بل وضعنا إمضاءاتنا على قرطاس أبيض (ورقة بدون كلام) ونحن محوطون بالجنود شاهرى السلاح!.».



فجاوبهم أساقفة مصر قائلين :«إن جندى المسيح لا يرهب القوة التى لا تُخيف غير الجبان! أضرموا النار ونحن نُعلمّكم كيف يكون الأستشهاد!! ».

واستأنف الكاتب القراءة حتى وصل إلى ذكر رسالة لاون أسقف روما. فسأل القضاة البابا ديوسقورس عن سبب عدم قراءة هذه الرسالة فقال:«لقد أمرت بقراءتها مرتين!» وسُئل أسقف أورشليم عن الأمر عينه فقال:«فى الوقت الذى أمر فيه الأب ديوسقورس بتلاوة هذه الرسالة، قدم إلينا كبير كتبة المجمع رسائل الإمبراطور ثيؤدوسيوس فتُليت كلها، أما رسالة الأسقف لاون فلم تقدم إلينا بعدئذ ولم يُذكّرنا بها أحد».

وقرأ الكاتب اعتراف أوطاخى الذى قدمه لمجمع أفسس الثاني ومصادقة الأساقفة على أثوذكسيته، ومن بينهم باسيليوس أسقف سالوقيا، غير أن هذا الأسقف وقف وأنكر مصادقته على اعتراف أوطاخى، فتألم البابا ديوسقورس لكذب هذا الأسقف وقال: «لست أدرى ماالذى يدعو باسيليوس إلى الإنكار وهو يعلم أنه إنما صادَق على تعليم صحيح قُدِّم إلينا؟!» وبعد أن صمت برهة عاد فقال:«**إذا كان أوطاخى قد جحد العقيدة**



الصحيحة (التى دوّنها فى رسالته) ونادى بتعليم غريب، فهو لايستحق العقاب فقط بل هو جدير بأن يُحرق بالنار.. أما أنا فلا أتزعزع قيد أُنملة عن إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية.... إننى لا أهتم إلا بخلاص نفسى وبالمحافظة على العقيدة الصحيحة والأيمان المستقيم!».

واستأنف القارىء قراءته، فسرد مانادى به باسيليوس السالوقى هذا فى مجمع أفسس إذ قال:«إننى أحرم كل من يفصل المسيح الواحد - بعد اتحاد لاهوته بناسوته - إلى طبيعتين أو أقنومين أو جوهرين، ولا يسجد لطبيعة واحدة هى طبيعة الإبن الوحيد المتجسد» وعاد الأسقف فأنكر اعترافه بهذا القول أيضا!

وعندئذ سأله القضاة عن سبب حرمه لفلابيانوس إن كان يعتقد باعتقاده، فقال: «إن حُكمى كان لاحقاً لحُكم مائة وعشرين أو مائة وثلاثين أسقفاً، وقد اضطررت إلى مجاراتهم!» فنظر إليه الأب ديوسقورس وقال له:«من فمك تتبرر ومن فمك تُدان!، لقد استحييت من الناس فتجاوزت حدود الصلاح وأهنت الإيمان، ألا تعلم أنه لا حياء فى الحق، ولا رياء فى الدين؟!».

ولعل الأساقفة المُدعِين زوراً وبُهتاناً على الأب ديوسقورس



قد تأثروا من تأنيبه لهم، أو ضعفوا أمام قوة حججه وبراهينه، فلم يجدوا بُداً من التسليم! فوقفوا في المجمع وقالوا: «أخطانا ونطلب الغفران!»،

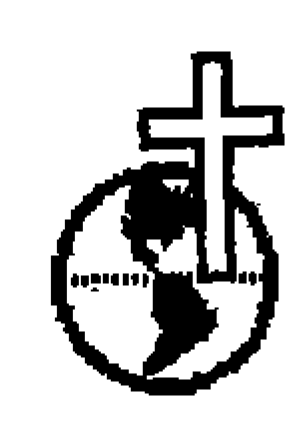
ودُهش القضاة لهذا التغيير المفاجيء في موقف هؤلاء، فسألوهم عما حدا بهم إلى المجاهرة بادعاءاتهم الباطلة السابقة، فقالوا للمرة الثانية:«أخطأنا ونطلب الغفران!» وعندئذٍ قرر المجمع رفع الجلسة على تُستأنف بعد خمسة أيام(١).

الجلسة الثانية:

مما سبق يتبيَّن لنا كَيف كان الأب ديوسقورس يُفحِم أولئك المتشكين عليه زوراً وبهتانا، ببراهينه الدامغة وحججه الشديدة!. ولعل في ذلك ماجعل نواب روما يحقدون عليه، ويفكرون في حيلة للإيقاع به، وقد هداهم تفكيرهم - بعد أن تشاوروا مع الأساقفة الخلكيدونيين - إلى عقد جلسة سرية سريعة، لا يحضرها القضاة ولا الأب ديوسقورس، كي يخلو لهم الجو فيتمكنون من إصدار الأحكام التي توافق أغراضهم الدنيئة!.

وهكذا عُقدت الجلسة الثانية، لهذا المجمع الزائف، في اليوم

(١) تاريخ مجمع خلكيدونية للكاثوليك باب ٢٧: ١٦٣ - ١٧١.



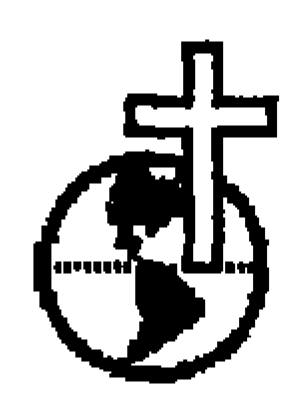
الثالث لانتهاء الجلسة الأولى، أى قبل الموعد الذى حدده القضاة بيومين كاملين!

وكانت هذه الجلسة النفاقية قاصرة على الأساقفة الشرقيين ومندبو أسقف روما، أما أساقفة مصر والقضاة فلم يُدعوا للحضور! ولكي يتأكدوا من عدم استطاعة البابا ديوسقورس حضور جلستهم هذه، وضعوا حراساً على باب بيته كي يمنعوه من الخروج إذا حاول ذلك!.

والعجب فى أمر هؤلاء الأساقفة، أنهم بعد أن عقدوا جلستهم أرسلوا فى استدعاء ديوسقورس إليها هم الذين أمروا الحراس كى يمنعوه من الخروج!

وإذ جاءه رسل المجمع يطلبون حضوره قال لهم:«إن الحراس يمنعونى من الخروج» وقال أيضاً:«لقد نظر المجمع والقضاة فى أمرى، فما الذى يريده المجمع الآن؟! هل يقصد إبطال ماحدث بحضور القضاة؟ إننى لا أحضر هذا المجمع إلا إذا حضر القضاة!» وعندما أرسلوا يستدعونه مرة ثانية، أصر على رأيه السابق فى عدم الذهاب إلا بحضور القضاة[1].

١) راجع كتاب تاريخ مجمع خلكيدون باب ٢٨ : ١٧١ - ١٧٦



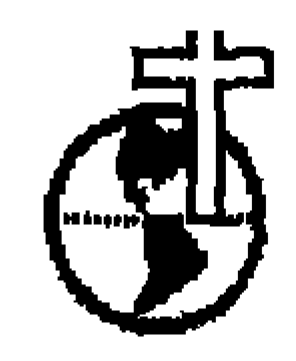
الحُكم الساقط!

وأخيراً، أصدر هذا النفر من الأساقفة حكمه المُغرِض على الأب ديوسقورس فى غيابه، وغياب أساقفته وفى غياب القضاة ونواب الملك!

وقالوا فى حكمهم الزائف مانصه:«قد ظهرت وتحققت الأمور التي صنعها ديوسقورس..... فقد قبل أوطاخي بخلاف ما تأمر به القوانين..... واستخلص لذاته الولاية قهراً..... ولم يأذن أن تقرأ رسالة لاون المرسلة إلى فلابيانوس.... وقد زاد إثماً على سيئاته الأولى فيما تجاسر وحرم لاون الحبر الأقدس صاحب كرسى كنيسة رومية... وقد دعاه المجمع ثلاث دفعات بموجب القوانين الكنسية، فخالف أمره وأبى السير إليه.... فلأجل ذلك لاون الحبر الأقدس بواسطتنا.... قد نزع عنه درجة الأسقفية وعزله من خدمة الكهنوت. فالآن، هذا المجمع المقدس يحكم فى دعوى ديوسقورس بما رسمته القوانين!!»(١)

وثمة نظرة بسيطة لحكم المجمع هذا كافية لأن تُثبِت لنا سقوطه وبطلانه للأسباب الآتية:

(١) راجع كتاب تاريخ مجمع خلكيدون باب ٢٨:١٨٧، ١٨٨



١) صدور الحكم فى جلسة سرية غير قانونية لإنعقادها فى موعد مخالف لما نص عليه المجمع فى جلسته الأولى.

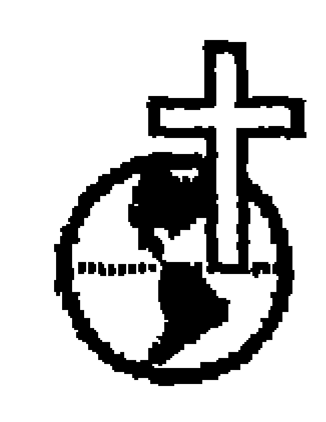
٢) صدور الحكم عن هيئة لا تملك إصداره ولا تمثل مجمعاً مسكونياً أو عاماً لعدم حضور الأساقفة الأرثوذكسيين ولعدم حضور القضاة ونواب الملك أيضاً.

٣) صدور الحكم غيابياً رغم وجود المدعى عليه قريباً من مقر الجلسة.

٤) جاء الحكم مشتملاً على بعض تهم موجهة للبابا ديوسقورس، ثبتت براءته منها فى الجلسة الأولى بحضور المجمع فى كامل هيئته إذ أعترف المُدعون قائلين«أخطأنا ونطلب الغفران!» .

٥) صدور الحكم تحت ضغط وتهديد نواب الأسقف الرومانى لبقية الأساقفة الحاضرين.

٦) لم يَدّعِ الأساقفة قط، لا فى أقوالهم ولا فى حكمهم ولا فى تهمهم المغرضة، أن البابا ديوسقورس قد انحرف عن التعليم القويم أو ابتعد عن الإيمان المستقيم، وتلك هى المسألة الوحيدة



التى تجيز الحُكم على الأساقفة بالقطع!. ومادامـوا قد أثبتـوا براءاة البابا ديوسقورس منها، فحكمهم ساقط بالبداهة!!

البابا ديوسقورس يُثبت التعليم السليم !

أظهر البابا ديوسقورس رغبته فى قراءة عقيدة الخلكيدونيين الإيمانية، فبعثوا بها إليه فتلاها أمام مجموعة من الأساقفة، وإذ وجدها مخالفة لأقوال البيعة المقدسة كتب على هامش الكتاب المدونة فيه ما يُظهر فسادها! كما كتب يحرم كل من يتجاسر على تغيير العقيدة الأرثوذكسية الصحيحة أو من يتلاعب بقوانين المجامع المسكونية!(١) .

وما آن تسلم الخلكيدونيون كتاب أمانتهم، ورأوا فيه حرم ديوسقورس لها، حتى أسرعوا إلى الملك يعلمونه بما فعله هذا الأب، فاغتاظ مركيان وعزم على قتله، ولكنه إذ أدرك خطورة ذلك عدل عنه. واكتفى بنفيه إلى جزيرة غاغرا.

---

(١) راجع كتاب الخريدة النفيسة ج ١ص٥٢٩، تاريخ الكنيسة القبطية للقس منسى يوحنا ص ٣١٠ .



الفصل الثالث

براءة البابا ديوسقورس

«لم يجـاهد أحـد من هؤلاء (الذين حـضـروا في مـجـمع خلكيدونية) في سبيل المحافظة على الأمانة الصحيحة إلا هذا الأنسان وحده (أى ديوسقورس)»

(بطرس الروسي)

سجلنا في الفصل السابق، كل ماحدث في المجمع الخلكيدوني، بحسب ما جاء في كتاب:«تاريخ مجمع خلكيدونية» الذي وضعه اللاتين وطبعوه برومية! وفي هذا الفصل نريد أن نناقش أعمال هذا المجمع ليتضح لنا بأكثر جلاء براءة البابا ديوسقورس، وانحراف المجمع في عقيدته وفي أعماله أيضاً!..

لقد اجتهد نواب أسقف روما وأتباعهم من الأساقفة، في أن يكيلوا للآب ديوسقورس التهمة تلو الأخرى، ظانين أن في ذلك مايُضعفه أو يخُيفة، ولكنه على النقيض كل يجاوبهم بكل جرأة وشجاعة، وبدون خوف، بل كان يدفع اعتراضاتهم وأكاذيبهم



بالبراهين الصادقة القوية التى لم يقووا على الثبات أمامها، فخرجوا من الميدان يجرون وراءهم أذيال الخيبة والفشل!!

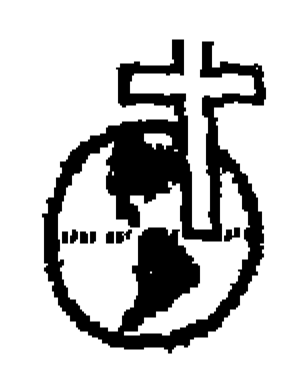
الأدعاء الأول:

إن أول اتهام ألصقه نواب الأسقف الرومانى بالبابا ديوسقورس هو انفراده بعقد مجمع أفسس الثانى ورئاسته، ولقد طلبوا بناء على ذلك خروج ديوسقورس من المجمع! لأنه عقد مجمعاً من تلقاء ذاته وبدون علم أسقفهم!

والحق إننى لست أدرى كيف يقدمون هذا الإدعاء الذى تكذبه الحقيقة والواقع!

يقولون إن أسقف روما لم يكن لديه علم بعقد ذلك المجمع، فإذا كان قولهم صحيحاً، فمن الذى بعث بنواب روما الثلاثة: وهم الأسقف يوليانوس، والقس راناد، والشماس إيلاروس؟! وبالنيابه عن مَنْ حضر هؤلاء فى مجمع أفسس الثانى!؟ وإذا كان لاون الأسقف الرومانى لم يُحِط علماً بعقد المجمع، فمن ذا الذى كتب رسالة لاون التى يطلبون قراءتها؟!

على أن ذلك المجمع الذى يطعنون فى صحته، لو عُقِد بغير علم أسقف روما، لما قلل هذا الأمر من أهميته، ذلك لأنه يحمل كل



الشروط الواجب توافـرها فى المجامع العامة القانونية، وعليـه فلا سبيل لأسقف روما ولا لغيره للإعتراض على صحته!

ونحن حينما نبحث عمن دعا لعقد مجمع أفسس الثانى، لا نجده البابا ديوسقورس ولا أحد أتباعه، بل الملك نفسه الذى كان له الحق فى الدعوة لأنعقاد المجامع العامة لحل مشاكل الكنيسة، ونص المرسوم الملكى الصادر لانعقاد هذا المجمع، مدون فى كتب المدعين أنفسهم!(١) .

شعـر القضاة بكل هذا، فلم يلتفتوا لأقوال نواب الأسقف الرومانى، بل لم يسعهم إلا أن يزجروا ذلك المدعى قائلين له:«إن كنت بمقام قاض، فلا يصح لك أن تُدَعي كالمشتكى!»

أمـا قـولهم بأن ديوسقـورس قـد انفـرد برئاسـة المجـمع الأفسسى الثانى، فهذا إدعاء باطل أيضاً، إذ أن الملك قد ولى معه يوبيناليوس أسقف أورشليم وتلاسيوس القيصرى، كما هو ثابت من المراسيم الملكية (٢).

ولعل فى ذلك مايكفى لسقوط هذه الدعوى.

---

(١) تاريخ مجمع خلكيدونية باب ١٨: ٨٤ و٨٥.

(٢) تاريخ مجمع خلكيدونية باب ١٨: ٨٩ .

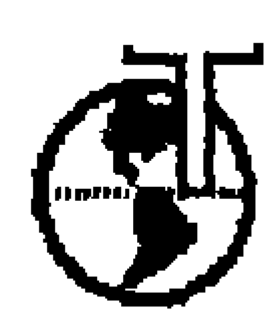


الأدعاء الثانى:

ادعوا على الأب ديوسقورس ثانية قائلين، أنهم فى مجمع أفسس الثانى قد وقعوا على ورقة بيضاء!.. وتلك تهمة هزيلة باطلة، تنقضها أعمال ذلك المجمع نفسه! وكأنى بالله أراد أن يفضح مؤامراتهم ويكشف كذبهم، إذ بينما صرخ الخلكيدونيون معلنين أنهم «وقعوا على ورقة بيضاء» قام أحدهم وقال:«إنهم لم يدعونى أخرج من مكتبة الكنيسة إلا بعد أن ثبت صحة القضية المكتوبة من ديوسقورس وبوبيناليوس وتلاسيوس!»، وفى هذا التناقض الغريب أبلغ دليل على كذب إدعائهم!

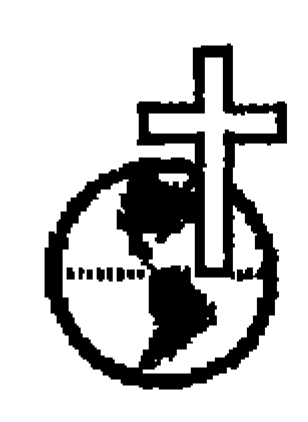
وقبيل إنتهاء الجلسة الأولى للمجمع الخلكيدونى، عندما أدرك أصحاب الإدعاءات أنه لا سبيل لهم إلى النيل من الأب ديوسقورس قالوا: «أخطأنا ونطلب الغفران!» وهنا واجههم القضاة بادعائهم الثانى هذا قائلين:«لقد ذكرتم سابقاً أنكم اضطررتم رغماً عنكم وقهراً أن تكتبوا أسماءكم فى قرطاس أبيض فى عزل فلابيانوس» وإذ سقط فى يدهم لم يتمكنوا إلا من تكرار إعتذارهم الأول قائلين:«أخطأنا ونطلب الغفران!»،

من الغريب أن نرى المؤرخين الكاثوليك أنفسهم يقررون فى



كـتـبـهم ضـعف هذا الإدعـاء. فلقـد قـال المطران يوسف الدبس الماروني في كتابه «تاريخ سوريا الدنيوى والدينى» (الجزء الرابع ص٤٠٥) مـانصه:«إنه لما أجاب الأب ديوسقورس أنه عقد مجمع أفسس وترأس عليه بأمر الملك ثاؤدوسيوس وأنه لم ينفرد بالحكم فـيـه بل شـاركـه يوبينال بطريرك أورشليم وتلاسـيـوس أسـقف قيصرية ـ فإن الملك كتبه إليهما ماكتبه إليـه – لم يلتفت الشرقيون إلى كلامه بل شكوه بما أجراه عليهم من العنف والضغط فقالوا هددنا بالنفى وضـغط علينا الجنود بعصيّهم وسيوفهم حتى وقعنا على ورقـة بيضـاء، فـأجـابهم ديوسـقورس سـاخـراً منهم: «كـيف تسنى لكم أن توقعوا على ما لم تستوضحوه؟!»».

أمـا إدعـاء الخلكيدونيين بوقوع الضـغط عليـهم فى مـجـمع أفسس الثـانى مما أرغمـهم على التوقيع على ورقه بيضـاء، فيكفى لدحضه أنه قول لا يليق أن يدعيه الأساقفة! إذ كيف يجبن أسقف أمـام الأضطهـاد أياً كـان نوعـه؟! وكـيـف يتنازل الأسـاقـفـة عن إيمانهم فـى سبيل الأحـتـفـاظ بحياتـهم؟ وكان الأجدر بـهؤلاء أن يتـعلمـوا كـيفـيـه الثـبـات على الأيمان حـتى الدم مـثل شـهـدائنا وقديسـينا الذين سُفكت دماؤهـم ومع ذلك فقد بقوا إلى آخر لحظة ثابتين على عقيدتهم!.

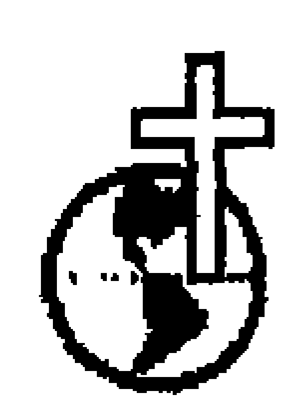


وماأجمل مادفع به أساقفة مصر هذا الإدعاء إذ قالوا: «إن المسيحى لا يخاف أحداً! الأرثوذكسى (السليم الإيمان) لا يرتعب من أحد!... ولو أن الشهداء كانوا يخافون من الناس، لما فازوا بالشهادة!».

قال الأب ديوسقورس أيضاً أحد الأساقفة المدعين «الآن كذبت الكتاب القائل: "من فمك تتبرر ومن فمك تُدان" واستجبت للناس وتجاوزت عن الصلاح وأهنت الأمانة، ألعلك لم تسمع ما كُتب: لا تخجل من شىء يُهلكك؟!».

الإدعاء الثالث:

قالوا أيضاً: إن الأب ديوسقورس لم يأمر بقراءة رسالة لاون أسقف رومية فى مجمع أفسس الثانى، بل قد أخفاها!... والحقيقة الثابتة أن البابا ديوسقورس قد أمر بقراءتها ثلاث مرات، وهكذا اعترف يوبيناليوس أسقف أورشليم عندما سأله القضاه عن رأيه فى هذا الإدعاء إذ قال: «إن الأب ديوسقورس أمر بقراءتها.... ولكن قال القس يوحنا كبير الكتبة أن معه أوامر الملوك، فأمروا بقراءتها... وبعد ذلك، ولا كبير الكتبة ولا غيره، قال إن معه من أسقف رومية رسالة».

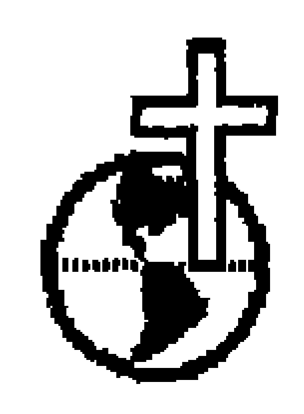


ولست أدرى علامَّ يتمَّسك جماعة البابويين بتلك الرسالة؟!ولو أن فيها مايُفيد الإيمان الصحيح لكان لهم بعض العذر فى ذلك، ولكن الواقع أن هذه الرسالة التى ولولوا على عدم قراءتها، هى رسالة نسطورية بعيدة عن الحق. وإن دلت على شيء فعلى أن مدونيها قد سقطوا فى بدعة نسطور، إذ قد جاء فيها ما نصه:«الكلمة يفعل مايختص به الكلمة، واللحم يفعل ما يختص به اللحم، فالواحد من المذكورين يبهر بالمعجزات والآخر مُلَقي للأهانات!».

و«حقاً يأتى المسيح الأثنين الإله والإنسان!» ألم توافق هذه الأقوال اعتقاد نسطور؟ وكان الأجدر أن يعملوا على إخفاء هذه الرسالة حتى لا تظهر سقطاتهم!

الإدعاء الرابع:

قال المدعون أيضاً أن كتبة ديوسقورس كتبوا وحدهم محضر أعمال مجمع أفسس الثانى وغيرّوا فيها، على أن هذا الإدعاء لم يدم طويلاً فقد صدَق البابا ديوسقورس بقوله: «كل واحد من الأساقفة كان له كتبة، فكتبتى كتبوا نسختى، وكتبة



يوبيناليوس الأسقف كتبوا نسخته، وكان كتبة كثيرون للأساقفة الآخرين وكلهم كتبوا الأعمال» وقد صدَّق كل من أسقفى أورشليم وقيصرية على قول ديوسقورس هذا إذ أبان كل منهما أنه كان له كاتب (سكرتير) يدوّن مايدور فى جلسات المجمع مع الآخرين.

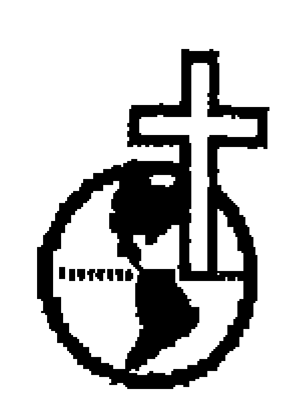
الإدعاء الخامس:

وقف أحد الأساقفة الخلكيدونيين المدعو أوسابيوس، وطلب من القضاة أن يسألوا الأب ديوسقورس عن السبب الذى من أجله منعه من دخول مجمع أفسس الثانى! وإذ طلب القضاة جواباً على هذا الأدعاء، قال الأب ديوسقورس:«أسألكم أن تقرأوا شهادة البيديوس القائد{ومندوب الملك فى مجمع أفسس الثانى} فإنى ماكنت أمنعه لو لم يأتِ البيديوس بأمر الملك القاضى بمنعه»[(١)] ثم أيد هذا الدفع القوى يوبيناليوس أسقف أورشليم بقوله:«إن البيديوس المكرم لم يأذن له بالدخول» .

وعندما أمر القضاة بقراءة أعمال مجمع أفسس الثانى، قرأ

---

(١) تاريخ الأنشقاق ج ١ ص٢٢٣& تاريخ مجمع خلكيدونية باب ١٨: ٨٧ و٨٨ .



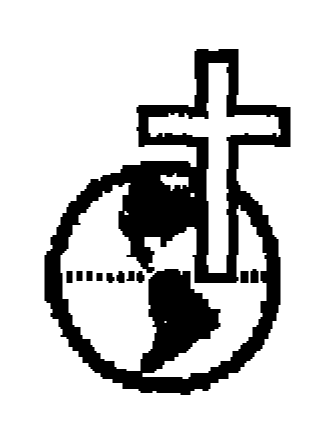
الكاتب المراسيم الملكية الصادرة لعقد ذلك المجمع ومنها الأمر الملكى الذى أشار إليه الأب ديوسقورس!

ومن الغريب أنه بينما يعترض الخلكيدونيون على البابا ديوسقورس، لعدم السماح للأسقف أوسابيوس بدخول مجمع أفسس الثاني، تراهم يسمحون للأسقف تاودريتوس النسطورى المقطوع، بالحضور فى مجمع خلكيدون! الأمر الذى حدا بالبابا ديوسقورس أن يصيح فيهم قائلاً:«أنتم تثلبوننى كأنى تعديت القوانين. فهل أنتم تحفظون القوانين فى دخول تاودريتوس؟» .

الإدعاء السادس:

اعترضوا على البابا ديوسقورس لتبرئته أوطاخى فى مجمع أفسس الثانى مدعين أنه يمالئه فى العقيدة، ولأننا نريد أن نوضح فساد هذا الأدعاء في شيء من الأسهاب لهذا رأينا أن نفرد له الفصل الآتى.

على أنه ليس هناك ثمة لوم على الأب ديوسقورس ولا على أعضاء مجمع أفسس الثانى فى تبرئتهم لأوطاخى. فنحن نعرف أن المجامع المسكونية السابقة لم تكن لتصدر أحكامها على المبتدعين إلا بعد أن تتأكد دفعة ودفعات من أنهم كانوا مُصرّين

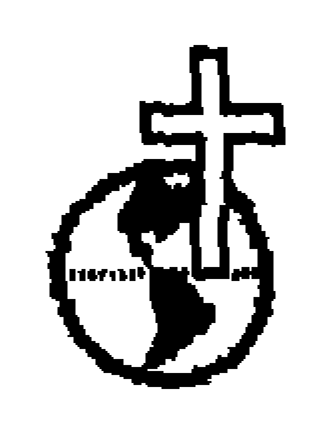


على التمسك بأقوالهم المناقضة للإيمان السليم، وحتى فى هذه الحال، كانوا يُصدرون حكمهم مضطرين ومتأسفين!! ومن هذا ندرك أنهم كانوا يتمنون أن يعود المبتدعون إلي الحق والصواب، ويرجعوا إلي التمسك بالعقيدة القويمة كي يصدروا حكمهم ببراءتهم...

وديوسقورس فى تبرئته لأوطاخي لم يخرج على هذه القاعدة المجمعية! لقد ناقشه فى عقيدته شفاهاً أمام الآباء. فأقر واعترف بالإيمان السليم، ثم قدم للمجمع صورة إيمانه مكتوبة بخط يده فإذا بها أرثوذكسية صحيحة! فماذا على المجمع بعد هذا؟! أو لم يكن مضطراً إلى إصدار حكمه ببراءته؟!

كان على الخلكيدونيين أن يعترضوا على البابا ديوسقورس ومجمعه لو أنهم رأوا فى أعتراف أوطاخي الكتابي والمدون فى أعمال المجمع الأفسسي الثاني مايخالف الإيمان، أما أن أوطاخي قد عاد إلى بدعته ثانيةً بعد تبرئته وبعد أنتهاء المجمع، فهذا ما لا دخل للبابا ديوسقورس فيه! إذ كان من الممكن أن تُعاد محاكمته فى مجمع آخر على أساس عودته إلى بدعته.

ولا ننسي أن لاون أسقف روما قد انخدع بأقوال أوطاخي،

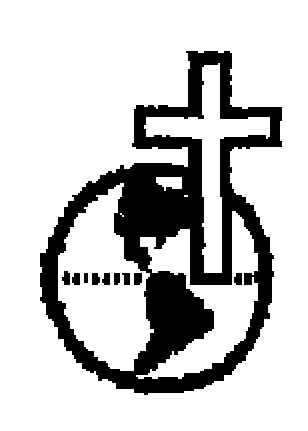


كما انخدع آباء مجمع أفسس الثاني، ولذا فقد أرسل إليه لاون رسالة يثني فيها على عنايته بأمر الإيمان، ويدعوه فيها بالأبن القس العزيز!»[1].

الأدعاء السابع والأخير:

وأخيراً، أخرج الخلكيدونيون، آخر مافي جعبتهم، فقالوا: إن البابا ديوسقورس قد حكم على فلابيانوس بطريرك القسطنطينية ظلماً. على أننا عندما نعرض لما دار في جلسات مجمع أفسس الثاني، نرى أن الحكم على فلابيانوس المذكور لم يكن فيه ظلما، إذ أنه لما طعن أوطاخي في صحة مجمع فلابيانوس المكاني، طلب البابا ديوسقورس رئيس المجمع من فلابيانوس أن يفصح عن رأيه وعقيدته، فتكلم بما عرف منه الآباء بأنه سقط في الهرطقة إذ قال بطبيعتين بعد الأتحاد، وهنا حاول الأساقفة إقناعه بخطأ عقيدته كي يرجع عنها إلى التمسك بالإيمان القويم. ولكنه أصر على التمسك بأقواله فلم يرَ المجمع بُداً من الحُكم عليه.

١) راجع نص هذه الرسالة في الفصل الأول من القسم الرابع من هذا الكتاب وراجع ايضاً مجمع خلكيدونية باب ٣٤:٤١.



لذا نرى البابا ديوسقورس يدفع هذا الأدعاء فى المجمع الخلكيدونى يقوله: «هو أمر واضح أن فلابيانوس عُزل لأنه قال بطبيعتين بعد الأتحاد، وعندى شهادات من أقوال الآباء القديسين، من أثناسيوس وغريغوريوس وكيرلس، أنه لا ينبغى القول بطبيعتين بعد الأتحاد، بل بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد».

والنتيجة التي يمكننا استخلاصها من كل ماسبق في هذا الفصل، هي أن البابا ديوسقورس بريء كل البراءة، من كل مانُسِب إليه في مجمع خلكيدون الزائف.وماأقوال الخلكيدونيين إلا أدعاءات باطلة لا محل لها من الصحة.

ولعل آباء المجمع الخلكيدوني أنفسهم (أصحاب هذه الادعاءات) قد وقفوا علي هذه النتيجة عينها في نهاية جلستهم الأولي عندما نطقوا بصوت واحد قائلين «أخطأنا ونطلب الغفران».



الفصل الرابع

عقيدة ديوسقورس غير عقيدة أوطاخي

«أما إدعاؤكم بأننا تابعون لأوطاخي ومعتقدون باعتقاده، فهو ادعاء باطل؛ فنحن نحرمه ونحرم كل من يقول بقوله لأنه أدخل علي طبائع المسيح الاختلاط والامتزاج» [1].

(البابا يؤنس السابع بعد المائة)

يخطيء الكثير من المؤرخين غير الأرثوذكسيين عندما يمزجون بين هرطقة أوطاخي المُبتدع، وبين عقيدة البابا ديوسقورس الاسكندري، وعندي أنهم لو دققوا قبلما يكتبون، أو تحروا الحقيقة والنزاهة فيما يبحثون لاستطاعوا أن ينجوا من سقطة شنيعة كهذه، تعتبر كنقطة سوداء وسط مؤلفاتهم.

ولقد رأينا أن نخصص هذا الفصل لنُثبت فيه أن بدعة

١) من رسالة له إلي برثلماوس الراهب اللاتيني.



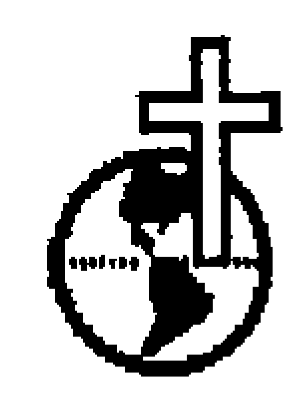
أوطاخي غير عقيدة البابا ديوسقورس. حتي لا ينخدع جماعة المؤمنين بأقوال بعض المؤرخين الجاهلين.

عقيدة أوطاخي:

ويهمنا كثيراً أن نُدوِّن هنا بعض ماذكره الكتاب عن عقيدة هذا المُبتدع لنتمكن من مقارنتها بالعقيدة السليمة الصحيحة.

١) قال العلاّمة أبو اسحق بن العسال في الباب التاسع من كتابه: «أصول الدين» مانصه: «إن أوطاخي المذكور قال إن إبن (اللّه) الأزلي لم يأخذ من مريم شيئاً ولكنه استحال وتغير وصار لحماً ودماً.وجاز في مريم من غير أن يأخذ منها شيئاً».

٢) وقال أيضاً: «أوطاخي القسطنطيني هذا كان قساً (رئيس دير) وقال إن جسد السيد المسيح لطيف وليس هو كالأجسام البشرية ولم نحِل به الآلام».

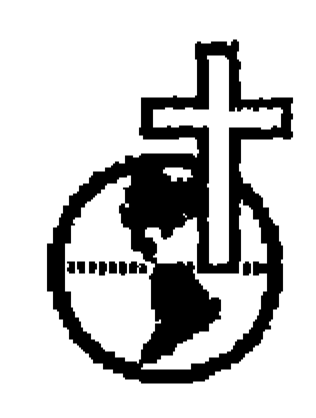


٣) وقال المؤرخ ابن الراهب - في معرض حديثه عن المجمع الخلكيدوني مانصه: «كان أوطاخي قساً من القسطنطينية نادي بأن جسد المسيح ليس مساوياً لأجسادنا ولم تحل به الآلام».

٤) وأثبت العلامة غريغوريوس الشهير بابن العبري في الركن الرابع من كتابه المسمي «منارة الأقداس» قوله: «إن أوطاخي هذا كان يقول إن الله الكلمة لم يأخذ من العذراء شيئاً لكنه في ذاته قد تغيرّ وصار لحماً».

٥) جاء في كتاب: «الدرة النفيسة في تاريخ الكنيسة» في الخمس الخامس من الجيل الخامس مانصه: «إن أوطاخي أنكر وجود طبيعتين مقترنتين في المسيح، زاعماً أن الإله الكلمة انحدر من السماء بجسد سماوي، واجتاز في البتول مُتخيلاً أنه وُلِد منها ولم يولد علي الحقيقة».

٦) وفي كتاب «تاريخ المجمع الخلكيدوني» (الكاثوليكي.باب



٣١ ص ٢٠٦) «إن أوطاخي كان يقول إن اللاهوت هو متغير ومتألم وكان ينكر اتحاد الكلمة مع الجسد والنفس الناطقة».

٧) وقال الأسقف الروماني مؤلف كتاب «الإيمان الصحيح» إن لاون بابا رومية قال: «إن أوطاخي موافق لرأي أبوليناريوس ويجب أن يُحرم بما أنه جحد حقيقة الجسد والنفس في المسيح وأضاف إلي اللاهوت الولادة ثم النمو والصلب والموت[1]».

عقيدة ديوسقورس:

مما سبق يتضح لنا أن أوطاخي كان ينادي بأن جسد المسيح كان خيالياً وأنه لم يأخذ شيئاً من السيدة العذراء، كما أنكر كون السيد متأنساً إذ مزج إحدي طبيعتَّي المسيح بالأخري.

وشتان بين هذه الأقوال الكُفرِّية وبين عقيدة البابا ديوسقورس السليمة التي تسلمها من الآباء القديسين والتي تتضح مما يلي:-

١) من رسالة إلي برتلماوس الراهب اللاتيني.



١) جاء في كتاب «تاريخ المجمع الخلكيدوني» الكاثوليكي (باب ١٨ ص ٩٩) أن الأب ديوسقورس قال في جلسة المجمع الأولي مانصه: «إذا كان أوطاخي قد جحد العقيدة الصحيحة (التي دونها في اعترافه) وذهب بخلاف مذهب البيعة فهو لا يستحق العقاب فقط بل هو جدير بأن يُحرّق بالنار أيضاً... أما أنا فلا أتزعزع قيد أنُملة عن إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية... ولا أهتم بشيء إلا بخلاص نفسي وبالأمانة المستقيمة الصحيحة».

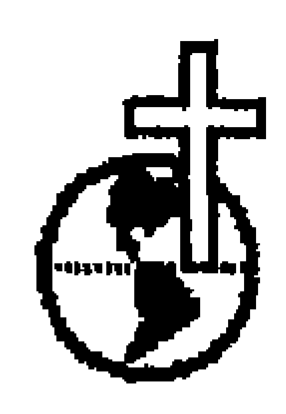
٢) وفي الباب الحادي والعشرين (ص ١١٤، ١١٥) من الكتاب السابق ذكر أنه عندما قريء قول أسطاسيوس أسقف بيروت وهو: «أن كيرلس العظيم برهن في رسائله إلي الأساقفة أكاكيوس وباليريانوس وسوسيقي، أنه لا ينبغي أن نفهم طبيعتين للمسيح، بل طبيعة واحدة للّه الكلمة المُتجسد» صاح الخلكيدونيون قائلين هذا هو قول أوطيخا، وهكذا يقول ديوسقورس».



فأجاب البابا ديوسقورس وقال: «**لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة**».

٣) كتب البابا ديوسقورس وهو في منفاه بجزيرة غاغرا بفلاغونيا الي شخص يدعي ابريطن برسالة يدحض فيها البدعة الأوطاخية، لازالت مدونة بكتاب «اعترافات الآباء» قال فيها: «يجب علينا أن نقلع ونخرج عن كل من يقول إن اللّه الكلمة تألم بلاهوته، أو مات، أما نحن فلا نؤمن هكذا بل أن كلمة اللّه صار جسداً - وبقيَ بلا ألم ولا موت بالجملة بلاهوته، لكن قوماً يظنون ويقولون إننا إذا قلنا إن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت نوجد في هذا القول موافقين لمجمع خلكيدون، ونحن نجيبهم ونقول إذا كان أهل مجمع خلكيدون يعترفون أن اللّه الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت، فإننا نوافقهم».

تم ختم كلامه بإثبات الطبيعة الواحدة للأقنوم الواحد الذي هو الإبن المُتجسد مستشهداً بما قاله أثناسيوس الرسولي وكيرلس وغيرهما.



سلامة عقيدة البابا ديوسقورس:

لعلنا قد أدركنا الآن صحة عقيدة البابا ديوسقورس التي بقي متمسكاً بها وهي «**طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد**»[1] وإنه لا صلة إطلاقاً بين هذه العقيدة وبين بدعة أوطاخي.

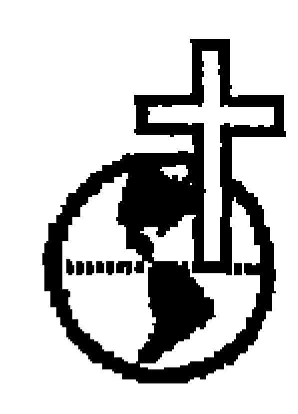
ونضيف هنا أن مؤرخي الكنيسة الغربية أنفسهم قد دونوا في كتبهم هذه القضية وتوضح كتاباتهم أن ديوسقورس عاش ومات أرثوذكسياً!

١) فبوسويه Bossuet الأسقف يقول: «إن القديس كيرلس قد أكد في رسالته إلي ساكسيوس Successus علي عبارة «طبيعة واجدة لله الكلمة» وأردف استخدامه إياها بقوله: «هكذا علمنا الآباء!» وهذا التعليم هو بعينه الذي نادي به البابا ديوسقورس طيلة حياته».

٢) وقال هذا الحَبر أيضاً: «يجب أن تقولوا أن المجمع

---

١) للتثبت من صحة العقيدة الأرثوذكسية هذه راجع الفصل الرابع من القسم الرابع.

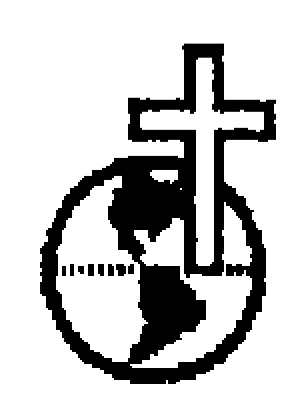


الخلكيدوني وقد طرقت العبارة السابقة (أي طبيعة واحدة للكلمة المتجسد) مسامعه (ثلاث مرات أو أربعا - لم يبدِ أي اعتراض عليها»[1].

٣) ذكر الأسقف الكاثوليكي هيفيليه Héfélé في كتابه عن «تاريخ المجامع «Histoire des Conciles» ما ترجمته: «إن بطريرك القسطنطينية {أناطوليوس} في الجلسة الأولي من جلسات المجمع الخلكيدوني المنعقدة في ٢٢ أكتوبر سنة ٤٥١م قال بما يأتي: «**إن ديوسقورس {بابا الاسكندرية} لم يُعزل بسبب إيمانه الأرثوذكسي ولكنه عُزل لحرمه البابا**» {الروماني لاون الأول}.

"L'archevêque de Constantinople (Anatolius) dit que Dioscore n'apas été désposé à cause de sa foi orthodoxe, mais parce qu'il avait excommunié le pape (Léon)".

٢) راجع المجلد السابع من مجموعة مؤلفات بوسويه المطبوع بمدينة ليل عام ١٨٣٦ ص ٢٢٧ .



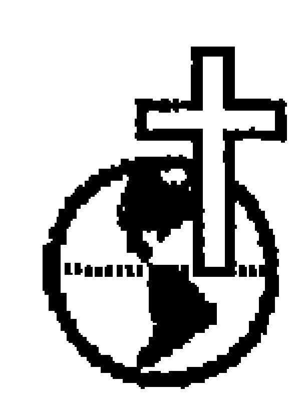
٤) كما أردف هذا الأسقف تصريح البطريرك القسطنطيني السابق بما يؤيده كل التأييد حيث قال ماترجمته: «إن القرار المجمعي الذي صدر ضد ديوسقورس لم يذكر شيئاً عن ابتداعه في الدين. وأن الحكم الذي وقّعه عليه نواب البابا {الروماني} لم يرد به شيء عن ذلك الابتداع».

"Dans le décret synodal rendu contra Dioscore il n'est pas fait expressément mention de son hérésie, et la sentence que les légats du Pape (Léon) ont portée contre lui n'en dit rien non plus [1].

سلامة عقيدة الكنيسة القبطية:

ومادمنا قد تثبتنا الآن من سلامة عقيدة البابا ديوسقورس، فنحن بالتالي قد تأكدنا من سلامة عقيدة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي كان يرأسها.

١) راجع العدد السادس من مجلة اليقظة لسنتها السادسة والعشرون.



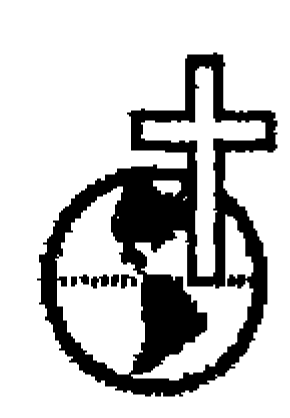
ولكي نبرهن للملأ أن الكنيسة القبطية لم تنحرف وراء البدعة الأوطاخية، لحظة واحدة نقول:

١) بقيت الكنيسة القبطية متمسكة برئيسها الديني (البابا ديوسقورس) رغم نفيه، ذلك لأنه دافع عن إيمانها وتحمَّل ما تحمّل في سبيل المجاهرة بعقيدتها .

وعندما تأكدت من انتقاله، عزمت علي تنصيب خليفة له، وأنتهزت فرصة موت الامبراطور مركيان، وقام الأساقفة برسامة تيموثاوس بطريركاً[1] عام ٤٥٧م، وقد جمع هذا الأب حال أرتقائه مجمعاً من أساقفته، وأصدر قراراً بحرم مجمع خلكيدونية، وكان ذلك سبباً في غضب لاون الملك، الذي نفاه إلي جزيرة غاغرا .

حيث بقي سبع سنوات، إلي أن مات هذا الملك وتنَّصب بدله

١) هو أحد رهبان دير القلمون بجوار الفيوم، وكان قساً بالاسكندرية، وقد مدحه كثيراً المؤرخ يوحنا النقيوسي وقال عنه إنه كان «مثال التقوي والتدين»



الامبراطور باسيليسكوس فأعاده من منفاه. وعندئذ ذهب إلي القسطنطينية وعقد مجمعاً من نحو ٥٠٠ أسقف كان من أعضائه بطرس القصار بطريرك أنطاكية.وقرر رفض المجمع الخلكيدوني ورسالة لاون أسقف رومية[١] ثم وضع البابا تيموثاوس وزع بواسطة الامبراطور أعلن فيه رفضه للمجمع الخلكيدوني ولهرطقة أوطاخي، وقرر وجوب التمسك بعقيدة الطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد.

٢) لهذا نري الارشمندريت فلاديميرجيتي Guettée يثبت هذه الحقيقة في كتابه عن «التاريخ الكنسي» (مجلد ٥ ص ٢٧٣)، فيكتب ماترجمته: «إن تيموثاوس الذي وضع هذا المنشور لم يكن أوطاخياً! ولما كان في القسطنطينية جاء اليه الذين كانوا يجهرون بالطبيعة الواحدة (الطبيعة الإلهية غير المتجسدة، اي الأوطاخيين) وهم يتوهمون أنه يجعلهم علي حق فيما يعتقدون، فقال لهم إن

---

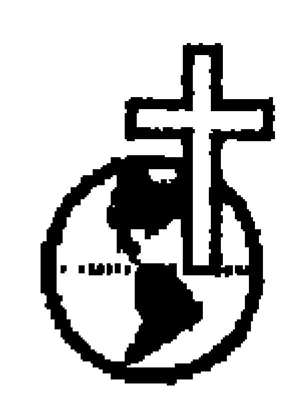
١) راجع كتاب تاريخ الانشقاق الجزء الثاني ص ٢٦٥، كتاب حسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك الجزء الأول ص ١٥٩.



جسد الكلمة «كلمة الله» في جوهره مساوٍ لجسدنا، أما لاهوت الكلمة فمساوٍ في جوهره للآب»".

"Timothée, qui avait rédigé cette circulaire, n'etait pas Eutychien. Lorsqu'il ētait ā Consantinopole, ceux qui ētaient ouvertement Monophysites, allérent le trouver. s'imaginant qu'il leur donnerait raison, mais il leur dit: la chair du Verbe incarné est consubstsantielle à la nôtee et dans sa Divinité, le Verbe est consubstantiel au Pére."

٣) وقال أحد أساقفة الرومان في كتابه: «الايمان الصحيح» ص ٨ موجهاً القول لقبط مصر، مانصه: «إن كنائسكم لا تقبل اختلاط الطبيعتين ولا استحالتهما ولا امتزاجهما كما زعم أوطاخي! ولكن بموجب رتبة القداس والقرار المدون في الكتب المقبولة الكنائسية، وتبعاً لتعليم القديسين البطريركين المجيدين



أثناسيوس وكيرلس وكافة الآباء الذين قبلهما، ترذل وترفض هذا الامتزاج والاستحالة والاختلاط».

٤) وثمة شهادة أخري لما نحن بصدده، دونها موسهيم في تاريخه (قرن ٥ فصل ٢ قسم ٥: ٢٣] قال: «إن أفتيخس (أي أوطاخي) اعتقد بأن طبيعة المسيح الإلهية امتزجت بالإنسانية، حتي صار المسيح بطبيعة واحدة إلهية، غير أنه لا يتضح جلياً، أكان ذلك أكيداً أم غير أكيد، أما هذه العبارة مع اسم افتيخوس فقد تركهما ورفضهما مقاومو المجمع الخلكيدوني الذين اقتادهم زيناس وبطرس القصار، ولهذا يسمون ذوي طبيعة واحدة، لا افتيخيين، لأن كل الذين يطلق عليهم هذا الإسم اعتقدوا أن الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية، إتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط، ولكن بدون تحويل أو أمتزاج».





الفصل الخامس

الكنائس الأرثوذكسية ترفض مجمع خلكيدون

«لنعتبرن التقليد الأصلي، والتعليم والإيمان الكنسي الصادر من فم السيد نفسه، والذي علّمه الرسل والذي حفظته الكنيسة، فإنه على هذا التعليم، وعلى هذا الإيمان بنيت الكنيسة، والذي يرفضه لا يكون مسيحياً، ولا يستحق أن يُطلق عليه إسم المسيح» (١).

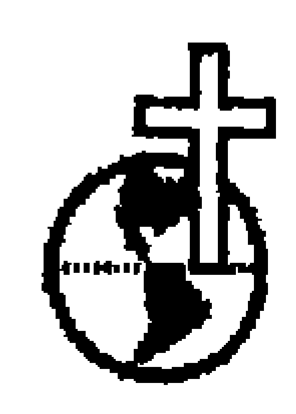
أثناسيوس الرسولي

بعد أنفضاض مجمع خلكيدون، رفضت أغلب الكنائس الأرثوذكسية الرسولية، كالإسكندرية وأورشليم وفلسطين وغيرها، قبول قراراته، واعتبرته مجمعاً زائفاً! لابتداعه تعليماً غريباً، ومناداته بطبيعتين في السيد المسيح بعد الاتحاد.

وهال الامبراطور مركيان، أنه يري شعوب وأساقفة هذه

---

١) من رسالته الرابعة إلي سيرابيون.

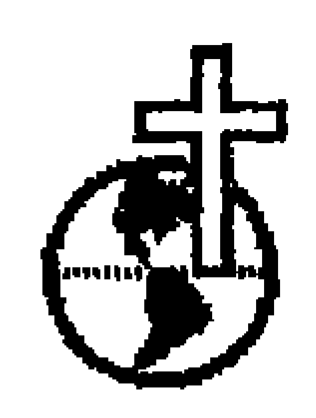


الكنائس، وقد رفضت قرارات ذلك المجمع التي اعتمدها! وعندئذ عمد إلي استخدام القوة لحمل هؤلاء المؤمنين علي قبول المجمع والعقيدة الجديدة!!

علي أن شعوب هذه الكنائس - عدا نفراً يسيراً منهم - قد أظهروا تمسكاً شديداً وغيرة حميدة علي الإيمان الارثوذكسي وكانوا يسلمون حياتهم رخيصة للقتل والامتهان دون أن يعترفوا بصحة مجمع خلكيدون وقراراته، مادام قد خرج علي الايمان!!

ففي الإسكندرية مثلاً: أرسل الامبراطور مركيان - بعد أن نفي البابا ديوسقورس - أحد قواده ومعه صورة قرارات مجمع خلكيدون والعقيدة الجديدة كي يطلب من المؤمنين الأقباط أن يرسموا لهم بطريركاً جديداً علي شريطة أن يوقع مامعه من قرارات!

وأتفق أن حضر في هذه الأيام إلي الثغر الأسكندري، القديس مكاريوس أسقف أدكو - الذي نُفي إلي غاغرا مع البابا



ديوسقورس وجاء متخفياً ليُثّبت مؤمنيها علي الإيمان القويم. ويسلم لهم رسائل وتوصيات بطريركهم الأمين.

وما أن جمع قائد مركيان الشعب والاكليروس لتنفيذ غرضه، حتي قاومه القديس مكاريوس علانية، وأبان للجميع ابتداع مجمع خلكيدون، وإذ رأي هذا القديس أن قساً شريراً يُدعي بروتوريوس قد استهوته شهوة المنصب البطريركي ورغب في توقيع القرارات لرسامته، عنّفه تعنيفاً شديداً، وأبان للجميع شروره وخبايا سيرته. وحذره من قبول هذا المنصب، الذي لا يزال صاحبه علي قيد الحياة.

وغضب القائد لما بدا من هذا القديس الشيخ الأنبا مكاريوس أسقف أدكو فقام لوقته وركله برجله ركلةً شديدة، أردته قتيلاً، فمات شهيداً.

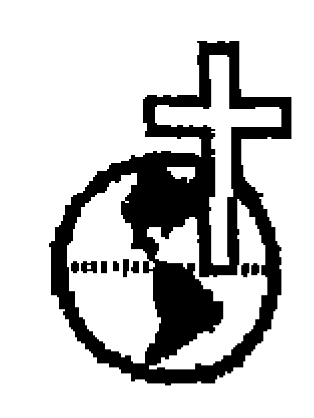
وعين القائد بروتوريوس هذا بطريركاً، وسلّمه البطريركية، فطرده المؤمنون منها، وبينما كان الشعب بأسره مجتمعاً ليلة عيد القيامة للصلاة بالكنيسة، باغته بروتوريوس والقائد علي رأس



فرقة كبيرة مسلحة من الجند، وإذ رأي من الشعب إعراضاً عنه، ولمس أنهم بدأوا يتركون الكنيسة، أمر الجند بقتل كل من في الكنيسة، فمات في هذه الليلة عدداً كبيراً.

وقام بروتورتوس البطريرك الدخيل بنهب أمتعة الكنائس وأوانيها المقدسة، ولخوفه ترك دار البطريركية إلي منزل معين، حاملاً معه هذه الأمتعة، التي كانت سبباً في قتله، فلم تمضِ فترة حتي أنقضت عليه عصابة لصوص، وفتكت به بعد أن استولت علي كل ماصادفته من أمتعة كانت معه!!

وفي أورشليم: رفضت جماعة المؤمنين أعمال مجمع خلكيدون وقراراته أيضاً، ولم تمضِ فترة حتي وصل بطريركهم يوبيناليوس الذي كان من أتباع البابا ديوسقورس في مجمع أفسس الثاني. كما حضر معه أسقف يُدعي سابا، وما أن عرف الشعب أن هذين الأسقفين قد وقَّعا علي قرارات المجمع الخلكيدوني واعتنقا عقيدته المغايرة لعقيدة البيعة، خوفاً من الملك وأستبقاءً لمنصبيهما، حتي رفض قبولهما، وبدأ يقاومهما. وساعدهم علي ذلك بولس

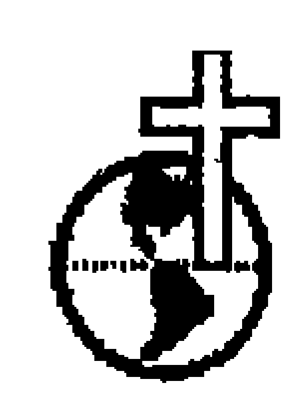


والي المدينة إذ كان أرثوذكسياً، فاضطر يوبيناليوس البطريرك والأسقف سابا أن يتركا المدينة إلي القسطنطينية...

وعرضا أمرهما علي الملك مركيان، فقرر عزل الوالي ونفيه، ثم عين الأسقف سابا والياً علي المدينة، وزوّده بفرقة من الجند، وأمره أن يهدد سكان أورشليم بالقتل إن لم يقبلوا قرارات مجمع خلكيدون ويخضعوا ليوبيناليوس!

وبينما كان الشعب يصلي في عيد السيدة العذراء - يتقدمهم القس سيلاس والشماس سوسنا - دخل الوالي ومعه الجند، وبدأ يقرأ علي الشعب أوامر الملك، وصورة قرارات المجمع، وعندما وصل الي المناداة بالطبيعتين، صاح الكاهن والشماس قائلين: «محروم مجمع خلكيدون ورسالة لاون!» وتبعهما الشعب في المجاهرة بهذا القول.

عندئذٍ أمر الوالي بالقبض علي الكاهن والشماس وقتلهما،



ثم أمر الجند بقتل كل مَنْ يصلوا اليه من أفراد الشعب، وهكذا أمتلأت الكنيسة بالدماء وبأجساد الشهداء»[1].

وفي بلاد السريان: قدم جنود الملك مركيان قرارات مجمع خلكيدون للقديس أنبا أبرام أب رهبان السريان ليوقّعها. ولما رفض أماتوه رجماً بالحجارة، ثم توغل الجند في البلاد (سوريا) واستشهد كثيرون من الذين رفضوا قرارات المجمع. وهرب البعض فنهب الجند أملاكهم[2].

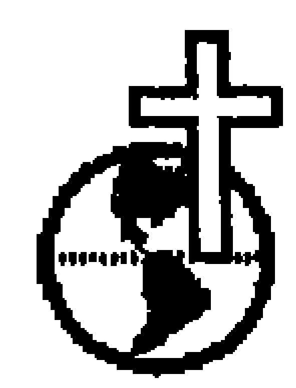
هذه صورة مصغرة، لما حدث للكنائس التي رفضت أن تقبل قرارات مجمع خليكدون ورسالة لاون، وهي صورة أليمة ومحزنة.

وقد يسأل البعض عما حدا بهؤلاء، إلي تحُمل كل هذا العذاب، في سبيل عدم قبول تلك القرارات، ونحن نري أن هذا الرفض كان لأسباب كثيرة نجمل أهمها فيما يلي:-

أولاً: لأن مجمع خليكدون قد حكم علي البابا ديوسقورس الاسكندري ظلماً:

١) راجع تاريخ المجامع للمنبجي، الخريدة النفيسة، الجزء الأول.

٢) راجع تاريخ المجامع للمنبجي.



فرغم اعترافهم بصحة إيمانه، ورغم تأكدهم من براءته من كل ما نُسب إليه زوراً وبهتاناً، ورغم حججه القوية وبراهينه الساطعة التي أوضح بها صحة وجهة نظره في الجلسة الأولي، مما حدا بهم إلي الاعتراف قائلين: «أخطأنا ونطلب الغفران»! برغم كل هذا نراهم يتآمرون عليه ويتألبون ضده، ويحكمون عليه ظلماً في جلسة غير قانونية، كما أوضحنا!!

ولأن جماعة المؤمنين كانوا يدينون للبابا ديوسقورس بالطاعة والاحترام، لما لمسوه فيه من غيرة متقدة، وقداسة واضحة، وسيرة نقية، وتمسك شديد بالعقيدة الصحيحة، لهذا أدركوا أن قبولهم لقرارات هذا المجمع معناه رفض هذا الأب وعقيدته القويمة، ففضلوا أن يبقوا علي إيمانهم ثابتين، ولعذابات الملك وجنوده متحملين!

ثانياً: لأنهم رأوا أن تعريفات هذا المجمع بخصوص الايمان ليست سليمة:

فقد رفض المجمع عقيدة الكنيسة الصحيحة في الاعتراف



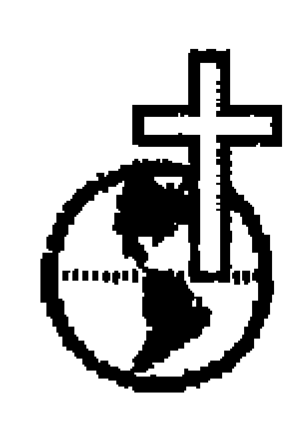
«بطبيعة واحدة للّه الكلمة المُتجسد» ونادي بطبيعتين في السيد بعد الاتحاد! كما لمسوا أن شبح البدعة النسطورية يطل بقرنيه من وراء ماأتخذه هذا المجمع الخلكيدوني من قرارات.

وهوذا الارشمندريت فلاديمير جيتي Guettée الكاثوليكي، يعترف بهذه القضية فيقول في المجلد الخامس من كتابه: «التاريخ الكنسي» مانصه: «إن في قرارات المجمع الخلكيدوني من العبارات مايمكن الخروج منها إلي بدعة نسطور، التي كان شبحها المفزع مازال أمام العيون.

ويفصح هذا المؤلف أيضاً فيقول: «إن العدد العديد والأفضل من الأساقفة الذين امتنعوا من الاعتراف بصحة المجمع الخلكيدوني، كان لهم العذر كل العذر في امتناعهم، لأن قرارات ذلك المجمع الخاصة بالعقيدة، تخللتها عبارات قد تؤدي إلي التردي في البدعة النسطورية[1]».

ثالثاً، وأخيراً، لأنهم عرفوا أن المجمع لم ينعقد إلا ليشبع شهوة لاون

١) جيتي مجلد ٥ ص ٤٦ ,Guettée. 5, p 46 »



أسقف رومية في الانتقام من منافسة بابا الرسكندرية، لقد كانت العقيدة في حفظ الإيمان في سلام، ولهذا رفض الامبراطور ثيؤدوسيوس الصغير كافة الوسائل التي تلمسها أسقف رومية لعقد المجمع (كما بيننا في الفصل الأول من هذا القسم) فلماذا إنعقد إذن

لم يكن ثمة سبب لعقده، إلا رغبة لاون في الانتقام من بابا الإسكندرية، بيد أن الأخير لم يصدر منه ما يتطلب ذلك، ولكن هذه الغيرة والحسد هما اللذان حفزاه علي أن يقترف مااقترف!!

لقد رأي أن البابا الاسكندري قد أصبح المرجع الوحيد لعقائد الإيمان، قوله هو القول الفصل، ورأيه هو الرأي الأخير، يتصدر المجامع ويحارب الهراطقة ويُثَّبت الإيمان، في الوقت الذي كان فيه أسقف رومية في خبر كان!!

لهذا شمر لاون أسقف روما، عن ساعد الجَد، عندما وأتته الفرصة المناسبة بموت الامبراطور ثيؤدسيوس الصغير، وسعي لعقد مجمع خلكيدونية ليُضعِف من البابا الأسكندري كي يرتفع هو، ولكن تحت ستار الدين!!



قال المؤرخ الكنسي فلاديمير جيتي Guettée ما ترجمته: «إن لاون أسقف رومية كان مدفوعاً في نضاله الديني برذيلة الحسد التي كان يحجبها بالغيرة الكاذبة علي الدين»[1].

الخاتمة

نهاية الوحدة وبداية الإنقسام

من كل ماسبق نستطيع أن نتبّين أسباب انقسام الكنيسة الواحدة، فبعد انفضاض مجمع خلكيدون المغرض، وبعد أن نفذ حكم النفي في البابا ديوسقورس الاسكندري، حاول أتباع مجمع خلكيدون – بكل ما أوتوا من قوة – أن يحولوا الأساقفة المصريين ولو يسيراً عن إيمانهم، كي يقبلوا قرارات هذا المجمع الزائف ويوافقوا علي رسالة لاون، ولكنهم رفضوا إلا أن يتمسكوا بعقيدة الكنيسة الصحيحة، وبأقوال الآباء القدماء.

وهكذا أصبح المجمع الخلكيدوني بداية لانقسام الكنيسة

---

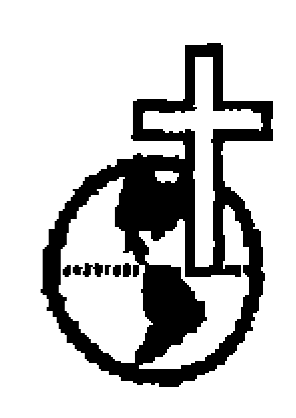
١) جيتي، المصدر السابق مجلد ٥، ص ٢١ .



الجامعة إلي شطرين كبيرين، الكنائس الأرثوذكسية، وهي التي تضم أتباع البابا ديوسقورس الذين ظلوا ثابتين علي عقيدتهم، والكنائس الخلكيدونية وهي التي تجمع من قبلوا قرارات مجمع خلكيدون وأمنوا عليها ٠

وها الكنيسة إلي اليوم تئن وتتوجع من هذا الأنقسام المرير، الذي ليس ثمة سبب له سوي فكرة الرئاسة العامة التي تخمرت في عقول بابوات رومية، تلك الفكرة الخاطئة التي حبذت لاون أسقف روما علي القيام بوضع بذار هذا الشقاق المحزن والأليم!

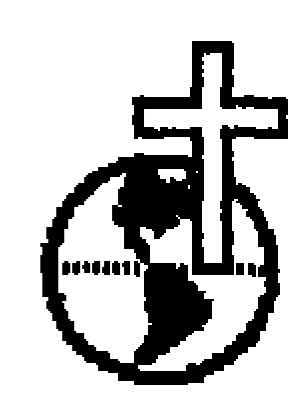
أجل... كم كانت الكنيسة جميلة عندما كانت واحدة! لقد بقيت هكذا عصوراً طويلة تسودها المحبة والسلام، وكان المؤمنون جميعاً يدركون أنهم أفراد أسرة واحدة، أو أعضاء جسد واحد رأسه المسيح، ولايزال المؤمنون إلي اليوم ينظرون نظرة تقدير وأحترام إلي أباء الكنيسة الشرقيين والغربيين قبل الأنقسام! ويرون أن هناك تحالفاً واتحاداً بين أثناسيوس وكيرلس وامبروسيوس وأغسطينوس وذهبي الفم.... الخ الذين كانوا يسيرون علي خطة موحدة!



نعم، لقد كانت الكنيسة واحدة! ولكنها اليوم ممزقة!! ولعلنا قد أدركنا الآن أسباب ذلك، ورأينا ضرورة العودة إلي الوحدة المقدسة كي تكون رعية واحدة لراعٍ واحد «**يسوع المسيح**» (يو ١٠:١٦).

والحق أننا لو أعدنا أدراجنا إلي الوراء، وبحثنا عن أسباب التفرقة فأزلناها، لعدنا بخطوات سريعة إلي الاتحاد الذي ينشده الجميع في كل عصر ووادٍ، وكما قال الأب بولس الأشقر الكاثوليكي: «إن الكبرياء والبغضاء وفقدان الثقة والاحكام الباطلة وماشاكلها، هذه كلها لا تتفق مع روح الدين المسيحي، فلنلاشها من عقولنا وقلوبنا، وغداً، نعم غداً، يسود الاتحاد».

إننا نري الشعوب كلها اليوم، تطلب في صلواتها إلي الله من أجل اتحاد الكنائس، ولسنا نشك في أن لهذه الصلوات قيمتها ومفعوليتها، بل لسنا نغالي إن قلنا إنها خطوة أولي في سبيل العودة إلي الاتحاد، نرجو أن تتبعها خطوات تعمل علي عودة الجميع الي العقيدة الصحيحة السليمة، وإلي التمسك بما أقرته المجامع المسكونية المقدسة غير المغرضة، وعندي أن في ذلك



مايكفي لإزالة الحواجز بين الكنائس، فتعود واحدة مقدسة جامعة رسولية!

وطوبي لمن يعمل بجد وغيرة مقدسة ويساعد في عمل الله هذا، بل طوبي لمن يحيا ويري الاتحاد ناجزاً تاماً!! (١).

+++

تم بحمد الله

---

١) لقد كتب المؤلف هذا الكتاب منذ نصف قرن مضي،هذا وقد بذل قداسة البابا شنودة الثالث جهوداً كبيرة من أجل وحدة الكنائس التقليدية (الشرقية والغربية) وقد تم الاتفاق بين الكنيسة القبطية والكنائس الارثوذكسية البيزنطية سنة ١٩٨٧ حول طبيعة السيد المسيح علي أساس تعليم القديس كيرلس الكبير، كما تم الاتفاق بين الكنيسة المصرية والفاتيكان في سنة ١٩٨٨ علي صيغة طبيعة ومشيئة السيد المسيح علي أساس أن الكلمة المتجسد كامل في لاهوته وناسوته، وجعل ناسوته واحداً مع لاهوته بغير أختلاط ولا أمتزاج ولا تشويش، وحرّم تعاليم كل من نسطور وأوطيخا.

+ راجع مقالة الكنيسة القبطية والعمل المسكوني في القرن الـ ٢٠، للأستاذ أديب نجيب سلامة (مجلة مدارس الأحد، عدد ديسمبر ٢٠٠١).

* Vatican, the Roman Catholic Church & Coptic - Orthodox Church Documents (1973 - 1988).



المراجع

١ – الخريدة النفيسة في علوم الكنيسة، الجزء الأول، للأسقف إيسيذورس.

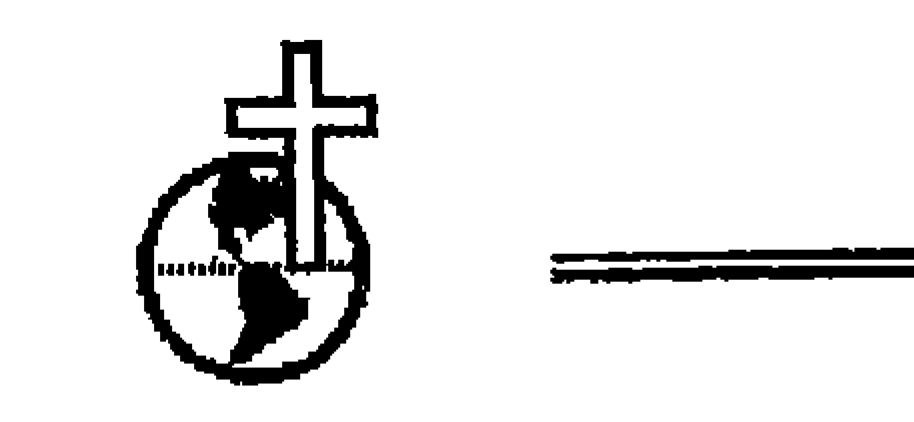
٢ – تاريخ الكنيسة القبطية، للقس منسي يوحنا.

٣ – تاريخ سوريا الدنيوي والديني، للمطران يوسف الدبس الماروني، الجزء الثاني، المجلد الرابع.

٤ – تاريخ الإنشقاق، للأرشمندريت جراسيموس مسره اللاذقي، رئيس كنيسة السوريين الأرثوذكس في الإسكندرية طبعة ١٨٩٩م.

٥ – ديوسقورس بطل الأرثوذكسية، للقمص أرمانيوس حبشي.

٦ – صور من تاريخ القبط، لجمعية مارمينا العجايبي بالإسكندرية.



٧ – موجز تاريخ المسيحية، للقس أنطونيوس يسطس البرموسي.

٨ – تاريخ الهرطقات لألفونسيوس ليكوري .

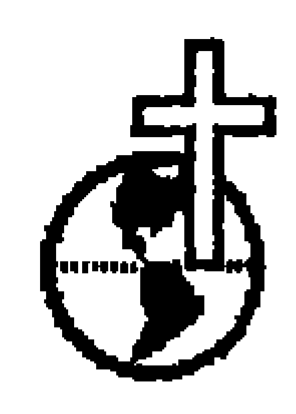
٩ – تاريخ البطاركة، لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين.

١٠ – تاريخ المجامع، لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين.

١١ – حُسن السلوك في تاريخ البطاركة والملوك للأسقف إيسيذورس .

١٢ – الوضع الإلهي في تأسيس الكنيسة للأنبا كيرلس مقار.

١٣ – مختصر تاريخ الأمة القبطية في عصرَّي الوثنية والمسيحية، لسليم سليمان طبعة عام ١٩١٤م.



١٤ – الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، لميخائيل بك شاروبيم.

١٥ – تاريخ المسيحية القديمة والحديثة، لموسهيم، مترجم عن الانكليزية.

١٦ – البينات الوافية والبراهين الثاقبة، الجزء الثاني للراهب البراموسي، طبعة عام ١٨٨٧م.

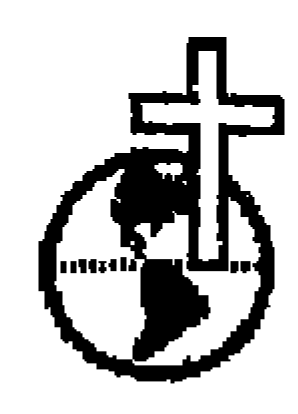
١٧ – قوانين الرسل والمجامع المسكونية والمكانية، طبع عام ١٨٨٤م.

١٨ – الكنز الثمين لراعي الكنيسة الأمين، تأليف بطرس نتشايف الروسي، نقله إلي العربية فتح الله أنطاكي، طبع عام ١٩٠٧م.

١٩ – خلاصة تاريخ الكنيسة، للعلاَّمة لومند اليسوعي.

٢٠ – السنكسار القبطي (جزءان).

٢١ – مجلدات مجلة الكرمة، للمُتنيح الأرشيدياكون حبيب



جـــرجس، مـــدير الكليـــة الاكليـــريكيـــة الســـابق، السنوات ٩، ١٠، ١١، ١٢.

٢٢ – مجلدات مجلة مارجرجس السنة ١، ٢.

٢٣ – مجلدات مجلة نهضة الكنائس السنة ١١.

٢٤ – مجلدات مجلة اليقظة السنة ٢٦.

25 - Encyclopeadia of Religon and Ethics

26 - Encyclopeadia Britannica.

27 - Dean Stanley, Lectures on History of the Eastern Church.

28 - Dean Farrar, Lives of the Fathers.

29 - Prof. Bright, St. Athanasius, Oration against the Ariens.

30 - Gibbon, Decline and Fall of the Roman Empire.



31 - J, Masson Neal, The Quay of the Dioscuri.

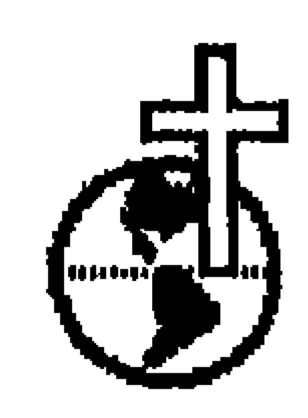
32 - Dr. Schaff, History of the Christian Church.

33 - James Moffatt, A First Church History.

34 - Vera E. Walker , A First Church History.

35 - W. H. Worrell, A Short Account of the Copts.

36 - H.R. Reynolds, Athanasius, His Life and Work.



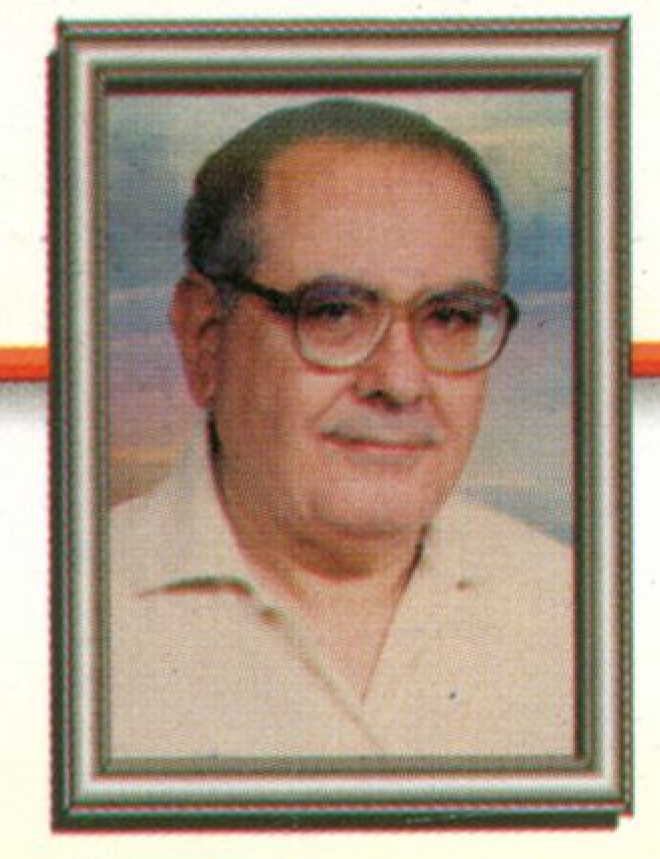
الفهرست	الصفحة



الفهرست | الصفحة



الفهرست | **الصفحة**



هذا الكتاب

* هو دراسة علمية تاريخية وثائقية ونقدية شاملة، للمجامع المسكونية الأربعة الكبرى الهامة.

* وتسير خطة الدراسة على أساس تفصيل كل ما يتعلق بكل مجمع مسكونى، وأسباب انعقاده، ورئاسته، وأهم الشخصيات التى حضرت، وموجز للمناقشات، والملابسات، وقوانينه، مع تحليل للقرارات، وأهميتها للكنيسة المقدسة، وأهم المراجع للبحث.

* مع إضافات أخرى هامة ولازمة، عن المجامع «المحلية» الصغرى السابقة (المسكانية)، وأهم قراراتها ... للكتاب وللعلم.

* وهو دراسة هامة لكل الباحثين فى تاريخ الكن... ولطلبة المعاهد اللاهوتية، فى مصر وبلاد الم... مُحبى التاريخ المقدس بصفة عامة.

مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا ـ القاهرة ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) ـ ٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) ـ ٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)

FINE CO. 4824113